الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى
جامعة التحدي - سرت
كلية الآداب والتربية
شعبة الدراسات العليا
قسم التاريخ

الفاطميون في مصر ونفوذهم في المشرق
358 _ 567 هـ / 968 _1171 م

رسالة مقدمة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الإجازة العالية
(الماجستير) في التاريخ الإسلامي

إعداد الطالبة
هند إبراهيم علي
إشراف الأستاذ الدكتور
صالح مصطفى مفتاح المزيني

للعام الجامعي
2007 - 2008 ف

الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى

جامعة التحدي ـ سرت

كلية الآداب والتربية　　　　قسم التاريخ /شعبة الاسلامي

" الفاطميون في مصر ونفوذهم في المشرق 358 - 567 هـ 968 - 1171ف"

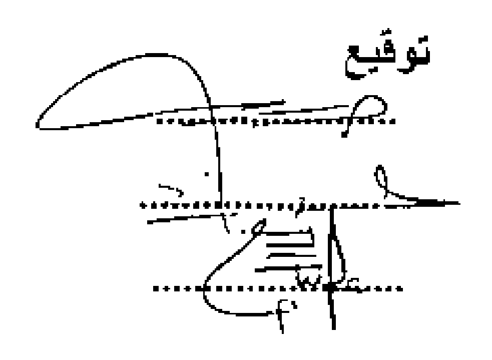
إعداد :ــ هند ابراهيم علي الصادق .

أعضاء لجنة المناقشة:ــ　　　　توقيع

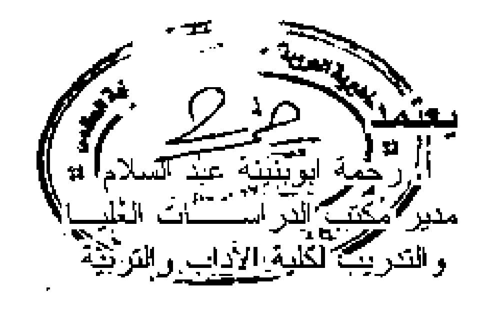
1- د. صالح مصطفى المزيني .

2- د. عبد الحكيم غنتاب الكعبي .

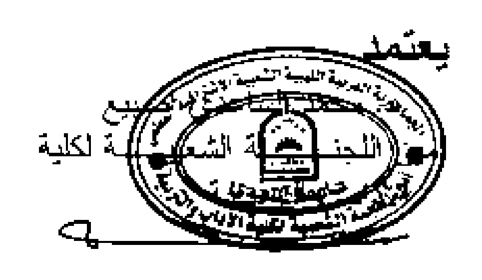
3- د. عبدالواحد عبد السلام شعيب .



يعتمد



يعتمد



بسم الله الرحمن الرحيم

(قل سيروا في الأرض فـانظروا كيفَ بدأ الخلـق ثـم الله ينـشئ النشأة الآخرة إنالله على كل شـئ قدير)

صدق الله العظيم

سورة العنكبوت الآية (19)

الإهـــــــــــــداء

إلي من كان رضاها زاداً لي في حياتي ودعوتها نوراً لي في طريقي .

والدتي العزيزة

إلي بهجة فؤادي وبسمة أيامي ، إلي الزهور التي تملأ حياتي بالأمل والسعادة إلي الشموع التي تنير دربـــي، إلي من عاشوا معي أجمل وأصعب اللحظات .

إخوتي الأعزاء

إلي من رافقوني في رحلتي العلميـــة هـــذه وفرحـــوا لفرحي وتمنوا لي النجاح والتوفيق ، إلـــي مـــن هانـــت بوجودهم أصعب اللحظات، إلي من سطرت معهم على جدران الزمن أجمل الذكريات .

أصدقائي الأحباء

أسأل الله التوفيق

شكر وتقدير

في البدء أتوجه بواجب الشكر إلى الله العلـــي القدير على توفيقه لـــي وإتمــام هـــذا البحـــث وبالشكل الذي هو عليه .

وكذلك إلى الذي كان سبباً وراء ظهور هـــذا العمل إلى حيز الوجود إلى الدكتور الفاضل (صالح مصطفى المزيني) له مني جميـــل الـــشكر وفائق التقدير والاحترام.

الطالبة

قائمة المحتويات

المقدمة

الحمد لله الذي هدانا والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد – صلى الله عليه وسلم – وعلى آله وصحبه أجمعين ومن تبعه بإخلاص إلى يوم الدين .

هذه الدراسة تتناول موضوع (الفاطميون في مصر ونفوذهم في المشرق 358-567 هـ /968 – 1171 م) .

تعتبر الفترة التي ظهر فيها الفاطميون من أكثر فترات التاريخ الإسلامي جودة من حيث المصادر والوثائق التاريخية ، غير أن العديد من هذه المصادر قد فقد وأتلف أغلبها ، اللهم بعض المصادر التي حفظها المؤرخون المتأخرون والذين من خلالهم تعرفنا على التاريخ الفاطمي، ولقد اعتمدت في هذه الدراسة على جانب كبير مما لخصته لنا نظرة هؤلاء المؤرخين .

ومما لاشك فيه أن الدولة الفاطمية قامت على أساس مبدأ واحد وهو الادعاء بنسبهم إلي النبي صلى الله عليه وسلم عن طريق السيدة فاطمة والإمام علي .

لذلك ركزت على الانتقال الجذري للفاطميين إلي مصر لكي تكون بداية الدراسة والتحليل ويكون الجانب السياسي للدولة الفاطمية هو الانطلاق الأول الذي سرت عليه لأنه الجانب الأساس وهو الذي غطى على كافة الجوانب الأخرى، منها الجانب الاقتصادي والاجتماعي واللذان لم أستطع أن أتجنبهما في دراستي هذه لما لهما من أهمية وهما مكملين للجانب السياسي .

وفي هذا النوع من الدراسة كان لابد أن لا أهمل الموقع الجغرافي الذي مرت به الدولة الفاطمية . إذ على الباحث التاريخي التعرف على جغرافية المنطقة المراد دراستها ، فالتاريخ دراسة تقوم على أساس الزمان والمكان، فالموقع الجغرافي له دور في انتقال الفاطميين من المغرب الأقصى إلي مصر .

وعلى ذلك تهدف الباحثة من وراء هذه الدراسة إلى بيان الأحداث دون إهمال جانب المكان وتعريفه وإبراز موقعه .

ومن ذلك فإن تتبع أحوال الفاطميين السياسية الجدير بالدراسة والتحليل فكان من البديهي أن تكون هناك حالة متكررة من الانتقال من مكان إلي آخر ، غير أن

الموقع المستهدف هو بلاد مصر إلا أنه من خلال ما سنتتبعه سنجد أنها لم تكن إلا جسراً ملكياً للوصول إلي ما بعدها .

وتسعى الباحثة من وراء هذه الدراسة إبراز العامل السياسي الذي كان أساس لانطلاق للفاطميين في تغلغل نفوذهم في المناطق التي وضعوا أيديهم عليها ، فالمغرب العربي كان البداية الأولى لتكوين النواة الفاطمية ، ثم جاءت مصر التي انتقلوا إليها بذريعة دينية، وبعد تكوين دولتهم فيها أدركوا أن مصر بوابه للمشرق الإسلامي الذي ظل هاجساً سياسياً لهم ، ومن خلال إرساء قواعدهم وتنظيم صفوفهم وتغلغل نفوذهم إلي المشرق فكانت الشام وفلسطين ابرز ولاياتهم ثم جاءت بلاد الحجاز واليمن وأبرزت الجانب الديني للدولة الفاطمية لما لها من أهمية دينية في العالم الإسلامي ، كما اشتملت الدراسة على دور الفاطميين في نشر مذهب الشيعة خصوصاً في عمان والهند اللتين أصبحتا ركيزة فاطمية سياسية ودينية .

كما لا يخفي إن العامل السياسي وتجدده من سنة إلي أخرى وهو دور الخلفاء الفاطميين الذين توالوا على الخلافة الفاطمية وما استخدموا من سياسة القتال تارة والحنكة والدهاء تارة أخرى، وكذلك ما شهدته سياستهم القوية لبسط نفوذهم على الشعوب احياناً على مدى التأثير الذي أحدثته هذه السياسة على بسط نفوذهم في المشرق وما أوجدته من اضطراب سياسي للدولة العباسية المعادية للفاطميين من خلال ما تظهره الدراسة من موالاة القواد المنشقين عن الدولة العباسية وسياسة الالتفاف التي اتبعها الدعاة الفاطميون في الجزيرة العربية والتي سأعرضها في فصول القادمة .

ولكن السؤال الذي يطرح نفسه هنا وستكون الإجابة عليه من خلال هذه الدراسة هو هل كانت هذه الثورة والقتال الفاطمي هو سياسة من أجل إثبات النسب الفاطمي ؟

وهل هو نزوع سياسي من أجل نشر المذهب الشيعي الذي يعتنقه الفاطميون ؟ وتوضح الباحثة بأن هذه الدراسة لهذه الفترة الزمنية من العالم العربي الإسلامي لا تعد تجزئة وانقساماً عن بقية الفترات السابقة واللاحقة بقدر ما هي ارتباط لهما ومرحلة من مراحل التاريخ الإسلامي .

ونحنُ في التاريخ الإسلامي محتاجون إلي إعادة أبراز أحوال الفاطميين في مصر والمشرق الإسلامي وإظهار جوانبهم المختلفة سواء من الناحية السياسية أو الاجتماعية أو الاقتصادية أو الدينية أو الثقافية ، لأن الفاطميين تاريخهم مليء وزاخر بالإحداث التي كان لها دور في إرساء قواعد التاريخ الإسلامي وقد كانت هناك بعض الدراسات في هذا الموضوع ، إلا أنها لم تمس جانبه السياسي وتغلغل نفوذ الفاطميين في المشرق مثل يحي بن سعيد الإنطاكي (458هـ/1066 م) تاريخ الإنطاكي .

كما ترغب الباحثة أن تلفت النظر لسياسة الخلفاء الفاطميين ودورهم الأساسي في بناء دولة كبيرة مترامية الأطراف ، ومحاولة لتوضيح الارتباط الذي بني ما بين الولايات في المشرق و مصر ، إبرازها إلي حيز الوجود .

ويمكن القول إن هذه الدراسة توضح الظروف المحيطة بالدولة الفاطمية وكيفية تكوينها منذ البداية في المغرب إلي مراحل الانتقال إلي مصر والتأسيس الفعلي لها ، كما يتطرق البحث بشكل كبير إلى الجانب الأبرز في البحث وهو تأثير الفاطميين على الدولة العربية في المشرق الإسلامي ، وبيان مواقف السياسيين فيه .

والأسباب التي دفعت الباحثة إلي اختيار مثل هذا الموضوع يمكن حصرها في الآتي:

- التعريف بتاريخ الفاطميين ، والعلاقات التي ربطتهم مع جيرانهم والتأثيرات التي تركتها هذه العلاقات على الفاطميين في مصر .
- رغبة الباحثة في دراسة التاريخ السياسي للفاطميين خاصة إن هذا العامل له دور أساسي في تقديم واستمرار دولتهم.
- ومن بين الأسباب التي دعتني لدراسة هذا الموضوع هو إظهار دور الفاطميين في نشر الإسلام في المناطق البعيدة والسعي إلي المحافظة على إبقاء الإسلام فيها من خلال علاقاتهم الخارجية ببلدان أخرى .

وعند الإعداد لهذه الدراسة واجهت العديد من الصعوبات منها قلة المصادر والمراجع التي عنت بهذه الفترة ، وإن وجدت فإنها تتناول حياة الفاطميين بشكل عام دون تركيز على جانب معين ، بالإضافة إلي عدم توفر الكتب في مكتبتنا في الجامعة خصوصاً ، أمهات الكتب والمصادر مما اضطرني إلي البحث في الجامعات الأخرى والمكتبات الخارجية .

أما عن المنهجية المتبعة في هذه الدراسة فهي تعتمد على عرض وتحليل بعض النصوص التاريخية وإيجاد الرابط منها في الحالات التي تحتاج إلي ذلك ، مع محاولة مني لإظهار رأيي المتواضع والبسيط .

باعتبار أن هذه الدراسة جمعت بين مناطق مختلفة دون تحديد الإطار المكاني لها وإن كانت مصر بوابة الدراسة الأولي حيث تركزت الدولة على التكوين الأول للفاطميين ، ثم يأتي الانتشار في بقية الولايات العربية، كما أن هذا الحد ما بين المناطق يتطلب جهداً في تحليل الأحداث وإبرازها مما يضيف جهداً اكبر في البحث.

إما بالنسبة للفترة الزمنية للدراسة فهي القرنين الرابع والسادس الهجريين (358-567 هـ/ 968-1171 م) .

وتميزت هذه الفترة بالفتوحات الإسلامية والانتشار الإسلامي وتكوين الدويلات الصغيرة في المشرق والمغرب مثل فتح الأندلس (92 هـ/711 م) كذلك فتح صقلية (212هـ/827) .

وقد اعتمدت الباحثة خطة بحثية تقوم على مقدمة وخاتمة وأربعة فصول على النحو الآتي :

الفصل الأول :

انتقال الفاطميين إلي مصر

يتناول هذا الفصل أوضاع مصر قبل غزو الفاطميين ، حيث يذكر فيه الولاة الذين حكموا مصر وأوضاعهم السياسية والدينية والاقتصادية ، كما يتناول الفصل فتح الفاطميين لمصر وتأسيس عاصمتهم فيها ، والظروف التي ساعدتهم للانتقال والتكوين ، كما سيتم إعطاء لمحة عن دور الخليفة الفاطمي المعز لدين الله في ذلك ، من خلال اختياره لأهم القواد خاصة جوهر الصقلي الذي أكمل الدور الذي بدأه الخليفة ، وهنا تستعرض الطالبة في هذا الفصل دخول المعز لدين الله إلي مصر وإنشاء مقر الخلافة فيها . وبه يختم الفصل .

الفصل الثاني

يحتوى على النفوذ الفاطمي بالعراق ، ففيه تستعرض الطالبة الأحداث المتسلسلة التي تعرض إليها الفاطميون ، متطرقة لتوضيح الكيفية التي تم بها دخولهم إلي العراق من خلال التركيز على ثورة البساسيري .

كما يتناول الفصل موقف البويهيين من الفاطميين والأعمال التي قاموا بها في سبيل إثبات وجودهم في العراق ، كما يتناول الخلفاء العباسيين وأوضاعهم ، كذلك سيتطرق إلي التعزيزات التي قام بها الخليفة الفاطمي العزيز بأمر الله من أجل بسط نفوذه على بغداد والعراق كافة .

الفصل الثالث :

حيث يتضمن هذا الفصل وجود الفاطميين في أهم ولاياتهم وهي الحجاز والشام ، وفيه سنتعرف على العلاقة التي ربطت ما بين الحجازيين وبلاد مصر ، ونوع هذه العلاقة السائدة فيما بينهم ، وهل كانت هذه العلاقة سبباً في وجود الفاطمين وإعلان الخطبة لهم على منابر الحجاز ؟

كما ستركز الطالبة في هذا الفصل على استيلاء الفاطمين على الشام وبسط نفوذهم عليها باعتبارها منطقة نافذة بمساحتها الشاسعة والمترامية الأطراف وستعطي صورة دقيقة لأوضاع العرب فيها ومقاومتهم الشديدة للفاطميين ، والكيفية التي رضخوا بها ؟

وننهي الفصل بالأوضاع التي سادت داخل وخارج الدولة الفاطمية في عهد الخليفة الظاهر وعهد الخليفة المستنصر، وإبراز مميزات عهد كل منهما والسلبيات التي حدثت للدولة الفاطمية في عهدهم من ظروف اجتماعية واقتصادية ودينية والتغيرات التي حدثت خصوصاً الظروف السياسية للدولة وما عانته من جراء ذلك.

الفصل الرابع:

يحوي هذا الفصل بين طياته على الوجود الفاطمي في اليمن والخليج العربي .

حيث يتناول بداية الدعوة الفاطمية وتنشيطها في الركن الجنوبي للجزيرة العربية ، والدور الذي لعبه الصليحيون الذين أسهموا في ربط الصلة ما بين اليمن ومصر ، بالإضافة إلي التركيز على الظروف المحيطة بالدعوة في اليمن والتي ساعدت على إخراجها ، إلي عمان والهند واختيار الدعاة من قبل الفاطميين في مصر ، وينتهي الفصل بالجهود التي بذلها اليمنيون في عودة النفوذ الفاطمي للحجاز .

وقد جاءت بعد هذه الفصول خاتمة تشمل النتائج التي توصلت إليها الباحثة من خلال هذه الدراسة، ووضع قائمة بالمصادر والمراجع وذلك بعون الله وفضله، وما

استطاعت الطالبة الحصول عليه من مادة علمية على قدر المستطاع وأقصى جهد مبذول لإخراج الأفضل والأصح تاريخياً .

وسيتم الاعتماد في إعداد هذه الدراسة على الكثير من المصادر الأصلية ، والتي ، ستفيد في الكشف عن الكثير من موضوعات البحث غير أن الاعتماد الرئيسي سوف يكون على مصادر معينة ، ومن هذه المصادر ما يلي :

كتاب المواعظ والاعتبار لذكر الخطط والآثار تقي الدين أحمد المقريزي' ت(845هـ /1441 م) فيأتي في مقدمة الكتب التي اعتمدت عليها الطالبة في هذه الدراسة ، ويعتبر من أهم الكتب التي تعرضت لتاريخ الفاطميين والأحداث السياسية والاقتصادية التي مرت في عهدهم ، وهو بحق موسوعة علمية حيث أفادت الباحثة من تسلسل المعلومات والأحداث التاريخية وهو من الكتب التي أعطت صورة كاملة عن أوضاع الفاطميين في المغرب والمشرق .

كما اعتمدت الباحثة على كتاب الكامل في التاريخ عز الدين أبي الحسن بن الأثير :ت(630هـ/1232 م) ويعتبر من أهم المصنفات المشرقية التي تناولت التاريخ الإسلامي في المشرق والمغرب ، وجاء كتابه بمعلومات وافية عن الفاطميين وهو أكثر الكتب دقة من حيث ترتيب السنين ، كما احتوى على نظريات تاريخية لها دور في تحديد مسار بعض الإحداث التاريخية في الدراسة .

كما تم تزود ببعض الكتب الجغرافية أهمها كتاب البلدان لليعقوبي : أحمد بن يعقوب اليعقوبي: ت (292هـ/897 م) والذي كان غنياً بالإضافة إلي ذكر الأماكن وتحديد موقعها الملم بأخبار الفتوح للأقاليم والولايات الإسلامية .

ولقد تم الإطلاع على بعض الكتب الحديثة خاصة التي تتناول نفوذ الفاطميين في الشام والجزيرة العربية، وقد أسهمت في توضيح وإثراء عدة موضوعات. منها حسن إبراهيم حسن وكتابه تاريخ الإسلام السياسي ، الذي يعتبر من المراجع الأساسية ويرجع له الفضل في تحقيق الكثير من المعلومات والأحداث العالقة في التاريخ .

كما اعتمدت الطالبة على مراجع المؤلف محمد جمال الدين سرور بكتبه المتعددة ، منها الدولة الفاطمية في مصر وكتابه مصر في عصور الدولة الفاطمية، وكتابه النفوذ الفاطمي في بلاد الشام والعراق ، حيث أسهمت كتبه بشكل كبير في

إيضاح الكثير من المعلومات التاريخية في سرد الأحداث التي قام بها الفاطميون في ولاياتهم .

واستعانت الطالبة ببعض كتب المستشرقين وأهمهم موريس لومبارد في كتابه الإسلامي في مجلده الأول من القرن الثاني إلي القرن الخامس، والتي اتاحت أكثر للاطلاع على نظرة المؤرخين الأجانب للتاريخ الإسلامي الوسيط ، خصوصاً في تاريخ الدولة الفاطمية من ناحية العظمة والانتشار والاستقرار السياسي ، ومن ناحية نظرتهم المحيطة للدين الإسلامي واستمراره في الجزيرة العربية .

وفي الختام أرجو من الله العلي القدير أن أكون قد وفقت في اختيار المصادر المطلوبة لهذه الدراسة كما التمس العذر مسبقاً عما قد تظهر فيها من أخطاء وقصور وأسأل عز وجل أن يكون جهدي هذا منفعة لغيري من الباحثين وأن ينال الرضى والاستحسان .

والله موفق الجميع

الطالبة

الفصل الأول
انتقال الفاطميين إلى مصر

المبحث الأول:- أحوال مصر خلال حكم الطولونيين والاخشيدين.

المبحث الثاني:- غزو مصر وإنشاء مقر الخلافة.

المبحث الثالث :- دخول المعز لدين الله مصر.

المبحث الأول

أحوال مصر خلال حكم الطولونيين والاخشيديين

دخلت مصر في حوزة العرب والإسلام في النصف الأول من القرن الأول الهجري [1] وتطورت الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية، ولما تولى العباسيون الخلافة الإسلامية لم يستثنوا مصر من بسط نفوذهم عليها، ففي سنة 254 هـ / 868 م عين الخليفة العباسي المعتز الأمير التركي باكباك والياً على مصر [2] ونظراً لالتحاق هؤلاء الأمراء ببغداد حيث توجد أملاكهم ومصالحهم ومركز قوتهم كان من الصعب الابتعاد عنها، كان أغلبهم يعيّنون نواباً عنهم في الولايات التي تكون من نصيبهم وهذا ما فعله أغلب الأمراء [3]

أرسل أحمد بن طولون ليكون نائباً عن الأمير باكياك ومن طموحات ابن طولون أنه لم يرضى أن يكون مجرد نائب عن غيره،ويرجع ذلك لكونه رجلاً تربى على الطريقة العسكرية والدينية في عدة مناطق في العراق [4]حيث نشأ في بغداد ، وأثر ذلك في تفكيره في الاستقلال بمصر، ونفذ ما جال في فكره وانتقل إليها وأصبح أول والياً في تاريخها ينتقل إليها،ولم يضيّع الوقت فبدأ في إدارة وتنظيم شئون مصر من جميع النواحي خصوصا العسكرية و الاقتصادية والسياسية،حيث ركز منذ البداية على الناحية العسكرية وكوّن جيشاً ضخماً وأسطولاً عظيماً كما لم يهمل النواحي المادية والأدبية، وقام بتحصين مصر من النواحي الحدودية حيث حفر خزانات للمياه. كما حرص على حماية شواطئ البحرين الأبيض والأحمر وعمل على وضع نقاط حراسة ليلية لحمايتها من الأعداء [5]

---

[1] حسن: محمد عواد، تاريخ الاسكندرية وحضارتها (ب . د) ، الاسكندرية 1963 ط 1، ص 218

[2] /العبادي :أحمد مختار ، في التاريخ العباسي والفاطمي،مؤسسة شباب الجامعة،الاسكندرية،1978،ط2 ص1

[3] الاسحاقي:محمد عبد المعطي،أخبار الأول فيمن تصرف في مصر من أرباب الدول،دار الكتب الوطنية،القاهرة،1893،ط1،ص110

[4] كاشف:سيدة،مصر في عصر الطولونيين و الاخشيديين،دار النهضة العربية،القاهرة،1970،ط1،ص18

[5] الشربيني:إبراهيم،التاريخ الإسلامي في خلال 14 قرناً،مؤسسة الجامعة للنشر،القاهرة،1971،ط2،ص166

وتدريجياً ارتفع شأن الدولة الطولونية سياسياً ، وأصبحت محط أنظار المسلمين كافة،ومنذ أن دخلها ابن طولون ، أصبحت مصر مركزاً ثانياً للمسلمين بعد بغداد .

وبهذا أسس دولة استمرت سبعة وثلاثين عاماً، حافلة بالنشاط في جميع المجالات، وفي أيامه تحسنت أوضاع مصر الاقتصادية ، وذلك لما قام به ابن طولون من بناء الجسور والقناطر،والمساكن المنظمة لسكان البلاد وخصوصاً داخل المدن الرئيسية وفي مجال التجارة أصبحت مصر من المعابر الرئيسية للتجارة العالمية وخاصة بين الشرق والغرب، وقد جعلتها تلك المكانة ،إحدى المراكز التجارية الهامة، تتقاضى فيها الضرائب الجمركية،على البضائع المارة بها.[1]

وفي مجال الصناعة فقد اشتهرت الدولة الطولونية في عهد أحمد بن طولون بصناعة النسيج،والورق،والصابون والسكر والخزف،إضافة إلى مصانع الأسلحة[2].

ولم تقتصر اهتمامات ابن طولون على النواحي السالفة الذكر،بل قام ببعض الإجراءات التي من شأنها تدعيم مركزه،فقام بوضع اسمه في الخطبة بعد إسم الخليفة مباشرة، وأضاف اسمه على النقود ،واتخذ الحجاب، والكتاب ،والموائد، والمواكب كمظهر من مظاهر الاستقلال.

وبذلك منح ابن طولون مصر عصراً جديداً اختلف عما سبقه من حيث الجانب الاقتصادي الذي كان غير مهتم به في عصر التبعية العباسية[3] .

أصبحت مصر في عهده دولة تمتد من العراق إلى أقصى برقة بما في ذلك آسيا الصغرى والشام وفلسطين، إلا أنه لا يمكن أن نقول إن عهد ابن طولون عهد سلام دائم واستقرار سياسي فقد قامت ضده عدة ثورات حاولت أن تطيح به، كما له عداء طويل مع ولي العهد العباسي أحمد الموفق[4] .بسبب احتواء ابن طولون الخليفة المعتمد الذي حاول نقل الخلافة إلى مصر ، ويبدو أن الموفق لم يكن يتوقع أن يصل العداء بينهما إلى ذلك الحد من القطيعة فحاول تحسين علاقاته بابن طولون ومال إلى مصالحته، فوافق ابن طولون مسروراً بذلك ،وأرسل إليه مؤكداً له أنه أحد مواليه وتابعيه[5] .

---

(1) بن أياس:محمد بن أحمد،بدائع الزهور في وقائع الدهور،دار المعارف،القاهرة، ،ط1،ج4 ،1311 هـ ،ص173

(2) شلبي،احمد: تاريخ الاسلام والحضارة الإسلامية،القاهرة1967،ط1،ص87

(3) ماجد،عبدا لمنعم،ظهور خلافة الفاطميين وسقوطها في مصر،دار المعارف، الاسكندرية 1968،ط2،ص69

(4) عطا الله : خضر أحمد ، الحياة الفكرية في مصر ، دار الفكر العربي ، بيروت ، 1997، ط 1 ، ص ٦٨.

(5) الجميلي ،رشيد عبد الله ، دراسات في تاريخ الخلافة العباسية ، مكتبة المعارف للنشر ، الرباط ، 1984 ، ط 1 ، ص 348.

وبعد أن توفى أحمد بن طولون في سنة 270 هـ / 883 م على أثر مرض ألم به في إحدى غزواته في الشام، تولى ابنه خمارويه شئون مصر[1] ، ورغم صغر سنه إلا أن الخليفة العباسي وافق على توليته، وعلى الرغم من أن والده ترك له ميراثاً يقدر بعشرة ملايين دينار، إلا أنّ عهده تميز بسوء الأحوال في مصر وانتشار الفوضى ، وتبدد الثروة بسبب انغماسه في الفساد[2]، وعلى الرغم من ذلك فقد استطاع خمارويه أن يستعيد سلطانه على بلاد الشام .

ولم يكن خمارويه يرغب في استمرار علاقات الجفاء والقطيعة بينه وبين الخلافة فسعى لطلب الصلح، والواقع أن الموفق لم يكن بأقل رغبة في إقرار الصلح وإنهاء الخلاف ولقد استجاب لهذه الدعوة وأرسل له شروط الصلح وذلك في رجب سنة 273 هـ/ 886 م ،[3].

وكانت نهاية خمارويه أليمة، فلم يلبث أن قتل بالسم سنة 282 هـ / 885 م[4] وخلفه ابنه أبو العساكر ، حيث انصرف عن تدبير شئون الحكم وأقبل على الشرب واللهو[5] وقد اتبع سياسة جديدة وهي قتل أحد أقاربه فغضب عليه قواده ، وخرجت بلاد الشام عن طاعته وانتهى الأمر بخلعه وسجنه وتولية أخيه الأصغر هارون[6] ولكن نتيجة للخلاف بين هارون بن خمارويه والخليفة العباسي[7] ونتيجته أن سيّر المكتفي جيوشه الحربية إلى مصر سنة 292 هـ/ 904 م وذلك بغرض القضاء على الحكم في مصر والاستيلاء عليه نهائياً. وتعتبر الجيوش التي جلبها أضخم الجيوش العربية في عصره[8]. وعلى رأس قيادتها القائد العسكري محمد بن سليمان الذي تمكن من احتلال الفسطاط، وتراجعت جيوش المصريين تراجع لم يتوقعه أحد .

بعد أن دخل العباسيون مصر قاموا بإحراق القطائع ونهبها لدرجة أن أصبحت خالية تماماً من ممتلكاتها التي عرفت بها في عهد خمارويه، وبعد تدمير الفسطاط تمكنوا من الاستيلاء على دور الطولونيين وأموالهم التي كانت لا تحصى، وبدأ

---

[1] المقريزي : تقي الدين أحمد ، المواعظ والاعتبار لذكر الخطط والآثار، ج1 ، مؤسسة حلب وشركاه للنشر والتوزيع ، القاهرة 1967، ص ص 221 ، 316 .

[2] ابن تغري البردي:جمال الدين أبو المحاسن : النجوم الزاهرة في ملوك مصر ، ج3، (ب.ن) القاهرة 1933، ط1، ص49 .

[3] حسن : إبراهيم حسن ، تاريخ الإسلام السياسي ، مكتبة النهضة ، القاهرة 1967 ، ط 1 ، ص 130.

[4] عبد المنعم ماجد: المرجع السابق ، ص 71 .

[5] البرغوثي : عبد اللطيف ، تاريخ ليبيا الإسلامي ، منشورات الجامعة اللبنانية ، بيروت ، 1971 ، ط 1 ، ص 194 .

[6] العبادي : أحمد مختار ، في التاريخ العباسي والأندلسي ، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1972 ، ط1 ، ص 138.

[7] الكاشف : المرجع السابق ، ص 82 .

[8] الحنبلي :أبو الفلاح بن العماد ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ج 2 ، دار المعارف ، القاهرة ، ص 209 .

العباسيون وعلى رأسهم محمد بن سلمان بإرسال الذخائر والأموال إلى القيادة المركزية في بغداد مما أدى إلى هروب هارون بن خمارويه إلى مدينة العباسة، وهناك قتله عماه شيبان وعدي في سنة 292 هـ / 904 م ثم خلفه أحد أعمامه وهو شيبان ابن أحمد بن طولون، إلا أن الأمور لم تستقر له فثار عليه الجند ولم يعترفوا بولايته مما زادت من الفوضى في ذلك العصر[1].

ولقد تلت عهد خمارويه تقلبات سياسية كان فيها البقاء للأقوى وليس للأفضل بغض النظر عن الحنكة السياسية أو عدمها بتلك الفترة من زمن الولاة .

كما قبض محمد بن سلمان على من تبقى من آل طولون ، وأرسل إلى بغداد يبشر الخليفة العباسي بفتح مصر. [2]

بعد انتهاء الأسرة الطولونية ، أخذ نواب الولاة العباسيين يتعاقبون علي حكم مصر ولا يلبث الواحد منهم في الحكم فترة وجيزة حتى يقتل أو يعزل ، ليتولي مكانه آخر ، [3] وإن دل هذا علي شيء فإنما يدل علي ضعف واضطراب الخلافة العباسية في بغداد الذي أدي بدوره إلي عدم الاستقرار في مصر، ولهذا عاني أهالي مصر الكثير وخاصة من عبث الجند الذين أوفدهم الخليفة العباسي إلي مصر، وأزدادت الأحوال الاقتصادية سوءاً نتيجة للنفقات الباهظة من قبل هؤلاء الجند، وهكذا سقطت الدولة الطولونية بعد أن حكمت مصر سبع وثلاثين عام ، وكان لها الأثر في ازدهار الحضارة المصرية حيث كان الطولونيون وخصوصاً أحمد إبن طولون الذي عمل من البداية على الازدهار العمراني والذي لم يركز عليها من جاء من بعده معتمدين على التركة الطولونية التي خلفها لهم أبوهم مما كان لها نتيجة عكسية سواء على الخلفاء الطولونيين أو الأهالي في مصر. [4] وما أن عين محمد بن طغج التركي والياً على مصر سنة 323 هـ / 934 م حتى عاد النظام والهدوء إلى البلاد تدريجياً من خلال الإصلاحات التي قام بها في الدولة المصرية. ففي بداية عهده تمكن من الوقوف في وجه الغارات الفاطمية التي استطاعت دخول الإسكندرية والتي حاولت التغلغل داخل مصر فوصلت منطقة الصعيد الخالي من التحصين.

---

[1] الجوزي : أبو الفرج عبد الرحمن ، المنتظم في تاريخ الملوك والامم ، (ب ، ن) حيدر أباد 1955 م ، ج 6 ، ط1، ص 50.
[2] عبد المنعم ماجد ، المرجع السابق ،ص71.
[3] شافعي : فريد، العمارة العربية في مصر الاسلامية ، القاهرة 1970 ، ط 1 ، ص 513
[4] سرور: محمد جمال الدين ، الدولة الفاطمية في مصر ، دار الفكر العربي القاهرة ، 1970 ، (ب،ط) ص 52.

ولولا وقوف محمد بن طغج في وجههم لما عادوا أدراجهم إلى أفريقيا حيث أظهر شجاعة كبيرة.

وتقديرًا لما قام به محمد بن طغج من قوة وشجاعة في صد غارات الفاطميين ، فقد كافأه الخليفة العباسي الراضي بأن أغدق عليه لقب الأخشيد ، الذي أعلن علي المنابر المصرية ومنذ ذلك أصبح يعرف بالأخشيد [1] كانت العلاقة التي تربط طغج مع العباسيين في بادئ الأمر تنطوي علي الصداقة والود، ومالبث أن تغيرت صبغة المودة بينهما حين بلغ الأخشيدي إزدياد نفوذ محمد بن رائق الخزري أمير الأمراء في بغداد وأطماعه في ولاية الشام ، مما دعا الأمير إلي خروج الأخشيد وإعداد العدة لمحاربته في سنة 328 هـ / 939 م حيث التقى الطرفان في منطقة العريش، وحلت الهزيمة بابن رائق غير أنه لم يستسلم فبعد استقراره في الرملة *رجع مع جيشه إلي الأخشيدي الذي لقي مقاومة عنيفة وانتهي النزاع بينهما بعقد صلح ينص علي حكم إبن رائق للولايات الشامية شمال الرملة وأن يدفع للإخشيد جزية سنوية [2] ويعتبر هذا الصلح مهماً للطرفين وذلك لأن ابن رائق استنفذ قواته الحربية نتيجة توسعاته، أما الأخشيدي فكان مهتما بتوطيد أركان دولته.

وبعد أن وطد الإخشيدي دولته واستطاع أن يعيد بلاد الشام إلي حوزته ، استقر حكمه وأصبحت له قوة قتالية جعلت العباسيين يخشونه [3]، وتوجه الأخشيدي بجيوشه إلي سيف الدولة الحمداني معتمدًا علي قائده كافور الحبشي وانتهي الخلاف بعقد صلح مع سيف الدولة الحمداني الذي تعهد بالجزية أيضاً. [4] ثم بدأت المراسلات بين الفاطميين والأخشيد، وقد ظهر ذلك واضحًا في المراسلات الموجهة من ثاني خلفاء الفاطميين في بلاد المغرب " القائم " إلي الأخشيد والتي يحثه فيها علي نشر الدعوة الفاطمية في مصر . كما يبدو أن الرسائل الفاطمية إلي الأخشيد كانت من ضمن الوسائل المتبعة لاستدراج الأخشيد إلي مذهبهم ، ثم الانقضاض علي سلطته هذه راجعًا إلي خشية الأخشيد من غضب الخليفة العباسي الراضي ، أو أن مصر يدرك

---

(1) احمد العبادي: التاريخ العباسي والاندلسي ، ص 140

* الرملة : هي منطقة تقع مابين الشام وفلسطين ويذكر أن أسسها سلمان بن عبد الملك . انظر ابن بطوطة تحفة النظار في غرائب الأمصار، دار الكتب العلمية ، بيروت 1987 ، ط 1 ، ص 81

(2) محمد سرور : تاريخ الدولة الفاطمية ، ص – ص 54 ، 55

(3) سرور: محمد جمال الدين ، مصر في عصور الدولة الفاطمية ، دار الفكر العربي ، القاهرة 1970 ، ط ، ص 55

(4) أحمد مختار العبادي: ، في التاريخ العباسي والفاطمي ، ص 143

أطماع القائم الفاطمي في مصر[1] إلا أن تصرفات الخليفة وعلاقته بابن رائق عكــر الصفوة مابين الأخشيد والخليفة العباسي ، فبمجرد سماع الأخشيد ثارت ثائرته وأمــر بإلغاء الخطبة للخليفة العباسي ، وإحلال اسم الخليفة الفاطمي بدلاً منه ، ونتيجة لذلك بدأت علاقات الود تنمو بين الأخشيد والفاطميين ، مما أدي إلي ظهـور فريـق فـي مصر يدعو إلي المذهب الشيعي الفاطمي ، وكان ظهور الدعاة الفاطميين في مصــر يمثل ضغطاً من الإخشيد علي العباسيين [2] لعل العباسيين يحسنون علاقـاتهم مـع الأخشيد الذي يأمل في تجديد العلاقة معهم ، فقد كان الأخشيد يستمد قوتـه وسياسـته الحربية من دعم العباسيين له والذين كانت لهم أطماع من وراء ذلك .

ومهما يكن من أمر ، فقد ظل الأخشيد علي إخلاصه للخلافة في بغداد ، بعد أن أدرك أنه من الأفضل أن تكون علاقاته طيبة معها ولم يقطع علاقته بالفـاطميين [3]، فقد عرض الأخشيد ابنته علي القائم لتكون زوجة لابنه وولي عهده المنصور ، وهدفه من ذلك التقرب إلي الفاطميين وتأمين شرهم ، أما بالنسبة للفاطميين فقد كانوا يأملون من هذا الزواج فتح الطريق لمبادئهم الشيعية في مصر ، إلا أن العلاقات عادت إلـي التوتر بين الأخشيد والفاطميين ، علي إثر وفاة الخليفة الفـاطمي القـائم فـي سـنة 334هـ / 945 م وتولي ابنه المنصور الذي انشغل بالقضاء علي الثورات في بـلاد المغرب وصرف النظر عن بلاد مصر وأحوالها.[4]

اضطربت الأحوال في مصر علي إثر وفاة الأخشيد في سنة 334هـــ / 945 م وتولي من بعده ابنه أبو القاسم المعروف بأنجور . [5]

ولأن أنجور كان صغير السن ، فقد تولىّ تدبير أمور الدولة أستاذه كـافور حيـث استطاع أن يكوّن نفوذاً في بلاد مصر ، وقد تم ذكر اسمه في الخطبة . ودُعـي لـه علي المنابر بجانب اسم أنجور.[6]

وبعد وفاة أنجور ومن بعده أخيه علي،استقل كافور بالحكم رسمياً، وأصبح والي مصر الأول، فقد كان كريماً يغدق الأموال والعطايا فأحبه قادة جنده وكبـار موظفيـه لمـا

---

(1) محمد سرور: مصر في عصور الدولة الفاطمية، ، ص 30
(2) علي ابراهيم حسن: مصر في العصور الوسطي، ص 262
(3) سيدة الكاشف : مصر في عصر الطولونيين والإخشيديين ، ص 275
(4) علي ابراهيم حسن: مصر في العصور الوسطي ، ص 263
(5) ابن تغري : النجوم الزاهرة ، ج 1 ، ص 1
(6) سيدة الكاشف :المرجع السابق ،ص 10

أولاهم من اهتمام ورعاية شديدين كان لها نتائج إيجابية على مصر[1] ،ولم يستفد كل الأهالي في مصر من غدق كافور فقد كان المستفيد الأكبر التابعين له من كبار الموظفين والقضاة في دولته أما البقية الباقية فقد ظلت كادحة في عصره.

كما ينسب إلى كافور عنايته الخاصة بالمساجد، حيث أنفق عليها أموالاً طائلة وأهم هذه المساجد الفقاعي الذي أنشئ في سفح جبل المقطم ،وينسب إليه أيضاً بناء مارستان في الفسطاط ،كما ازدهرت الصناعات والفنون ، فقد عرفت في عصره صناعة النسيج الذي كان يختم بختم رسمي من الدولة ،كما ارتفعت أسعار الذهب الذي أخذ طريقه في التجارة المصرية[2] ومما لاشك فيه أن كافور من محبي الخزف المعدني فقد أولى اهتماماً به وشجع العاملين بمعرفة الأساليب المتطورة عن العهد الطولوني أي الطراز العباسي المعروف،وامتازت زخارف عهده بحفر منحرف الجوانب تتكون فيه الزخرفة من بضعة فروع وخطوط حلزونية تغطي الأرضية كلها، و أدخلوا في هذه الخطوط رسماً تخطيطياً محوراً عن الطبيعة لحيوان أو طائر، كما كانت تصنع من الخشب ألواح صغيرة تحفر فيها كتابات لتسجيل ما يملكه الأفراد من العقار في عبارات قانونية محددة [3] ،كما امتاز بحبه للعلم والعلماء، وزار بلاطه عدد كبير من فحول الشعراء في ذلك العصر وأهمهم القائد الرومي أبو شجاع فاتك الذي كان زميلاً لكافور في الخدمة على عهد الإخشيد، والذي كان يرى أنه أحق من كافور في حكم مصر ،لهذا كان كافور يلاطفه ويداديه كما زاره الشاعر المتنبي في إقطاعه، إلا أن كافور لم يحقق للمتنبي مطالبه الخاصة بمنحه ولاية من الولايات المصرية، مما جعله يغضب عليه وانقلب مديحه لكافور إلى هجاء وذم بعد هروبه من مصر خوفاً من بطشه وفتكه[4]. ونرى أن كافور كان رجلاً منفتحاً على العلوم والفنون، ومحباً لدينه لاهتمامه ببناء المساجد التي كثر عددها في عصره، كما يحسب إلى كافور دخول صناعة الخزف التي ازدهرت على مر العصور بفضل تشجيعه منذ بداية ظهور هذه الصناعة، ومن ثم جاءه التقليد الرسمي من الخليفة العباسي المطيع في سنة 355هـ/ 965 م بتوليته، كما وصلته الخلع والهدايا من بغداد كما هو الحال

---

[1] ابن تغري :النجوم الزاهرة، ج4، ص 2
[2] سيدة الكاشف ; مصر في عهد الطولونيين والاخشيديين ، ،ص ص137، 138
[3] حسن :زكي محمد ، الفن الإسلامي في مصر ،دار الاثار العربية ،القاهرة ،1935،ص ص100، 101
[4] احمد مختار العبادي :في التاريخ العباسي والفاطمي ، ،ص 136، 137

في مثل هذه المناسبات فقد كان عندما يتم تقليد والٍ من قبل الخلافة العباسية يتم جلب الهدايا له من أموال وخدم، وعتاد حربي، وإعلان اسمه في مركز الخلافة في بغداد.

أصبح كافور والياً على مصر، وما يليها من مناطق مجاورة بما فيها مناطق الشام* التي ارتبط اسمها على مر العصور بولاة مصر[1]، وظل كافور في الحكم أكثر من سنتين عانت فيها مصر كثيراً من المشاكل والصعوبات السياسية [2] ومهما يكن فإن عهد كافور كان منعشاً في بعض جوانبه، بذل كافور جهداً في سبيل إنعاش أحوال مصر الاقتصادية[3]، فكان يهدف إلى تأمين حدود بلاده، ففي منطقة الشمال حارب الحمدانيين الذين تطلعوا إلى الاستيلاء على الشام* وانتزاعها من الإخشيديين مستغلين الظروف التي تمر بها من انتقال الخلافة ، ففي سنة 333 هـ /944م نجح سيف الدولة في الاستيلاء على حلب وخطب فيها، مما حفزهم إلى التقدم نحو حمص، إلا أن الحمدانيين تقابلوا مع الجيوش الإخشيدية بقيادة كافور في أواخر سنة 333 هـ/944م وانتهى الأمر بانتصار الحمدانيين بقيادة سيف الدولة الذي تمكن من إلحاق الهزيمة بالإخشيديين، وانتهت هذه الحرب بعقد صلح بين الطرفين في منطقة قنسرين ،هذا كما حارب كافور القرامطة الذين أغاروا على جنوب الشام، و هددوا قوافل التجارة والحجاج المتجهة إلى الحجاز، وانتهت هذه الحرب أيضاً بالصلح فيما بينهما[4] ، ولقد كثرت حروبه مع الطامعين للاستيلاء على الأراضي التي بسط نفوذه عليها.

كما حارب كافور أهل النوبة في الجنوب الذين تكررت غاراتهم على أسوان وغيرها من مدن الوجه القبلي، وكانت نهاية هذه الحرب خضوع النوبيين وتقديم الجزية والرقيق إلى مصر كل سنة، ونتج عن ذلك كثرة الجنود السود في الجيش الإخشيدي.[5] وفي ذلك الوقت كان يصد غارات الفاطميين خاصة في مناطق الواحات الغربية[6] وعلى الرغم من نوايا الفاطميين العدائية نحو كافور الإخشيدي ،إلا أنه

---

(1) حسن ابراهيم حسن :تاريخ الإسلام السياسي ،ج3 ، ص 130
(2) علي ابراهيم حسن :مصر في العصور الوسطى ، ص97.
(3) رشيد عبدالله الجميلي :دراسات في الخلافة العباسية ،ص 366
*الشام :تقع الشام في قلب الشرق الاوسط وسط العالم القديم على أبواب آسيا الغربية وشواطئ البحر المتوسط وهي سهل ساحلي وتشمل سوريا الحالية ولبنان وفلسطين وشرق الأردن ،انظر :ضيف: شوقي ،عصر الدول والإمارات ، دار المعارف ، القاهرة ،2003 ،ط4 ،ص9
(4) احمد مختار العبادي :التاريخ العباسي والفاطمي ،ص 145
(5) احمد مختار العبادي :في التاريخ العباسي والفاطمي ،ص 145
(6) حسن ابراهيم حسن :في تاريخ الإسلام السياسي ،ج3 ،ص 141

استقبل الدعاة الذين أرسلهم الخليفة المعز إلى مصر في مُحاولة منه لإقناع كافور بالدخول في طاعته والتنصل من العباسيين، ولم تكن هذه هي المحاولة الأولى من المعز للاتصال بكافور، فقد سبق له أنه أرسل رسله إلى مصر أثناء وصايته على أولاد الإخشيد متعذراً بطلبه أن يمر بأسطول حربي، مما جعل كافور يرد عليه بالرفض لطلبه.[1]ومن جهة أخرى فقد تبادل كافور الهدايا مع المعز لدين الله، و في نفس الوقت كان يظهر الود للعباسيين، كما أن كافور سهل أمور الحجاج المغاربة أثناء مرورهم بالأراضي المصرية في الذهاب والعودة[2]، وهذا ما جعل المعز يؤجل غزوته لمصر لحين عودة الحجاج، وعندما علم كافور أن أم الخليفة المعز ،في ركب حجاج المغاربة ،قام بزيارتها وقدم لها كثيراً من الهدايا وسهل لها أمورها، وهذا الأمر دل على فطنة وذكاء كافور السياسي كما دل على الكرم الذي امتاز به. فقد كان سخياً معطاءً وكان يحث الخدم على إعداد موائد الطعام، سواء أكانت للمارين على أراضيه أم للفقراء الذين كثروا في عهد الإخشيديين وكافور[3] ونرى أن تصرفات كافور دائماً تدل على حنكة سياسية لديه، فقد دلت على خبرة وفطنة وذكاء من خلال محاباته لقوى دولتين (العباسية والفاطمية) في آن واحد، فقد حرص على مهادنة المعز لدين الله الفاطمي صاحب المغرب، وحاول أن يظهر له ميله واحترامه له ويظهر لبني العباس الطاعة، وعلى الرغم من أنه كان يخادع، إلا أن السياسة في ذلك العصر كانت تتطلب ذلك.وقد كان دعاة المعز في مصر يحاولون نشر المذهب الشيعي بين المصريين ويمهدون الطريق للمعز، فقد كانوا يمنون الناس فيها بالرخاء والازدهار إذا رحبوا بالفاطميين في ديارهم[4]، وربما كان سماح كافور لهؤلاء الدعاة بالاستمرار يعود إلى ما كانت تعانيه دولة بني العباس من ضعف في بغداد،[5] وأصبحت مصر في عهد كافور تعج بكثير من المتشيعين، الذين يهدفون لتوثيق مذهبهم تجديد على حساب السنيين. [6]

---

(1) العدوي : احمد ابراهيم ، الاساطيل العربية في البحر الابيض ، دار المعارف ، القاهرة 1957، ص ص 123-124 .

(2) عبد المنعم ماجد :ظهور خلافة الفاطميين وسقوطها ،ص 102

(3) احمد مختار العبادي :المرجع السابق ،ص 146

(4) ابن تغري:النجوم الزاهرة ،ج4 ،ص 71

(5) جلال :ابراهيم ، المعز لدين الله الفاطمي وتشييده مدينة القاهرة ،القاهرة 1963 ،ط1 ،ص 47

(6) سيدة كاشف :مصر في عصر الطولونيين والإخشيديين ، ص 275

ويمكن القول أن كافور لم يترك الوضع على حاله مع هؤلاء الدعاة، أو الذين ساروا في ركابهم من المصريين بعد أن تمادوا في دعوتهم، وبدأوا في استمالة كبار القادة والوزراء في الدولة، فنراه في مناسبات عدة يقف في وجوههم أحياناً، ويتشدد معهم عندما يقفون على المنابر لصلاة الجمعة [1]. وربما كان تأرجح سياسة كافور الإخشيدي في ولائه للفاطميين والعباسيين قد أملتها عليه الظروف العامة المحيطة به في ذلك الوقت ،فالخلافة العباسية لا تستطيع حتى حماية نفسها من الأخطار المحيطة بها سواء أكانت قامت ضدها نتيجة لما مرت به من ضعف ، أم خطر الفاطميين القادم من المغرب.

توفي كافور بمصر في شهر جمادى الأول سنة 357 هـ/968م بعد أن تولى حكم إمارة مصر، وبعد وفاته حمل تابوته إلى القدس ودفن بها،[2] وكان عصر كافور متقلباً منذ بداية حكمه، فعلى الرغم مما كان يتميز به هو شخصياً من تشجيعه للعلم والعلماء، وبذخه لبناء المنابر والبرمستينات والمساجد،إلا أن مصر في عصره ضعفت من الناحية الاقتصادية،وهذا هو الأمر الذي أثقل كاهلها وأصبحت دولة طالبة للعون من قبل الدول المجاورة لها،مما فتح العيون عليها،وشجعهم لمحاولة الاستيلاء و الانقضاض عليها.

وبعد وفاة كافور اضطربت أحوال مصر السياسية،[3] وانقسمت الأسرة الإخشيدية على نفسها، فاختار رجال القصر أبا الفوارس أحمد حفيد الإخشيد الذي كان صغير السن، لا يتجاوز عمره الحادية عشر، ووضعوا وصياً له ،[4] واتفق الجميع على أن يكون أبو محمد الحسن ابن عبيد الله أخ الإخشيد الذي جاء إلى مصر فاراً من وجه القرامطة، إلا أنه استبد بالأمر،وقبض على الوزير جعفر بن الفرات، واستولى على أمواله، ثم عاد بعد ذلك إلى الشام. [5]

ولم يلبث أن تولى أمر البلاد الوزير جعفر بن الفرات الذي سرعان ما استقل بحكمه في مصر، وكان ابن الفرات ذو شخصية قوية،يشتهر بقسوته وخشونته القتالية وقد قام بعدة خطوات جعلت المحيطين به ينفرون منه، منها تنكيله بالموظفين الذين يعملون

---

[1] علي ابراهيم حسن :مصر في العصور الوسطى ،ص 265
[2] ابن تغري:النجوم الزاهرة ،ج4 ،ص 41
[3] ابن أياس :بدائع الزهور ،ج1 ،ص 41
[4] محمد سرور :مصر في عصر الدولة الفاطمية ،ص 32
[5] حسن :علي إبراهيم ،تاريخ جوهر الصقلي ،مكتبة النهضة ،القاهرة ،(ب ،ت) ط3 ،ص 24

لدى الدولة ومصادرة أموالهم[1]، وكان أبرز المتضررين يعقوب بن كلس الذي هرب إلى بلاد المغرب، واتصل بالمعز لدين الله الفاطمي الذي جعله تحت حمايته حتى أنه أدخله لعساكره، وأصبح أحد القواد الذين يعتمد عليهم[2].

وازدادت الأوضاع سوءاً من جراء ظلم ابن الفرات، فقد بدأ بتأخير صرف رواتب الجنود،بسبب قلة الأموال وإفلاس الخزينة، مما دعا الجند إلى التمرد، وآلت البلاد إلى حالة من الفوضى والاضطراب لا مثيل لها، وزاد من حدتها ارتفاع الأسعار وكثرة الفتن، وانتشار الفساد في مصر والشام بأكملها، [3]وتوالت النكبات في ذلك العهد، حيث وقعت بمصر زلازل، وشبت نيران دمرت آلاف المنازل في الفسطاط، وأغار ملك النوبة على صعيد مصر، وعاث فساداً في صعيدها وانخفض ماء النيل بصورة سببت القحط والوباء والغلاء[4] ولم يفعل ابن الفرات ما يجب عليه فعله ، فازدادت الأحوال سوءاً.[5]

وبذلك ظلت مصر على هذا الحال عدة أشهر، كانت فيها خاضعة للسلطة الإخشيدية الإسمية، وصلت فيها إلى حالة يرثى لها من الفوضى والاضطراب، ولم يستطع العباسيون أن يقبضوا على زمام الأمور، أو يعيدوا الأمن إلى نصابه، وذلك لأن الخليفة العباسي وصل إلى درجة من الضعف لم يحاول معها استعادة نفوذه في مصر[6].

ونتيجة لما تقدم سارع أعيان مصر إلى مكاتبة الخليفة المعز لدين الله بالمغرب طالبين منه التوجه بسرعة نحو مصر،التي أصبحت لا تطاق لسكانها سواء الأهالي أم للجنود[7]، لانتشالها من الفوضى التي انتشرت فيها[8].

وكان الفاطميون قد عمدوا في بداية دعوتهم إلى تعيين دعاة مستقرين، ينشروهم في الأقاليم ذات المواقع المهمة، فيما عرف بجزر الدعوة، وكانت مصر أهم هذه الجزر، فقد استقر فيها أبو علي الداعي، الذي أسس مدرسة عرفت بإخلاصها للفاطميين،

---

(1) محمد سرور : ،ص 32
(2) ابن تغري:النجوم الزاهرة ،ج4 ،نفس المصدر ،ص 21
(3) أبو عبدالله اليافعي : ،مرآة الجنان وعبرة اليقظان ،دار الكتب الوطنية ، بيروت، 1970 ،ط2 ،ص 2:4
(4) جمال الدين :عبدالله محمد ، في تاريخ مصر الإسلامية ،دار الثقافة للنشر والتوزيع ،القاهرة، 1991 ط1 ،ص 72
(5) ناجي :عبدا لجبار وآخرون ;الدولة العربية الإسلامية في العصر العباسي ،مركز الإسكندرية للكتاب ،الإسكندرية، 2003،ط1 ،ص 299
(6) علي ابراهيم حسن : مصر في العصور الوسطى ، ص 100
(7) ابن أياس :بدائع الزهور ،ج1 ، ص 44
(8) سيدة الكاشف :مصر في عصر الطولونيين و الإخشيديين ،ص 277

والتي كانت تشجع تلاميذها على غزو هذا البلد، و بفضل هؤلاء الدعاة أضحى في مصر عدد غير قليل من الأنصار، الذين شجعوا بدورهم المعز على غزو مصر و الاستيلاء عليها [1]، ومما سهل مهمة الدعاة ميل المصريين إلى المذهب العلوي بسبب ميلهم إلى علي بن أبي طالب والتفافهم قبلاً حول الوالي محمد بن أبي بكر وكان الدعاة يعملون في مصر منذ سقوط الدولة الطولونية وزاد اتصالهم بوجوه مصر منذ قيام الدولة الإخشيدية، وبما أن القضاة في عهد الإخشيديين لهم مكانة في الدولة حاولوا استدراج ميل أبا الطاهر الزهلي ،الذي تولى قضاة مصر والذي ناظر رسول الفاطميين حين وصل مدينة الفسطاط من أجل عرض سياسة الفاطميين ومد نفوذهم في مصر على حساب الإخشيديين، وتعتبر هذه الفترة حالة سياسية انتقالية من وضع سياسي إلى آخر أي من دولة حكمت مصر سنين عدة إلى دولة جديدة تغرس جذور دولتها على أنقاض هذه الدولة القديمة، والمقصود عصر الطولونيين والإخشيديين إلى الدولة الفاطمية الجديدة.ومن هنا نرى أن حالة الضعف واليؤس التي وصلت إليها مصر ،وعجز العباسيين عن إرسال الجيوش لصد الأعداء عنها فمهد السبيل أمام الفاطميين وقائدهم المعز لدين الله لفتح مصر [2]، ويتضح لنا من هذا مدى تأثير الدولة الفاطمية في مصر على الصعيدين الحكومي والشعبي ،كما يتضح أن التغلغل الفاطمي في صميم الحياة المصرية قد هيأ الجو لحدوث اصطدامات بين أنصار الفاطميين حيث كان الجنود المصريون من أصول سودانية وتركية ألسنة يسألون من يقابلونه (من ذالك)، فإن لم يقل معاوية ،ضربوه وطاف أحد المتحمسين من السودان في الطرقات.وهكذا فإن الأخطار الخارجية التي واجهتها مصر، والاضطراب السياسي وسوء الحالة الاقتصادية وانتشار الدعوة الفاطمية كل ذلك حمل أول الزايات في البلاد على الكتابة إلى المعز لدين الله الفاطمي يطلبون منه القدوم إلى مصر لإنقاذها من الفوضى التي دبت فيها منذ أن اختفت شخصية كافور عن الحكم في مصر. [3]

وهكذا زال سلطان الإخشيديين والعباسيين جميعاً عن مصر وأصبحت هذه البلاد هدف الدولة الفاطمية [4] التي كانت تسعى لتحقيقه، وهو إقامة خلافة جديدة تحل

---

(1) طقوش:محمد سهيل :تاريخ الفاطميين في شمال أفريقيا ومصر ،دار النفائس،بيروت ،2005،ط2،ص 185
(2) علي ابراهيم حسن :تاريخ جوهر الصقلي ،ص 25
(3) محمد طقوش :تاريخ الفاطميين ، ،ص187
(4) سيدة كاشف:تاريخ الطولونيين و الاخشيديين في مصر ،ص 119

محل الخلافة العباسية وترثها في حكم العالم الإسلامي، فبعد أن نجح الفاطميون في إقامة دولتهم في بلاد المغرب، أخذوا يعدون العدة لتحقيق هذا الهدف، فوجهوا أنظارهم نحو مصر لعلهم يحققون حلمهم فوق أرضها وتحت سمائها، معدين العدة من الأموال والجيوش والجنود المقاتلة الذين بدأوا يجمعونهم تحت ألوية مقاتلة.

ويتضح لنا من العرض السابق للأوضاع في شمال أفريقيا ومصر، أن ضعف الخلافة العباسية في بغداد،نتج عنه ظهور دويلات مستقلة في أنحاء الدولة الإسلامية خاصة في بلاد المغرب ومصر، وأن هذه الدويلات امتلكت أسباب القوة والمنعة المتمثلة في تكوين الجيوش وإقامة العمران،وكذلك في التقدم الاقتصادي، كما هو الحال في دولة الأغالبة في أفريقية،غير أن هذه الدولة أصابها الوهن في آخر أيامها ،بسبب انغماس آخر أمرائها في الملذات وانصرافهم عن شئون الحكم،مما جعل دولة الأغالبة تقع لقمة سائغة في يد أبي عبدالله الشيعي داعية الفاطميين في أفريقيا.

وكذلك الحال في العهد الإخشيدي،الذي ظهرت فيه ملامح النهضة، أو التي تمثلت في آثارهم وفنونهم، وازدهار حياتهم الثقافية ،خاصة في عهد الإخشيد وكافور،اللذين استطاعا القضاء على الفوضى والاضطراب اللذين سادا مصر بعد زوال دولة الطولونيين،ونعمت مصر في عهدهما بقسط من الهدوء و الاستقرار،إلا أن الإخشيديين كسابقهم انتكسوا في آخر أيامهم،بسبب تنازعهم على السلطة وانقسامهم فيما بينهم، وتعاونهم مع أعداء العباسيين وأعدائهم أي الفاطميين في الشمال الأفريقي ،حيث سهلوا لدعاتهم من الشيعة التسرب إلى الديار المصرية حيث عملوا على نشر مذهبهم، وبالتالي زعزعة الأوضاع السياسية في مصر.

المبحث الثاني

غزو مصر وإنشاء مقرا لخلافة

أدرك الفاطميون أن مهمتهم في القضاء على الوجود العباسي صعبة عسكرياً ،وأن بقاءهم في ركنهم المنعزل في المغرب أصعب ،لذا اتجهت أطماعهم نحو غزو مصر، إذ لم يغب عنهم أن فتحها مضاه فتح الشام والسيطرة على الحجاز،كما أنها الطريق الوحيد للوصول إلى العراق،فضلاً على أن غنى مصر وثروتها يساعدهم في تحقيق أهدافهم للخروج من منطقة المغرب، التي أصبحت تضيق عليهم ، فقد كانوا على خلاف مع الدولة العلوية في المغرب الأقصى، ومع الدولة الرستمية في المغرب الأوسط ،كما كان وجود قبائل البربر يهدد سلامتهم.

لذلك قرر عبيد الله أن يضرب الدولة العباسية في هذا البلد، والاستيلاء عليها، فجهز لذلك حملات ضخمة لدق تحصيناتها، فكانت الحملة الأولى في سنة 302هـ/915م بقيادة القائد الفاطمي حباسة بن الكتامي، الذي خرج من قاعدته وخرج إلى برقة ومنها إلى مصر لملاقاة القائد العباسي أبي النمر أحمد بن صالح الذي أجبر الحملة الفاطمية إلى التراجع لفترة ثم تقدم الفاطميون باتجاه مصر و واصلوا مسيرهم حتى وصلوا إلى الإسكندرية، وتوغلوا في الوجه البحري، مما أدى إلى اشتباك الفريقين في معركة قوية بمدينة مشتول، على مقربة من الجيزة، ونتج عن ذلك انهزام الحملة الفاطمية ورجوعها إلى المغرب[1]

أما بالنسبة إلى الحملة الثانية فكانت في سنة 306هـ/921م ، فقد امتزجت بالرفض من قبل أهالي مدينة برقة بعد عودة الحملة الأولى للحكم الفاطمي، والقبول من قبل المغاربة الطامحين لدخول بلاد جديدة، ونتج عن ذلك أن أخضع الفاطميون البرقاويين لسيطرتهم وأخضعوا المنطقة، وأصبحت مركزاً للانطلاق إلى مصر، وأرسل عبيد الله المهدي ولي عهده القائم إلى مصر للمرة الثانية للاستيلاء عليها، وأمده بالقوة البحرية مساندة له حيث دخلها دون مقاومة تذكر،[2] وقبل متابعة الزحف

---

[1] محمد سرور. الدولة الفاطمية في مصر .ص 61.

[2] ابن عذاري :أبو العباس أحمد ،البيان المغرب في حلى الاندلس والمغرب ،دارا لثقافة ،بيروت ،ج 1، ص 181

إلي الفسطاط توقف القائم في الإسكندرية لكي يتمكن من جمع فلول قواته من ناحية وانتظاراً لوصول الأسطول القادم لمساعدته من ناحية أخرى ولهذا اكتفى بإرسال طليعة من جيشه بقيادة سلمان بن كافي الذي استولى على الفيوم والأشمونيين، وكان رد الفعل العباسي على هذه الحملة سريعاً وقوياً، فأرسل الخليفة العباسي قوة بحرية بقيادة ثمال الخادم اصطدمت بالأسطول الفاطمي في السواحل المغاربية ، ولقد أثرت هذه الهزيمة على الفاطميين من الناحية النفسية خصوصاً على الجيش البري الذي كان مرابطا بالإسكندرية، مما أجبر القائم على مواجهة الجيش العباسي القادم من الولايات الأخرى إلى مصر بقيادة مؤنس الخادم، واستقر في الجيزة، حيث أرسل قواته لمواجهة الجيش الفاطمي الذي انهزم وأجبر على الرحيل من الإسكندرية. [1]

ولقد عمد مؤنس الخادم القضاء على الحامية الفاطمية في الإسكندرية بقيادة ثعلبة، مما جعل موقف القائم الفاطمي من أثر هذه التطورات السلبية محرجا، واضطر بذلك إلى الانسحاب إلى برقة و العودة إلى أفريقية والوصول إلى المهدية في سنة 309ه/921م، وكان انتصار للعباسيين فقد قتلوا واسروا من الفاطميين الكثير ، كما انتهت المعارك البرية لصالح العباسيين .

أما الحملة الثالثة فكانت بقيادة حبشي بن أحمد واستمرت ثلاث سنوات 321هـ/933م تخللها عقد معاهدة صلح بين المصريين وحبشي بن أحمد ، وبعد محاولات، لم يستطع للمرة الثالثة من الاستيلاء على مصر [2] وكانت الخطوة التالية للفاطميين هي جمع الأموال لغرض تحقيق الهدف الفاطمي الأكبر وهو إخضاع العالم الإسلامي إلى الخلافة الفاطمية بغض النظر عن الطريقة المتبعة في تحصيل تلك الأموال، فبدأ الفاطميون وقائدهم بفرض الضرائب والجزى المثقلة على الأهالي في كافة المغرب خصوصاً المناطق الواقعة تحت سيطرتهم. [3]

ولقد زادت شدة الفاطميين في أفريقيا بعد هزيمتهم في الحملات الثلاثة على مصر ، وبما أنهم أنفقوا على هذه الحملات أموالاً طائلة، كان لابد لهم من استرجاع تلك الأموال بأي طريقة، وكانت أول هذه الأمور هي استحداث دواوين جديدة ومتخصصة

---

[1] محمد طقوش :تاريخ الفاطميين في شمال أفريقيا ،ص 108

[2] رزق الله :إبراهيم ،التاريخ السياسي والفاطمي ،منشورات جامعة ،سبها،1996،ط1،ص ص28،29

[3] محمد حسين يوسف :الإدارة الفاطمية في بلاد المغرب ،رسالة ماجستير في التاريخ الاسلامي ،جامعة القاهرة ،1987،ص 38

[4] ابن عذارى :البيان المغرب في حلى الاندلس ،ج1 ،ص 181

في جمع الأموال، وترتب أوجه نفقتها المختلفة، لذلك كان من الطبيعي أن يستحدث أيضاً أنواعاً جديدة من الضرائب، يسدد بها حاجات بيت المال مثل ضريبة التضييع، التي فرضت في سنة 305هـ/917م على ضياع أفريقيا وضريبة الأرض.[4]

ومن أهم الضرائب المستحدثة أيضا ضريبة الحج، التي قررها المهدي في سنة 309هـ/921م أمر بأن تكون الطريق إجباريا على المهدية، حيث تم التوقف لأداء ضريبة تسمى السطور علماً أن الطريق المختصرة هي طريق مصر[1]

نتيجة لذلك أثيرت عدة فتن واضطرابات في الحكم الفاطمي في المغرب، أن هذه الإجراءات جعلت الأمر أشد من الناحية المادية، فقد كانت هناك حالة من الضغط المالي على المغاربة، حيث قامت عدة ثورات على سياسة الفاطميين منها ثورة أبي بن كيداد النكارى في سنة 316ه/ 928م، وكذلك ثورة الشاكر لله وهو محمد بن الفتح بن ميمون، وهي حركة حضرية وهدفها الانفصال عن الحكم الفاطمي وطاعتهم وبسط نفوذه على المناطق التي يقيمون فيها.[2]

ولما ولى المعز لدين الله الفاطمي الحكم بعد أبيه، حاول تأديب الشاكر لله بعد أن استفحل أمره في هذه المنطقة وأصبح يشكل خطراً على الوجود الفاطمي في المغرب، وأصبح من المعيقات للفاطميين ونجحوا في ذلك بعد محاولات عدة.[3]

وبعد أن امتد نفوذ الفاطميين في بلاد المغرب كافة، رأوا أن هذه البلاد لا تصلح لكي تكون مركزا لدولتهم، وذلك بسبب ضعف مواردها، إضافة إلى الاضطراب الذي كان يسودها من وقت إلى آخر، وعدم الإحساس بالأمان من جهة البربر، لذلك اتجهت أنظارهم إلى مصر لوفرة ثروتها، وقربها من بلاد المشرق ولكونها وسط العالم الإسلامي، الأمر الذي يجعلها صالحة لإقامة دولة مستقلة تنافس العباسيين[4]، كما كان لضعف الدولة العباسية وانشغالها بدفع البيزنطيين عن بلادها دورٌ مهد .أضف إلى ذلك تأييد الشيعيين في مصر لدعوة الفاطميين، حتى أنهم كتبوا إلى المعز يطلبون منه إرسال جيش لفتح هذه البلاد،وكان ليعقوب بن كلس، الذي استوزره كافور ثم هرب

---

[1] عبد الحميد ،سعد زغلول ،تاريخ المغرب العربي ،منشأة المعارف ،الإسكندرية ،1997، ج3، ط1، ص 133
[2] عطية ،ونيس عمر ،الجزية والخراج في المغرب العربي من الفتح حتى انتقال الخلافة الفاطمية إلى مصر ،رسالة ماجستير ،كلية الآداب،جامعة الفاتح ،2005،ص 131
[3] القاضي النعمان ابن حيون ،المجالس والمسايرات،مخطوط،جامعة القاهرة ،رقم(26060) ، ص 26
[4] محمد سرور، الدولة الفاطمية في مصر ،ص 61

إلى بلاد المغرب، واتصل بالمعز أثر كبير في بيان حالة الضعف التي سادت مصر على أثر وفاة كافور، وحثه للخليفة على المبادرة بإرسال جيوشه إليها.

وبعد ثلاث محاولات فاشلة لفتح مصر قام بها عبيد الله المهدي، جاء عصر المعز لدين الله الفاطمي الذي كان فيه فتح لمصر بسبب عدة عوامل، منها ضعف

الخلافة العباسية صاحبة السيادة على مصر، وضعف الدولة الإخشيدية (323/358هـ)صاحبة السلطان الفعلي فيها.[1]

وقبل أن يقرر المعز التوجه إلى المشرق ركز وتوجيه اهتمامه الفعلي إلى تحقيق هدف الفاطميين، فقد كل قوته في مغامرة عسكرية للاستيلاء على الشمال الأفريقي، وليختبر عن طريقها القوة العسكرية لجيشه الذي سيبعث به لفتح مصر، وعهد المعز مهمة تثبيت سلطة الفاطميين ومد نفوذهم في المغرب الأقصى إلى القائد الفاطمي جوهر الصقلي، الذي قاد في سنة 347هـ/958م حملة عسكرية ناجحة ضد البربر الثائرين على الخلافة الفاطمية، وخاصة في إقليمي سجلماسة وتاهرت وبذلك تمكن من هزيمة مراكز مقاومة الفاطميين فيما عدا المراكز التابعة لأمويين الأندلس في سبتة [2] بدأ التقدم الفاطمي نحو مصر بعد أن كون المعز لدين الله الفاطمي دولته في المغرب، ثم حول قوته التي كون بها إمارته نحو الشرق، ونراه في إحدى رسائله يقول (لتملكن أنا و ولي بن العباس و لتدوسن خيولي بطونهم) وبدأ في جمع الجنود من كتامه وزويلة، بعد أن أغدق عليهم الأموال والعطايا حتى بلغ نصيب الفرد الواحد من ألف إلى عشرين ألف دينار.[3]

أضف إلى ذلك الأخبار التي كانت تأتي إلى المعز تنبؤه بتدني الأوضاع في الدولة العباسية، مما يجعلها عاجزة عن صد أي تحركات عسكرية ينوى القيام بها ضد مصر، فالخلافة العباسية في بغداد،تعاني من الوهن والشيخوخة،نتيجة تدخل العناصر الأجنبية في شئونها لدرجة أن أصبح الأتراك حكاماً حقيقيين في الدولة العباسية يتصرفون فيها كما يشاءون.[4]

---

[1] سالم ؛السيد عبد العزيز،تاريخ مصر الإسلامية حتى نهاية العصر الفاطمي ،مؤسسة شباب الجامعة ،الاسكندرية ،2003،ط1،ص 154

[2] سيد ؛أيمن فؤاد،الدولة الفاطمية في مصر ،الدار المصرية اللبنانية للنشر ،القاهرة ،1992،ط1،ص 63

[3] ابن أبي دينار ؛محمد بن أبي القاسم . المؤنس في أخبار افريقية و تونس ،(د.ن)،تونس ،1967،ط3،ص 64

[4] مشرفة ؛عطية مصطفى ،نظم الحكم في عصر الفاطميين،(د.ن)، القاهرة ،1948،ط1،ص ص 313 ،524

ولم تكن حالة الضعف التي انتابت الخلافة العباسية في بغداد ذات أسباب سياسية فقط، ولكنها كانت تعود من جهة أخرى إلى أسباب دينية، فقد ظهرت فيها مذاهب دينية كان من أهمها،أنصار ابن حنبل وغيرهم الذين بثوا الدعايات المغرضة ضد العباسيين وظنوا بهم الظنون السيئة فاتهموهم بالانغماس في الملذات وشرب الخمر،إضافة إلى استهتارهم بالدين وخروجهم عن قواعده[1]، هذا من الداخل، أما من الخارج، فقد أدرك الخليفة المعز لدين الله الفاطمي أن مصر أصبحت سهلة المنال،بسبب ارتباك الدولة العباسية نتيجة لاستيلاء الدولة البيزنطية على كريت وقبرص، واقتطاعهما من الدولة العباسية،في الوقت الذي عقد فيه المعز صلحاً مع البيزنطيين بعد أن كبدهم خسائر فادحة في مضيق سيناء عام 245هـ/859م وحطم أسطولهم الذي حاول الاستيلاء على قبرص، كل ذلك هيأ للمعز الفرصة،وبدأ الاستعداد للسير نحو مصر.[2]

ولهذا أصدر المعز أوامره للقواد الفاطميين بالاستعداد للخروج إلى مصر، وفي سنة 355ه/965م أمر المعز بحفر الآبار على طول الطريق المؤدية إلى مصر، كما أمر الجنود بأن يبنوا له قصراً في كل مكان يحطون فيه[3] فقام بجمع الضرائب والرسوم التي كانت على القبائل والتي بلغت خمس مائة ألف دينار و أضاف ما يقرب من خمسمائة حمل من الدنانير.[4]

بعد أن أعد المعز لدين الله العدة لفتح مصر،بجمع الأموال الوفيرة التي يقال أنها بلغت أربعاً وعشرين مليون دينار ،كما قضى سنتين في حفر الآبار وإقامة المنازل في الطرقات المؤدية بين المغرب ومصر،وأعد جيشاً ضخما بلغ مائة ألف مقاتل، حتى وصف بأنه جمع يشبه جمع عرفات من كثرته[5] وأمد المعز لدين الله هذا الجيش بأموال وفيرة وضعها في صناديق بلغ مجموعها ألفاً ومائتي صندوق حملها على الجمال، وجمع رجال الجيش من قبيلة كتامة إحدى قبائل البربر التي تتميز رجالها بالشجاعة الفائقة، حين عيد إليها إخضاع المغرب لسلطان المعز لدين تم ،ولقد خطب

---

[1] تامر :عارف، المعز لدين الله الفاطمي ،دار الكتب الوطنية ، بيروت ،1982،ط2،ص 103

[2] أرشيبالد:لويس ،القوة البحرية في حوض البحر المتوسط ،مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ،1960 ط1 ،ص ص297، 298

[3] الحنبلي :شذرات الذهب في أخبار الذهب ،ج3 ،ص 53 ،كذلك المحامي :محمد فريد بك ،تاريخ الدولة العليا العثمانية ،مطبعة التقدم للنشر ، القاهرة،1912 ،ط3 ،ص 22

[4] ابن خلكان :شمس الدين ،وفيات الاعيان وأبناء الزمان ،دار الصادر ،بيروت ،1948،ج5 ،ص 226

[5] ايمن فواد السيد :الدولة الفاطمية في مصر ،ص 251

الخليفة في رجال كتامة قبل رحيلهم إلى مصر خطبة طويلة، هي في الواقع وثيقة تاريخية تتضمن الخطة التي اعتزم المعز نهجها من النواحي السياسية والدينية،إذ انتهز الخليفة هذه الفرصة و أوضح لأتباعه أنه يعيش عيشة زهد وتقشف كي يخصص همته و وقته لبلوغ غايته، وهي تعمير البلاد وصيانة أرواح رعاياه وإخضاع أعدائهم، و يحقق المعز المثل المشهور (العدل أساس الملك) [1] ولقد كان بحاجة إلى قائد قوي يكون على قدر من المسئولية لهذا الجيش العظيم، وقد لفت أنظاره قائد له كثير من الشجاعة والبسالة وهو جوهر الصقلي، الذي تدرج في السلطة الفاطمية وتحكم في الجيش وفي شهر ربيع الأول سنة 358هـ/969م وبذلك وضع المعز على رأس هذا الجيش جوهر الصقلي فخرج من القيروان أكبر مدن بلاد المغرب في 14 ربيع الثاني من سنة 358ه/969م ووصل إلى رقادة التي تبعد عن القيروان بأربع أميال، فاستقبله فيها الخليفة المعز لدين الله و حياه تحية بالغة وكشف عن مبلغ ثقته بنجاحه في مهمته، فقال له أمام جنده "والله لو خرج جوهر وحده لفتح مصر، "ومنها سار جوهر إلى برقة *فترجل له صاحبها وقبل يده وهي التحية التي أمره المعز بأدائها لجوهر وكان قد كبر هذا على الوالي ،وبذل مائة ألف دينار على أن يعفى من أداء التحية على هذا النحو، ولكن المعز لم يجبه إلى طلبه ثم وصل جوهر في النهاية إلى الإسكندرية فسلمت له ،ثم سار بعد ذلك إلى الفسطاط حيث وصل الجيزة وأخضعها له وعبر وادي النيل إلى الفسطاط.[2]

وأدرك المسؤلون في مصر وعلى رأسهم الوزير جعفر بن الفرات أنه لا طاقة لهم بمقاومة الجيش الفاطمي الجرار، فجمع هذا الوزير وجوه القوم للتداول في الأمر، وكانت في ذلك الوقت وفود جوهر الصقلي ترد إليهم، واتفق الجميع على عدم اتخاذ أي موقف معادٍ، والميل إلى التفاوض في شروط التسليم وطلب الأمان لأرواح المصريين و أملاكهم، فشكلوا وفداً من أجل هذه الغاية على رأسه أبو جعفر المسلم، وقد اختاروه بفعل قرابته من الأسرة الفاطمية،وقد دل هذا الاختيار على الحنكة السياسية، لأن ذلك من العوامل التي أدت إلى إجابة جوهر الصقلي لمطالبهم[3]، وكان هذا رد فعل طبيعي، فلم يكن المصريون سعداء في ظل ولاة العباسيين، وكانوا

---

(1) علي ابراهيم حسن ،مصر في العصور الوسطى ،ص ص116،117

(2) ابن خلكان ،وفيات الأعيان ،ج1 ،ص 148

(3) محمد طقوش ،تاريخ الفاطميين ،ص 191

يرغبون في تحسين مركزهم بمجيء الفاطميين ،بحيث أن كثيراً من المؤرخين كـانوا يذكرون أن مجيء الفاطميين إلى مصر كان بناء على دعوة المصريين، فقد وقعـت مجاعات وتعذر وجود الأقوات، وكان جند العباسيين الترك يتحاربون فيما بينهم، فقتل خلق كثيرون، ونهبت الأسواق والبيوت، وأحرقت وضاعت الأموال ، كما أن شـيعة المعز بمصر وجدوا الفرصة سانحة فطلبوا منه إنقاذ العسكر[1]، وقالوا لـه (إذا زال الحجر الأسود ملك مولانا المعز لدين الله الأرض كلها) والمقصود بالحجر الأسـود* كافور، وبذلك زالت مخاوف الأهالي بصحبة رسول جوهر، يحمل علماً يحمل اسـم الخليفة المعز وأمن الناس من جديد، وهدأ من روعهم بأن أعلن عدم مطـالبتهم بأيـة كلفة أو مؤنة يطلبهما منهم أو إجبارهم على دفع رسوم من مزارعهم ومحاصـيلهم أو تجارتهم أو من الصنائع التي يمتهنوها، بذلك زال سلطان الإخشيديين والعباسيين عن مصر وأصبحت هذه البلاد ولاية فاطمية، وغدت سريعاً الدولة الفاطميـة تمتـد مـن المحيط الأطلسي غرباً إلى البحر الأحمر شرقا، وبعد أن ساعدتهم الظروف المحيطة. وقد كانت تتمتع بمزايا سياسية وحربية خاصة وأن بلاد الشام والحجاز تخضعان لولاة مصر، بمعنى أن امتلاك مصر هو في ذات الوقت سيطرة على الشام والحجاز، ومن جهة أخرى فإن امتلاك البلاد المصرية يفتح الطريق إلى عاصمة الخلافـة العباسـية بغداد[2]ناهيك عن أن موقع مصر الجغرافي الممتاز ،الذي يتوسط القـارتين الأفريقيـة والأسيوية [3] يساعد على قيام الحياة في يسر ورخاء،في السهول والوديـان وحـول موارد المياه العذبة ،إن هذا الموقع سيجعل الفاطميين قريبين من المراكز الإسـلامية القديمة التي يسعون إليها مثل المدينة المنورة ودمشق وبغداد[4] ومن أجل ذلك كتـب جوهر الصقلي أماناً لأهل مصر أعلن فيه عن البرنامج الإصلاحي الذي سيسير عليه في سياسته المستقبلية، مثل تأمين الناس على أنفسهم وأموالهم وتركهم أحراراً علـى مذاهبهم الدينية المختلفة، ورفع الظلم وإلغاء الضرائب الجائرة، وإصلاح الطـرق [5]

---

[1] عبد المنعم ماجد :ظهور الخلافة الفاطمية ، ص 191.

*الحجر الاسود :وهو حجر موجود في الكعبة وهو قريب من نصف دائرة وطوله من جدار البيت الشريف إلى آخر جوف الحجر على خط استواء وعرض الحجر من الحجر المبارك من الشرق إلى الغرب أربع وعشرون ذراع ومن داخل الدائرة سبع وأربعون وقال تعالى "ولقد كذب أصحاب الحجر المرسلين" الاية (80 سورة الحجر. السبتي :القاسم بن يوسف التجيبي ،مستفاد الرحلة والاغتراب ،الدار العربية للكتاب ،تونس ،(د.ت) ،(د.ط) ،ص 280 .

[2] حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسي ، ص 147 .

[3] الخربوطلي :علي حسني ،العزيز بالله الفاطمي ،وزارة الثقافة للنشر ،القاهرة ،1986،ط1،ص 18

[4] شـافعي : فريـد ،العمارة العربيـة فـي مصـر الإسـلامية،جامعة القـاهرة 1970،ج1،ص 284

[5] احمد مختار العبادي :التاريخ العباسي والفاطمي ،ص 250

كما أقر هذا البرنامج إقامة شعائر الحج والعمل على استتباب الأمن، وتوفير الأقوات وإصلاح العملة، ونشر العدل، ووعد بدفع رواتب للمؤذنين والأئمة من بيت المال، وأن يجري الأذان والصلاة وصيام شهر رمضان وفطرة والزكاة والحج والجهاد على ما ورد في كتاب الله وسنة رسوله وتعهد جوهر الصقلي في كتاب الأمان بتأمين المصريين على أنفسهم وأموالهم وأهاليهم[1] .

ولقد برهن جوهر على حسن سياسته حين لجأ إلى الوسائل السلمية في نشر المذهب الفاطمي،ولم يلجأ إلى العنف والشدة ،فاعتمد على المساجد التي اتخذها كمدارس يتلقى فيها الأهالي تعاليم هذا المذهب،دون أن يفرض اعتقاده كرهاً بيد أن هذا لم يمنعه من تحقيق الغرض الأول من سياسة الفاطميين،وهو تعميم هذا المذهب بين المصريين وذلك بإسناد مناصب الدولة الهامة إلى معتنقي هذا المذهب مصريين كانوا أو مغاربة[2]، وقد قصد من هذه السياسة التي تتجلى في بيان جوهر الصقلي العمل لصالح مصر ودأب جوهر على تنفيذها هو ومن جاء معه من الفاطميين،كما عبر جوهر الصقلي منذ وصوله عن إعطاء المصريين على اختلاف مذاهبهم حرية العبادة الدينية مع بعض التحفظ البسيط الذي يتعارض مع الدعوة الفاطمية في مصر [3] كما أسس الجامع الأزهر ليكون منبراً للمذهب الفاطمي، وأضاف في الخطبة والأذان عبارات شيعية بحتة من أهمها (السلام على الأئمة ،آباء أمير المؤمنين ،المعز لدين الله) كما أمر بأن تنقش جدران جامع عمرو بن العاص باللون الأخضر وهو شعار العلويين،[4] وما أن بدأت جيوش الفاطميين بالتوغل في المناطق المصرية ووصولهم إلى الإسكندرية[5] حتى دب الرعب في أغلب الأهالي في المدينة، فاتجه كثير منهم إلى الشام، للإقامة بها وجمع جوهر جيوشه لبداية الحكم الجديد[6] .

---

(1) محمد سرور :الدولة الفاطمية في مصر ،ص259

(2) عبد المنعم ماجد :ظهور الدولة الفاطمية وسقوطها ،ص 122

(3) ابن خلكان :وفيات الأعيان ،ج1 ،ص ص352، 353

(4) عبد المنعم ماجد :ظهور الدولة الفاطمية وسقوطها ، ص 123

(5) شلبي ،أحمد،التاريخ الإسلامي الحضارة الإسلامية،دار المعارف ،القاهرة ،1963،ج4،ط1،ص 282

(6) أبو الفداء :عماد الدين إسماعيل ،المختصر في أخبار البشر،دار المعرفة ،بيروت ،1948،ج1 ،ص 181، كذلك بروكلمان :كارل ، تاريخ الشعوب الإسلامية ،دار العلم للملايين ،بيروت ،1965 ،ط4 ،ص 254

* جوهر الصقلي : وعرف أيضا بجوهر الصقلبي ويذكر أنه كان أحد أحفاد الصقليين الذين كانوا منتشرين في البلاط الفاطمي في الدور الأفريقي وهو القائد العسكري الذي كسب ثقة المعز لدين الله الفاطمي مما منحه سلطة كاملة سواء من الناحية العسكرية أو السياسية أو المالية وهو أحد مفاتيح النجاح لجيوش الدولة الفاطمية في مصر والشام . انظر ، أيمن فؤاد السيد ، الدولة الفاطمية ، ص 72

واستمرت سياسة جوهر الصقلي * في مصر، فقام بعدة أعمال تظهر قوة شخصيته السياسية والحربية، ولقد أمر جوهر الصقلي بحذف الدعوة لخلفاء بني العباس التي كانت تقام بمساجد مصر، وأقامها للخليفة المعز لدين الله وضرب السكة باسم الخليفة الفاطمي بدلا من اسم الخليفة العباسي، وعلي أحد وجهي السكة (دعا

الإمام معد بتوحيد الإله الصمد)، وفي السطر الثاني (المعز لدين الله أمير المؤمنين)، وفي السطر الثالث (ضرب هذا الدينار بمصر سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة)،وكان علي الوجه الآخر (لا إله إلا الله محمد رسول الله أرسله بالهدي ودين الحق ، ليظهره علي الدين كله ولو كره المشركون علي أفضل الوحيين وزير خير المرسلين)، [1] ولم ينس جوهر الصقلي إقامة مكان للعبادة لممارسة الشعائر الدينية الفاطمية التي تناهض الشعائر المصرية السنية بإقامة هذه الشعائر في المساجد المصرية، وعدم الحساسيات الدينية علي الأقل في بداية الدعوة الفاطمية.[2] شرع جوهر في تنفيذ بناء جامع الأزهر بعد عدة سنوات من التخطيط وكان في اليوم الرابع من شهر رمضان سنة 359 هـ / 969 م ، ولقد تم بناؤه في سنتين تقريباً ، وكان هذا الجامع قد سمي في بادئ الأمر بجامع القاهرة ، أما تسميته بالجامع الأزهر فيظهر أنها أطلقت عليه في عصر العزيز، بعد أن أنشئت القصور الفاطمية التي كان يطلق عليها اسم القصور الزاهرة، وقد استمر الجامع يعرف بهذين الاسمين حتى أوائل القرن التاسع الهجري، ثم تقلص الاسم القديم وغلب عليه اسم الجامع الأزهر الذي جعل منه مركزًا لنشر المذهب الشيعي الجديد ومقرًا ثابتا لخلافة جديدة [3] ،ومنذ هذا الوقت أصبح هذا الجامع مقرًا لتجمع العلماء والشعراء والقراء والمتحدثين في أمور الدين والوعي الإسلامي ، مما جعل بعد ذلك عدة ولاة من أمثال يعقوب بن كلس بأن يتبع هذه الطريقة في نشر تعاليم الدين بأن جعل بيته مقرًا لهؤلاء العلماء ، بل كان يرأس هو نفسه بعض المحاضرات . كما أنه ألف كتابا أطلق عليه(الرسالة الوزيرية) [4]

---

(1) محمد سرور ،الدولة الفاطمية في مصر ، ص 72.

(2) ابراهيم رزق الله : التاريخ السياسي والفاطمي ، ص 58

(3) الجميلي : دراسات في تاريخ الدولة العباسية ، ص 415

(4) ابن الصيرفي : أبوالقاسم بن منجب ، القانون في ديوان الرسائل والإشارة إلي من نال الوزارة ، د ر المصرية اللبنانية 1990، ص 50

* القاهرة : أنشأها جوهر الصقلي علي سهل رملي في شمال شرق الفسطاط ، ويبعد عن النيل بحوالي ميل وأول مباني القاهرة قصر المعز الذي استقبل فيه الخليفة المعز لدين الله ، العبادي ، التاريخ العباسي والفاطمي ، ص 250

كان تأسيس القاهرة * مبنيًا علي المكان الذي عسكرت فيه جيوش جوهر الصقلي وهو السهل الرملي في شمال شرق الفسطاط، ويبعد عن النيل بحوالي ميل، وكان يحد هذا السهل من ناحية الشرق جبل المقطم ، ومن الغرب قناة الخليج أو خليج أمير المؤمنين الذي حفره عمرو بن العاص، وكان يخرج من النيل شمالي الفسطاط ويمر بمدينة عين شمس القديمة،ويتصل في النهاية بالبحر الأحمر عند مدينة القلزم [1] وبعد أن بات المصريون في أمان ، وضعوا أساس عاصمة لهم، وحفروا الخندق وأداروا سوراً سميكاً من الطوب اللبن، كما اختطت كل قبيلة من القبائل المغربية التي جاءت معه حارة أو مكاناً لها عرفت باسمها ، وكانت هذه المدينة التي أنشأها جوهر الصقلي خلف الفسطاط بجوار جبل المقطم ، سماها جوهر أول الأمر المنصورية ، ربما هذه دلالة على تقربه من سيده وخليفته المعز لدين الله [2] وعند وصول الصقلي موقع القصر الذي قدر أن يستقبل فيه مولاه المعز، ويقال إن المعز هو الذي وضع له رسمه وتصاميمه، وأنه كان يحتوي على أربعة آلاف حجرة، وعرف هذا القصر باسم القصر الغربي، ثم عرف بعد ذلك باسم (القصر الشرقي الكبير) تمييزاً له عن القصر الغربي الصغير الذي بناه الخليفة العزيز بن المعز بعد ذلك ولقد أقام حول القصر سوراً كبير[3]، ولقد بنيت مدينة القاهرة علي امتداد الأرض من المئذنة الجنوبية لمسجد الحاكم شمالا، وإلي باب زويلة القديم جنوباً، ومن شاطئ الخليج غرباً إلي حدودها الحالية عند جبل المقطم شرقاً،فجاءت على شكل هندسي شبه مربع وكان هدف جوهر من بناء مدينة القاهرة في بداية الأمر ،هو أن يجعل منها قلعة يتحصن فيها الخليفة وآل بيته وحاشيته وقواد جيوشه وجنده ورجال دولته،[4] من الأخطار التي قد تحيط بها، مثل قمع الثورات الشعبية، وغيرها كما كان الحال في أفريقية.

وهنا يلاحظ أن من بين العواصم الإسلامية التي أنشئت من الفتح العربي، وهي الفسطاط والعسكر والقطائع*والقاهرة،ولم تبق سوى القاهرة فقد زالت الفسطاط سنة 563هـ/168ام، حين أمر الوزير المصري شاور بإحراقها خوفاً من دخول جيوش

---

[1] احمد مختار العبادي ، التاريخ العباسي والاندلسي ، ص 251

[2] عبد المنعم ماجد : ظهور الخلافة الفاطمية في مصر وسقوطها ، ص 108

[3] حمد مختار العبادي ، التاريخ العباسي والفاطمي ، ص 251

[4] فييت : غلستون :القاهرة مدينة الفن والتجارة،مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر ،بيروت +نيويورك 1968،ط1،ص 37

*القطائع :لقد كانت أجمل المدن الإسلامية ،أسسها ابن طولون في سنة 256هـ/870م على جبل ،فقد بنا فيها بساتين وقصور ضخمة جعل أمامه ميدان وكما بنا ثكنات لجنوده وحاشيته ،كما جذع النخل نحاساً مذهباً ،كما اهتم بالنافورات والعيون وقنوات المياه العذبة مما جعلها إحدى تحف المدن الإسلامية جمالا وعظمة ،انظر العبادي : ،ص 130 .

عموري ملك بيت المقدس إليها، حين وصل إلى الديار المصرية لمساعدة ضرغام في الوصول إلى منصب الوزارة ضد شاور، كذلك تخربت مدينة العسكر في عهد المستنصر بالله الفاطمي من 427-487 هـ/1036-1094م إثر المجاعة التي حدثت في ذلك العهد،كما قضى على مدينة القطائع في سنة 292ه/903م حين أشعل محمد بن سليمان قائد العباسيين النار في تلك العاصمة وجعلها كأن لم تكن[1] ،وكذلك يمكن القول أن العاصمة الثالثة القطائع لمصر الإسلامية كانت الأولى في الزوال، وتلتها العاصمة الثانية العسكر، وتلاهما العاصمة الأولى الفسطاط[2] ، وتعتبر مدينة القاهرة رابع العواصم الإسلامية بمصر، والتي أصبحت الحاضرة الوحيدة التي لم تتغير على مر العصور، ومن بين العواصم الأربع التي لم تتهدم أو تنتقل إلى مكان آخر [3]، وبدأ جوهر الصقلي في حفر أساس عاصمة الفاطميين الجديدة والقصر الكبير،لما دخلت العساكر الفاطمية بلاد مصر في اليوم التالي حضر المصريون لتهنئته، فوجدوه قد حفر أساس القصر ليلاً وكانت فيه أزورات فلم تعجبه،لكنه لم يغير فيه شيئاً وقال (قد حفر في ليلة مباركة وساعة سعيدة)[4]، وأن الجوهر أراد من بناء هذه المدينة أن تكون حاضرة حربية خاصة حتى أن السفراء الأجانب كانوا يترجلون عند وصولهم إلى أسوار القاهرة، خشية وخوفاً على أنفسهم وسلامتهم لأن العساكر الفاطميين كانت تتركز على أسوار المدينة مع أسلحتهم الحربية مما أدى إلى انتشار الرعب والخوف للقادمين إليها.ولعل الصفة التي عرفت بها هذه المدينة وهي القاهرة المحروسة ،توضح العزلة والحراسة القوية التي كانت عليها[5].وهكذا أنشأ جوهر الصقلي حاضرة جديدة للفاطميين في الديار المصرية، وأحاطها بسور كبير. ضم المناطق التي تكونت منها القاهرة المعزية، والقصر الجامع ، ليجعل منه حصناً ضد أي هجمات ، تتحصن به عساكره ،وكان السور من الناحية الغربية يبتعد عن الخليج نحو ثلاثين متراً،وزيادة في الحيطة عمد جوهر الصقلي إلى حفر خندق من الناحية الشمالية البحرية خارج السور، ليمنع اقتحام العساكر المعادية، من جميع الجهات[6]

---

[1] شافعي :العمارة العربية في مصر الاسلامية ،ج1 ،ص 318
[2] حسن :مصر في العصور الوسطى ، المرجع السابق ،ص ص121 ،1229
[3] السيد :تاريخ مصر الاسلامية ،ص 167
[4] ابراهيم رزق الله :التاريخ السياسي الفاطمي ،ص 53
[5] أحمد مختار العبادي :التاريخ العباسي والفاطمي ،ص 254
[6] إبراهيم رزق الله :التاريخ السياسي الفاطمي ، ص 53

وعقد جوهر في أسوار المدينة عدة أبواب، فكان في الشمال باب النصر وباب الفتوح ،فقد كان موضعهما إلى الجنوب من البابين الحاليين،فكان باب النصر بحذاء زاوية القاصد التي في آخر الجمالية من الشمال، وكان باب الفتوح القديم بحذاء حارة بين السياج الحالية،كما عقد في الجنوب بابين متجاورين سماهما بابي زويلة، وعقد في السور الشرقي بابين إحداهما كان اسمه باب القراطين،أما من الناحية الغربية فقد عقد باباً سماه باب السعادة.وعلى الرغم من أن جوهر الصقلي كان في ذلك الوقت قد بلغ من العمر الثامنة والخمسين وهو سن متقدم بالنسبة لقائد مقاتل إلا أنه استمر في سياسته الحربية [1] ،وبعد أن انتهى من بناء مصلى له وللجند، قام بتأسيس حارات داخل أسوار المدينة، فأخذ الجنود يبنون البيوت لهم فوق مساحات خصصت لكل قبيلة، أو طائفة من الجند رافقت جوهر الصقلي ،فاختطت لكل قبيلة حارة عرفت بها أو باسم قائدها، وبلغت هذه الحارات عشر حارات، وهي حارة كتامة نسبة إلى قبيلة كتامة وتقع في الجنوب الشرقي من الجامع الأزهر، وحارة زويلة وهي أكبر الحارات نزل بها أفراد قبيلة زويلة من البربر،ثم حارة الروم، وهي حارتان حارة الروم المشهورة وحارة الروم الجوانية، ثم حارة البرقية عرفت باسم أهل برقة،ثم حارة الجودرية وتنسب إلى جماعة من أتباع جودر ،خادم المهدي ،ثم تأتي حارة الديلم تنسب إلى سكانها الواصلين من الديلم صحبة افتكين المعزي غلام معز الدولة البويهي، ثم حارة برجوان تنسب إلى الخادم برجوان من خدم قصر المشهورين، ثم حارة الباطلية وتنسب هذه إلى جماعة جاءت إلى المعز لدين الله،لما قسم العطاء على الناس وموقعها في الجنوب الشرقي ثم حارة الريحانية، سميت نسبة إلى طائفة من عسكر الخلفاء الفاطميين نزلوا بها ،وآخر هذه الحارات هي الحارة الحسينية وتشمل عدة حارات سميت باسم جماعة جاءت من الحجاز فنزلوا بها[2]،إلا أن انتصار جوهر في مصر ، وإنشاءه القاهرة لم يكن يعني أن الفاطميين أخذوا مصر نهائياً ، فبقايا الإخشيديين الذين انهزموا في مصر قد انتقلوا إلى الشام[3]،وأراد جوهر مد نفوذه إليها ، لذلك عهد أحد قواده ، وهو جعفر بن الفرات بهذه المهمة وكان معروفاً بشجاعته[4].

---

[1] حران :تاج السر :النظم الإسلامية ،مكتبة الرشد للتوزيع ،الرياض ،2003،ط1،ص 160

[2] إبراهيم رزق الله :التاريخ السياسي الفاطمي ،ص 63

[3] حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام السياسي ، ص 149 .

[4] السيد عبد العزيز سالم : تاريخ مصر الإسلامية ، ص 172 .

والتقى بجيوش الشاميين البسيطة التي كانت تحت قيادة الحسن بن طغج الإخشيدي الذي أصبح والياً لرملة، وانتصرت جيوش جعفر انتصاراً ساحقاً، مما أدى إلى أسر الحسن بن طغج وأرسل إلى القاهرة ثم إلى المغرب [1] واستمرت الجيوش الفاطمية في التوغل في الشام، واستولى على طبرية بعد أن قضت على القائد الإخشيدي واتجهت إلى دمشق، لكن أهلها عزموا على المقاومة، وبالفعل لاقت الجيوش الفاطمية مقاومة عنيفة وعناء كبيراً في الاستيلاء على المدينة وانتهى الأمر بدخول هذه الجيوش مدينة دمشق في محرم سنة 359 هـ/ 969 م، ولقد اتبع جعفر الشدة في المعاملة، فأباح لجنوده السلب والنهب مما أثار سخط الأهالي في المدينة الذين استنجدوا بالقرامطة لتخليصهم من استبداد الفاطميين، ولبى القرامطة نداء أهل دمشق ، خاصة وأن جعفر بن فرات قطع عن القرامطة الجزية التي كان يدفعها أهل دمشق لزعيمهم الحسن بن أحمد القرمطي المعروف بالحسن الأعصم، الذي استولى على الشام ودخل دمشق واشتبك مع جعفر بن الفرات الذي قتل على أيدي جنود الأعصم الذي أمر بلعن الخليفة المعز لدين الله على منابر الجامع الأموي بدمشق[2] .إلا أن الخطر الحقيقي الذي أصبح يهدد أنصار الفاطميين في مصر أتى من قبل القبائل العربية الكثيرة، التي خرجت من البحرين بتحريض العباسيين الذين هالهم انتصار الفاطميين في مصر وزحفهم إلى الشام[3].

وما أن استقرت الأمور لجوهر حتى أخذ يضع سياسته الجديدة، ووضع على رأس كل إدارة موظفين أحدهما مصري والآخر مغربي ، وذلك لضمان المساواة بين الناس ، ثم وجه عنايته وهمته إلى مد نفوذ الفاطميين في بلاد النوبة ومكة والمدينة واليمن[4]، وأراد جوهر من هذه السياسة أن تكون القاهرة حاضرة الدولة الفاطمية، وأن تلغي وجود بغداد عاصمة الدولة العباسية السنية المتداعية، وكان لتلك المنافسة أبعد الأثر في الحضارة الإسلامية، وأراد من ذلك أيضاً تحسين أحوال سكان البلاد الداخلية . فقد وصلوا تحت حكم العباسيين إلى الدرك الأسفل من البؤس والشقاء، وقد جعل هذا العهد الذي أعطاه جوهر للمصريين تحقيق هذه الآمال أمراً محتمل الوقوع، ذلك أن

---

[1] عبد المنعم ماجد : ظهور خلافة الفاطميين ، ص 109 .

[2] السيد عبد العزيز سالم :تاريخ مصر الاسلامية ، ص ص 173 ، 174 .

[3] عبد المنعم ماجد : ظهور خلافة الفاطميين ، ص 109 .

[4] يونس : إبراهيم : الموجز الواضح في تاريخ العرب ، دار الكتاب العربي ، القاهرة ، 1969 ، ط1 ، ص 121.

تأمينهم على أرواحهم وأموالهم وحمايتهم مما لحقهم من ظلم حكامهم السابقين ، ومن إغارات الأعداء الذين لطالما تعدوا على حاجتهم مثل القرامطة والإغريق، واستمر جوهر في سياسة الإصلاح هذه لمدة أربع سنوات متتالية، حيث تمكن خلال ذلك من بسط نفوذه السياسي والديني[1].وبعد أن أطمأن جوهر على أركان الدولة.[2] بعث رسولاً إلى المعز لدين الله، يخبره بأنه أخضع مصر والشام والحجاز لسلطانه، وأن الدعوة قد أقيمت له في كافة أرجاء هذه البلاد، تقررت قواعد ملكه في مصر، استخلف المعز لدين الله القائد بلكين بن زيري ابن مناد الصنهاجي على أفريقية ، وتوجه إلي مصر بأموال جليلة المقدار ورجال عظيمة الأخطار ، كما حمل معه جثث آبائه الثلاثة الذين تولوا الخلافة قبله[3] وخرج المعز من المنصورية دار ملكه في 21 شوال سنة 361 هـ / 5 أغسطس 972 م وعبر أفريقية حتي وصل برقة، ومنها استمر في المسير حتي وصل الإسكندرية حيث دخلها في 23 شعبان، ودخل القصر الذي بناه جوهر فلما سار في إحدي ردهاته خر ساجداً لله ، وفي 10 المحرم سنة 364 هـ / 7 أكتوبر سنة 974 م تسلم المعز من جوهر دواوين مصر وجبايتها بعد أن تولاها زهاء أربع سنوات[4]، وأذن المعز بدخول الناس عليه فدخل الأشراف فسائر وجوه المدينة، وجوهر يقدم الناس قوماً بعد قوم، وتقبل المعز بعد ذلك ما تقدم إليه من الهدايا والتحف من المهنئين ، وفي يوم عيد الفطر ركب المعز لدين الله للصلاة فصلي بالناس إماما وأطال في الركوع والسجود وكبّر بعد القراءة علي ما جرت به عادة جده علي بن أبي طالب ، ولما فرغ من الصلاة صعد المنبر ومعه جوهر وخطب الناس وأبلغ في خطابته حتي أبكي الناس من قوله وحكمته،[5] وهو الذي استغل الفرصة عندما سأله أحد جماعات مصر وقال سيدهم إلي من ينتسب ، فأجابه المعز : أن سوف يجمع الأشراف ويسرد عليهم نسبه، وبالفعل جمعهم في قصره وسل المعز أمامهم سيفه إلي النصف وقال : هذا نسبي، ثم غمره بالذهب وقال: هذا حسبي،[6]

(1) علي ابراهيم حسن : مصر في العصور الوسطي ، ص 123 .
(2) ابراهيم يونس : الموجز الواضح في تاريخ العرب ، ص121 .
(3) حسن: ابراهيم حسن ، الدولة الفاطمية في مصر و في المغرب ومصر ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ،1964، ط3،ص149 .
(4) السيد عبد العزيز سالم : تاريخ مصر الإسلامية ، ص 176
(5) علي ابراهيم حسن : مصر في العصور الوسطي ، ص124.
(6) السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، ص176.

وكان شاهد هذه الحادثة قائده جوهر الصقلي الذي أخذ نشاطه السياسي يتضاءل شيئاً فشيئاً، وسرعان ما تواري عن مسرح السياسة المصرية ولم يعد إلي الظهور إلا في أواخر عهد المعز لدين الله حين تأهب أفتاكين التركي للاستيلاء علي الشام بالاشتراك مع القرامطة .

ومنذ البداية نري أن الفاطميين كانوا علي أهبة الاستعداد من أجل الاستقرار سريعا ، ولكي لا تكون هناك عقبات تمنع مخططهم ، قاموا بطمأنة الناس في المدن المصرية، حيث أعطوهم التأمين علي أنفسهم وأموالهم ، كما تركوهم ينعمون بمذهبهم دون مضايقة .

كما سرّعوا في إحضار البنائين من المغرب للشروع في بناء المدن وكان ذلك من الركائز المهمة للاستقرار ، حيث كان لبناء القاهرة الجديدة أثر كبير ، حيث بني فيها الفاطميون أضخم القصور والمعسكرات للجند في الدولة وتعتبر السنوات الأربع التي حكم فيها جوهر الصقلي مصر بالنيابة عن خليفة الفاطميين من أهم فترات التاريخ الفاطمي في مصر ، من حيث التغييرات التي قام بها الفاطميون سواء من الناحية الإدارية أو المذهبية. وهي من الأمور التي ساعدت علي انتقال السيادة إلي الفاطميين، ومهدت لقدوم خليفتهم المعز لدين الله .[1] غير أن السبب الحقيقي لسرعة الاستقرار ، والانتقال للسيادة هو تدرج القرارات التي تميز بها الفاطميون دون سبق الأحداث، كما ساعدهم تركز السلطة في شخص القائد جوهر الصقلي.

ومهما كان من أمر فإن الفاطميين قاموا بعدة خطوات ساعدت علي كسب احترام الأهالي في مصر منها:الإصلاحات الدينية حيث وضع الفاطميون قوانين خاصة بتنظيم الصلاة، وعدم إحداث تدافعات من قبل المصلين ، كذلك من ناحية الصيام والحج ، والاهتمام الكبير الذي أبداه الفاطميون لبناء المساجد المفخمة وتزيينها والاهتمام بنظافتها .
والإصلاحات الاقتصادية حيث كان المصريون يمرون بأزمة اقتصادية، وبما أن الزراعة هي عصب الاقتصاد المصري، فقد وجه الصقلي جل اهتمامه علي تجديد الجسور والقناطر المتهالكة والتي كانت منفذ المياه الوحيدة للمزارعين .
والاهتمام بالعملية النقدية حيث عمل الفاطميون علي إصدار صك عملة خاصة بمصر ، حيث أصبح هناك دينار خاص أعيدت تقدير قيمته النقدية في العالم الإسلامي.
وتأمين حدود مصر، وتوزيع أغلب الفلول العسكرية علي حدود مصر خصوصاً في الجنوب والشمال .

---
[1] السيد عبد العزيز سالم: تاريخ مصر الاسلامية ، ص 176

المبحث الثالث

دخول المعز لدين الله مصر

لقب الخليفة المعز لدين الله بالمعز، وكنيته أبو تميم والده المنصور بالله أمه أم ولد، ولد في سنة 319 هـ / في مدينة المهدية، تسلم الخلافة في سنة 342 هـ / 953م عندما كان له من العمر 23 عاماً، وهو رابع الخلفاء الفاطميين، ولقد أدرك ثلاثة من الخلفاء الفاطميين هم المهدي و القائم والمنصور ، وهو مفتتح دورة القوة والعظمة في الدولة الفاطمية ،تربى في قصور المهدية ونال الثقافة والعلم في جزيرة صقلية[1]، ولقد حقق المعز لدين الله أحلام أسلافه في احتلال مصر وجعلها مقراً للخلافة الفاطمية، وقد استفاد من الضعف الذي آلت إليه الخلافة العباسية في المشرق، وسيطرة الأتراك على مقدرات الأمور في بغداد، وانقسام الخلافة العباسية إلى عدد كبير من الدويلات المتناحرة ، كما أنه استفاد من ضعف وحكم كافور لها وخلو البلد من شخصية تستطيع جمع شمل القوى تحت قيادة حازمة[2] .

وأصبحت بذلك مصر مقراً للخلافة بعد أن كانت إمارة تابعة للخلافة العباسية، وغدت القاهرة مركزاً للخلافة الفاطمية الجديدة، والتي بدأت في التوسع من خلال التغييرات الداخلية وغدت عاصمة الدولة الفاطمية[3] .

ولقد أدى هذا الانتقال الكامل للقوات الفاطمية بقيادة الخليفة المعز إلى مصر إلى ضعف نفوذ الفاطميين في بلاد المغرب، حيث استغل هذا الوضع بعض الأمراء الذين استقلوا بولاياتهم عن الخلافة الفاطمية ، ولم يأت القرن الخامس الهجري حتى تقلص حكم الدولة الفاطمية في المغرب العربي، وأصبحت كل الولايات لها حكمها الخاص وتخلصت تخلصاً كاملاً من النفوذ الفاطمي[4]، حيث كان يجلس على عرش ذهبي عظيم، وله تاج يضعه على رأسه صنع من الذهب الخالص ، كما يعتبر أول من اهتم بالمواكب الفاطمية[5].

---

(1) عارف تامر : المعز لدين الله ، ص 67.
(2) حمادة :محمد ماهر:الوثائق السياسية والإدارية للعهود الفاطمية ، مؤسسة الرسالة للنشر، بيروت ، 1980 ، ط1 ، ص 31
(3) محمد سرور : الدولة الفاطمية في مصر ، ص 74.
(4) رشيد الجميلي : دراسات في الخلافة العباسية ، ص 416 .
(5) ابن تغري: النجوم الزاهرة ، ص 42 ، ص 190.

وقد رحل المعز لدين الله إلى مدينة المنصورية، وأقام بسردانيا ولحق به عماله وأهل بيته وجنوده بعد أن حمل ما كان في قصوره من أموال وافرة، حتى أن الدنانير الذهبية سكبت على هيئة طواحين وحولت كل اثنين على جمل[1] ، ثم ارتحل عن المنصورية بعد أربعة أشهر، بعد أن رسم السياسة التي يجب أن يسير عليها ، واشتمله في وصيته التي قال له فيها: إن نسيت ما وصيناك به فلا تنسى ثلاثة أشياء إياك أن ترفع الجباية عن أهل البادية ، ولا ترفع السيف عن البربر ، ولا تولي أحد من إخوتك وبني عمك ، فإنهم يرون أنهم أحق بهذا الأمر منك ، وافعل مع أهل الحاضرة خيراً.

ولعل البربر والبادية المقصود بهم في هذه الوصية هم الزناتيون أعداء الفاطميين أنصار الأمويين في الأندلس ، أما أهل الحضر الذين أوصى بهم المعز لدين الله خيراً فهم الصنهاجيون أنصار الفاطميين .

وتحرك المعز من مدينة قابس يوم الأربعاء العاشر من ربيع الأول من سنة361هـ [2] وكان له احتفال كبير صال فيه الفرسان وجالوا[3] ، وواصل مسيره إلى طرابلس يوم الأربعاء الرابع والعشرين من ربيع الأول، ثم رحل عنها في النصف الثاني من شهر ربيع الآخر[4]. بعد أن مكث بها 22 يوماً تقريباً[5]، وفي الطريق من طرابلس إلى برقة تمرد على المعز بعض جنوده، وفروا إلى جبل نفوسه وتحصنوا به فحاول المعز مطاردتهم ولكنه عجز في القبض عليهم[6]، وواصل الركب سيره بعد ذلك حتى وصل إلى منطقة سرت، في 4 من جمادي الأول ومنها إلى اجدابيا ، حيث

---

(1) ابن أبي دينار : المؤنس في أخبار أفريقيا وتونس ، ص 65 .
(2) عبد المنعم ماجد : ظهور الخلافة الفاطمية ص 242 .
(3) ابن الخطيب : لسان الدين محمد. أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الاسلام، (د. ن) الدار البيضاء 1964 ، ص 59.
(4) ابن دينار : المصدر السابق ، ص 65 .
(5) الزاوي : الطاهر أحمد : ولاة طرابلس ، موسسة الفرجاني، بيروت ، 1970، ط1 ، ص 74.
(6) ابن دينار : نفس المصدر ، ص 65.
* ابن هاني : وهو أبو القاسم محمد الازردي الأندلسي، وقد نشأ في الاندلس في الفترة التي ازدهر فيها الادب الشعري ، وقد أصدر روائع ادبية ، جمعت بين روح الاندلس والصياغة العربية القوية ، وقد تميز بالشعر العربي في ألوانه المختلفة وسيطر على تأليف الشعر خصوصاً في قرطبة وحلل شعراء العرب وقد كانت لاقامته في اشبيلية تحول في حياته فقد كانت الدعوات الفاطمية تنتشر فيها فتأثر بمبادئ الدعوة حيث استطاع أن يعقد صلة وثيقة مع أميرها المعز لدين الله وأصبح أحد دعاتها الادبيين، حيث توجه للمغرب لكي يكمل بالقرب من الدعوة الفاطمية : الحاجري : محمد طه ، مرحلة التشيع في المغرب العربي ، ، دار النهضة العربية، بيروت ، 1983، ط1 ص 89 ، 90 .

نزل بقصره الذي بني له هناك وهذا القصر شيده له ابنه تميم وبذل جهداً كبيراً في بنائه من حيث الزخرفة والتجميل.

وغلا المعز في نشر الدعوة الفاطمية غلواً دفع به في كثير من الأحيان إلى الكفر والإلحاد، فقد أشاد ابن هانئ الأندلسي* شاعر بلاط المعز والذي كان ينافس ويحاكي الشعراء العباسيين ، وقال:

ما شئت لا ما شاءت الأقدار .... فأحكم فأنت الواحد القهار

وكأنما أنت النبي محمد .... وكأنما أنصارك الأنصار[1]

وهكذا اعتمد الخليفة المعز لدين الله بشكل كبير على أهالي هذه البلاد فقد كانوا مساندين له منذ دخوله لمصر[2]، غير أن تقريب المعز لدين الله للشعراء وخصوصاً ابن هاني كان له أثر عميق في حياة الشاعر، الذي ما كاد يضع قدمه بأفريقية حتى انهال عليه خصومه الشعراء، يهجونه بالقدح الموجع، فلما بلغه ذلك قال لا أجيب منهم أحداً حتى يهجوني الشاعر علي التونسي، الذي رد عليه: أما إني لو كنت ألأم الناس ما هجوته بعد أن شرفني على أصحابي، وجعلني من بينهم كفؤا له ، وما أن سمع المعز ذلك حتى نال ابن هاني ما كان يرجوه من دنياه ، فدخل على المعز وقد عقد الديوان للتهنئة بأعظم فتح ناله المعز على أعدائه، واستمع إليه بين ملوك البربر وأمراء المغرب[3]، وكانت من عادات الفاطميين التي نقلوها إلي مصر عند عقد الدواوين يكون في جو من الاحتفال، فقد كانت مواكب الخلافة الفاطمية وحفلاتها الرسمية الشعبية ومآدبها تثير كثيراً من الروعة والبهاء، وكان الخليفة المعز لدين الله ما أن يخرج قاصداً الديوان، حتى يخرج مع أحد الموظفين يحمل كيساً من الحرير فيه خمسمائة دينار، يوزعها وهو في الطريق وتكون من نصيب الرجال و النساء، الذين يقرأون القرآن على جانبي الطريق، وكان الخلفاء يركبون في الجمع الثلاث الأخيرة من رمضان إلى جوامع الحاكم والأزهر وعمرو على التوالي لصلاة الجمعة[4].

---

(1) علي ابراهيم حسن : مصر في العصور الوسطى ، ص 126 .

(2) حسن :إبراهيم حسن :المعز لدين الله الفاطمي ،مكتبة النهضة ،القاهرة ،ط2 ،ص 179

(3) جلال :إبراهيم :المعز وتشييده مدينة القاهرة ،دار الثقافة ،القاهرة، 1963، ص 35

(4) علي ابراهيم حسن :مصر في العصور الوسطى ،ص 532

وكان الشاعر ابن هاني له أشعار كثيرة يدعو فيها الناس للتقرب من الخليفة المعز لدين الله، والإقبال والرضا على حكمه، وكان أجمل ما نمق الشاعر الكبير المعز وقد بلغت أشعاره في قصيدة واحدة مائتي بيت ومنها هذه الأبيات:

إذا كان من أيامه لك شافع ... إلى أمل فاخصم به الدهر واقصم

إذا أنت لم تعدم رضاه الذي به ... يفوز بنو الدنيا فلست بمعدم

وأنت بدأت الصفح عن كل مذنب ... وأنت سننت العفو عن كل مجرم

ولا عجب إن كنت خير متوج ... فجدك في البطحاء خير معمم

وأشهد أن الدين أنت مناره ... وعروته الوثقى التي لاتفصم

تقودهم في الجيش والجيش منسك ... وكل الحجيج من محل ومحرم [1]

وكان هذا الشعر له الأثر الكبير في نفوس المصريين الذين كانوا من محبي القراءة سواء دينية أو أدبية، ولقد أثبت نجاح الدعوة للفاطميين، على أن المعز لدين الله كان يملك سمة في التفكير البعيد ، ولم يكتف المعز بالشعراء لنشر دعوته بين المصريين بل أحاط أيضاً بعدد كبير من الكتاب و الأطباء والمؤرخين. وعلى الرغم من كثرة الشعراء والكتاب الذين كان لهم دور في نشر الدعوة الفاطمية، إلا أن الشاعر المفضل لدى الخليفة المعز لدين الله والذي جلبه من القيروان إلى المشرق وهو الشاعر محمد بن هانئ الأندلسي، والذي توفي في سنة 362هـ بعد أن خلف لنا الكثير من الشعر، وقدرت أشعاره بالآلاف وأغلبها في مدح المعز[2] .

(1) ابراهيم جلال :المعز لدين الله الفاطمي ،ص 38
(2) رشيد الحمبلي :تاريخ الدولة العباسية ،ص 180

الفصل الثاني
النفوذ الفاطمي في العراق

المبحث الأول: مقاومة العباسيين لدعوة الفاطميين.

المبحث الثاني: موقف البويهيين من الفاطميين.

المبحث الثالث : تأييد الفاطميين للقواد العباسيين المنشقين عن الدولة (البساسيري).

المبحث الأول

مقاومة العباسيين لدعوة الفاطميين

كانت علاقة الفاطميين بالعباسيين عدائية منذ أول ظهورهم لاختلاف مذهبهم ، ولأن تملك الفاطميين قد قام على أنقاض دولة بني الأغلب الخاضعة للعباسيين، وسيطرتهم على شمال إفريقيا كله، وهو في الأصل من أملاك الخلافة العباسية ، فلما استولوا على مصر، ونقلوا إليها مركزهم زاد التوتر بين الدولتين، لقرب العاصمتين أكثر من ذي قبل، ولا شك أن الصفة المذهبية الشيعية التي اتسمت بها الدولة الفاطمية ، كانت من أهم عناصر الخصومة بينها وبين الدولة العباسية السنية[1]، وفي هذا الوقت كان العباسيون في حالة انكسار سياسياً وعسكرياً، إلا أنهم نجحوا في مجال الدعاية ضد الفاطميين، إذ أنهم لجأوا ومن خلال وسائل متعددة إلى تأكيد كفر الفاطميين، بأنهم يعلمون الغيب، وبأنهم يدعون الألوهية ، لأنهم مبررين بأنهم لا ينكرون سجود بعض الناس لهم ، الأمر الذي جعل بعض الدعاة وعلماء الشيعة يردون على هذه الإشاعات وتأويل ما صح منها[2]، ومن أبرز هؤلاء الأئمة الذين تولوا رفع راية الرد هو النعمان بن محمد الذي أنكر ادعاء الأئمة لعلم الغيب، ونسب ذلك الادعاء إلى أعداء الفاطميين ألا وهم دعاة الإسماعيلية، الذين قام بوصفهم بأوصاف شنيعة منها الضلال والبطلان وفي ذلك قال:(وأكثر ما نقول في الأئمة صلوات الله عليهم في مثل هذا أنهم يعلمون ما غاب عن الخلق سواهم من العلوم وينظرون بنور الله جل ذكره وأنه يمدهم بتوفيقه ويهديهم بهدايته)[3].وعلى الرغم من إنكار النعمان بن محمد ادعاء الأئمة لعلم الغيب إلا أنه لم ينكر السجود للأئمة، وإن ليس كل من قبل الأرض ساجداً،[4] ولأنه لا يجتمع كفر وإلحاد مع خلافة المسلمين بأي حال من الأحوال، ولكي يؤكد العباسيون هذا الاتهام، أشاعوا بأن كثيراً من الأحاديث التي احتج بها الفاطميون على أحقيتهم بالخلافة غير صحيحة، ولم ترد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وإنما اختلقوها تبريراً لإدعائهم بالخلافة[5] .

---

[1] إبراهيم يونس : الموجز الواضح في تاريخ العرب والإسلام ، ص 142.

[2] حسين : محمد كامل : التهمة في اتباع الائمة ، دار الفكر العربي ، القاهرة 1949، ص 53..

[3] العوفي : محمد سالم : العلاقات السياسية للدولة الفاطمية والدولة العباسية ، منشورات جامعة الإمام محمد بن سعود ، الرياض، 1982 ، ط1 ، ص 67.

[4] محمد كامل حسين : التهمة في اتباع الأئمة ص 105.

[5] محمد سالم العوفي : العلاقات السياسية للدولة الفاطمية والدولة العباسية ، ، ص 68.

وبدأ العباسيون في التجسس على الحياة العامة للفـــاطميين وأخـذوا ينشـــرون الأخبار الغريبة كاتهامهم للفاطميين بأن لهم ليلة تسمى الغطاس يجتمع فيها المســلمون والنصارى الأقباط عند شاطئ النيل وتنصب الخيام على جانبي النيل فإذا دخل الليــل تزين الجميع بالقناديل والشموع ويزعم أنه من يغطس في تلك الليلة النهر يأمن مـــن الضعف طوال تلك السنة ، وأشاع العباسيون سر هذه الليلـــة ممـــا زاد مـــن ســـخط المسلمين في الجزيرة العربية والعراق على الفاطميين، واتهمهـــم الـــبعض بالوثنيـــة والكفر، والإشراك بوحدانية الله سبحانه وتعالى، ونجح العباسيون في نشـــر الأخبـــار الدينية خصوصاً دون غيرها، لأن العباسين كانوا يدركون أن الجانب الـــديني مقـــدس بالنسبة للمسلمين كافة ولا يقبل المساومة فيه[1] .

ولقد استمر الخليفة العباسي القادر بالله بالتشهير في دعوة الفـــاطميين بعـــد أن أدرك قوة الدعوة الفاطمية في أغلب مناطق العراق ونجاحها فيها ، لذلك نراه يمســـك بسلاح التشهير بهم في العالم الإسلامي، لعله يصل من وراء ذلك إلى القضـــاء علـــى نفوذهم، الذي أخذ في الاتساع على حساب دولته التي بدأت تعاني بوجـــودهم، ولكـــي يضيق الخناق على الفاطميين، [2].

ومما لا شك فيه أن الخليفة القادر بالله كان يتمتع بشيء من القوة السياسية آنذاك فجمع حوله فقهاء السنة وعلماءهم، وبدأ يبث فيهم روح التحدي للفاطميين ودعـــوتهم الشيعية، خصوصـاً أن الخليفة أدرك منذ البداية أن البويهيين كانوا يميلون للفـــاطميين أكثر من العباسيين[3]، خصوصـاً بعد أن تعاظمت قوة الفاطميين بسرعة، وبـــدأوا فـــي التقرب للممالك البويهية بعد استيلائهم على الشام، والخطبة لهم عند الحمدانيين ســـنة 359 هـــ//969م ، وانتشار أنصارهم في المقاطعات البويهية خاصة بغداد ، وفارس ، والأهواز، لذلك رأى الخليفة العباسي القادر بالله عدم إعطاء الأمان للبويهيين، وبعدم السماح لهم بالتدرج في سلطة الدولة العباسية خشية من فتنـــتهم وقـــوتهم وتحالفـــاتهم المخفية عن أنظار العباسيين .

---

(1) ابن إياس : بدائع الزهور ، ص 59.

(2) محمد سرور : النفوذ الفاطمي في بلاد الشام والعراق ، دار الفكر العربي القاهرة ، ص ص 86 ، 87. كذلك حسن أبراهيم حسن .الدولة الفاطمية في مصر ، ص 229.

(3) علي : وفاء محمد : الخلافة العباسية في عهد سلطة البويهيين ، المكتب الجامعي الحديث ، الإسكندرية ، 1991م، ص ص 72، 73.

ومما زاد من كراهية العباسيين للفاطميين أطماعهم الواضحة في كسب ود أشراف مكة والمدينة ، وهو الأمر الذي أغضب العباسيين، وأصبح النزاع فيما بينهم على أشده، أكبر من ذي قبل، حيث أصبح من كان ملكاً للحرمين هو أمير المؤمنين الحقيقي[1] .

لم تكن حال بغداد خافية عن الحكومة الفاطمية في مصر ، فعندما وصل إلى الخليفة الفاطمي الظاهر لإعزاز الدين ما آلت إليه أحوال بغداد من فوضى ونزاعات ومنافسة بين أمراء بني بويه وبين جنود الأتراك ، رأى أن يستغل الوضع لنشر الدعوة الفاطمية في بغداد وبلاد العراق كافة، فأرسل في سنة 425 هـ/ ، إلى بغداد بعض الدعاة حيث التف حولهم الأهالي الذين كانوا في حالة من التشتت الديني والمذهبي[2]. أراد البويهيون أن يقووا مركزهم وتنشيط دولتهم، فأنشأوا في سنة 403 هـ/ 1012 م نقابة للشيعة، تقلد أمرها الشريف الرضي أبو الحسن الموسوي، وخلع عليه السواد وشعار العباسيين، وهو أول علوي يخلع عليه السواد، ويزعم أن الشريف الرضي نظم قصيدة ثناء وامتنان للفاطميين أزعجت الخليفة القادر [3].

وكانت ردة فعل الخليفة العباسي شديدة، فقام بإرسال مبعوث إلى الشريف أبي أحمد الموسوي والد الشريف الرضي ، يعاتبه على ما ذكر في القصيدة التي ألفها ابنه وذكرله(قد عرفت منزلتك منا وما لا نزال عليه من الاعتداد بك في الدولة من مواقف محمودة ولا يجوز أن تكون أنت على خليفة ترضاه ، ويكون ولدك على ما يضادها) فاستدعى أبو أحمد ابنه وطلب منه الاعتذار إلى الخليفة العباسي ، غير أن الرضي رفض ذلك مبرراً له خوفاً وخشية من نفوذ الفاطميين والبويهيين[4].

زادت هذه الأحداث كلها من اشتعال الفتيل ما بين العباسيين والفاطميين وازداد من صد العباسيين ومحاربتهم للفاطميين، وفي السنوات اللاحقة للمرسوم الأول الذي أصدره القادر بالله لمواجهة النفوذ الفاطمي ، كانت هناك عدة محاولات من العباسيين في إصدار عدة بيانات أشرف عليها كبار رجال الدين والقضاة والفقهاء، والتي انتهت جميعها إلى إعلان عام على الناس بتكفير الفاطميين، واتهامهم بالفسق والزندقة،

---

[1] متيمنة : حسن ، تاريخ الدولة البويهية ، د. ن ، فارس ، 1987 ، ط1 ، ص 207.
[2] محمد سرور : النفوذ الفاطمي في بلاد الشام والعراق ، ص 89.
[3] وفاء علي : الخلافة العباسية في عهد تسلط البويهيين ، نفس المرجع ، ص 74.
[4] محمد سرور : النفوذ الفاطمي في بلاد الشام ، ص 88.

وأذيعت بعد ذلك بيانات أخرى بحق المعتزلة، وبقية الروافض، وكل هذه البيانات العباسية لمحاربة الوجود الفاطمي في العراق لم تحمل توقيع أي من رجال البويهيين، الذين كانوا إلى جانب الفاطميين في سياستهم منذ البداية ، غير أنهم كانوا يتسترون بسياسة الدولة العباسية من أجل التسلل إلى مراتب عليا في الدولة على حساب أجناس أخرى، أمثال السلاجقة الذين كانوا يترصدون أفعال البويهيين من أجل الانقضاض عليهم، والاستيلاء على مراكز نفوذهم في الدولة العباسية[1]

ويمكننا أن نشهد بأن كره العباسيين للفاطميين لم يكن وليد الخليفة القادر بالله، بل هو استمرار لما حدث للعباسيين في عهد خلافة المطيع، الذي قطعت خطبته في ديار مصر أبان دخول المعز لدين الله الفاطمي [2] بجيوشه من المغرب إلى أهم مركز للدولة العباسية، خصوصاً عندما كان قواد الفاطميين يعيثون فساداً في ممتلكات الدولة العباسية[3].

ومن عوامل كره العباسيين للفاطميين هو صك عملة خاصة للفاطميين في مصر، وكافة الولايات الأخرى التي كانت تابعة لبني العباس، الأمر الذي أغضب العباسيين واعتبروه استقلالاً اقتصاديا يهدد الناحية الاقتصادية للدولة العباسية، خصوصا أن العباسيين كانوا في حالة من عدم الاستقرار التجاري[4] .

ومنذ أن امتد النفوذ الفاطمي في الشام، حرص الخلفاء أن يضعوا بصمتهم على مدنها، فقد تفننوا في أعمار المساجد باعتبارها المركز الديني و الأساسي.[5]

وهو من الأمور التي أغضبت بني العباس خصوصا عندما حولوها إلى مساجدهم الخاصة، وقاموا بتغيير أسمائها إلى أسمائهم، أمثال الجامع الذي أطلق عليه الفاطميون اسم فاطمة الزهراء وهي الجوامع التي تولى معاوية بن أبي سفيان أمر بناءها، والتي اشتهرت بإتقان صناعتها، والتي اعتبرها العباسيون رمزاً لوجودهم، و نفوذهم و الاستيلاء عليها تهديد لسياستهم و دينهم الحنيف.[6]

---

[1] حسن منيمة :تاريخ الدولة البويهية ،ص 208

[2] الجنبلي :مجد الدين :الأنس الجليل بتاريخ القدس و الخليل،المكتب التجاري للطباعة ،بيروت ،د.ن،ص 314

[3] الأنطاكي :يحيى بن سعيد ،تاريخ الأنطاكي ،دار المعرفة ،بيروت ،1908، ص 132

[4] عبد المنعم ماجد :حوليات كلية الآداب ، مجلة الدراسات العلمية ج2 ،ص 223.

[5] الغيطاني :جمال :مجلة العربي الثقافية ، اصدار الكويت ،العدد242 ،سنة 1979،ص ص40، 42، 43

[6] الحصني :محمد تقي الدين ،منتخبات التاريخ لدمشق ،دار الآفاق الجديدة ،بيروت ،1992، ج1 ،ص ص1015، 1016

وهذه السياسة العدائية أدت إلي توسع الهوة فيما بين الطرفين، واستمرت محاربة العباسيين للوجود الفاطمي، متخذين سياسة الند في مواجهتهم ولقد كان وقود هذا الصراع البويهيون، الذين أرادوا استعادة أمجادهم، والاستقلال بسياستهم، متخذين عوامل الفتن مكيالاً لهم من خلال إقامة أيام العاشوراء بشكل درامي مما كان يزعج الأهالي السنة، وكانت قمة الفتن ما حدث في سنة 443هـ/1051م حيث نشبت فتنة شديدة بين السنة والشيعة أحرق فيها ضريح موسى بن جعفر، وقبور بني بوية وما حولها، وقتل فيها الشيعة من أهل الرج مدرسة الحنفية أبي سعد السرخسي ، وأحرقوا دور الفقهاء، واشتد على أثر ذلك القتال ما بين الأهالي السنة والشيعة، الذين كانت تمدهم الدولة الفاطمية بالمال والسلاح، من أجل فرض سياستهم في العراق وبقية المناطق المحيطة به. [1]

ومن هذه الأحداث يتأكد لنا انقسام الدولة العربية الإسلامية إلى دولتين في دولة واحدة، متمثلة في الدولة العباسية والفاطمية، ويذكر أن الدولة العربية أصبحت ثلاث دول :دولة بني العباس بمركز العرب وأصلهم ومادتهم الإسلام،ودولة بني أمية المجددين في الأندلس ملكهم القديم وخلافتهم بالمشرق، ودولة الفاطميين في أفريقيا ومصر والشام والحجاز، وهذه الانقسامات حدثت نتيجة الفتن والقتل من أجل الوصول إلى مركز السلطة في الخلافة، سواء في العراق أو مصر أو الشام، وغيرها من الولايات التي كان لها دور في ترسيخ الخلفاء في الدولة[2] .

. وقد مرت الدولة الفاطمية بعدة أدوار تشبه الأدوار التي مرت بها الدولة العباسية، سواء كان هذا التشابه متمثلاً في نظم الحكم ،والإدارة والسياسة الخارجية.[3] وبالرغم مما بذله الخليفة العباسي من محاولات عدة لصد الوجود الفاطمي في كافة الولايات الإسلامية في الشرق،لم تتوقف دعوة الفاطميين خصوصاً في العراق.

وكانت أحوال العراق المضطربة، نتيجة لتنافس أمراء بني بويه على مركز السلطة الفعلية في بغداد لذلك صادف الفاطميون كثيراً من النجاح في دعوتهم[4].

[1] وفاء علي :الخلافة العباسية في عهد التسلط البويهي ،ص ص73، 74.
[2] ابن خلدون عبد الرحمن ، المقدمة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 2000 ، ط1 ، ص 228
[3] زيدان :جرجي ،تاريخ التمدن الإسلامي ،دار الهلال ، القاهرة ،1960، ج4 ،ص 234
[4] محمد سرور :النفوذ الفاطمي في بلاد الشام والعراق ،ص 88

لقد حاول الفاطميون منافسة العباسيين في تجارتهم فحاولوا الاستيلاء على طريقي التجارة المؤديين إلي الشرق الأقصى وهما : طريق مصر – البحر الأحمر، وطريق العراق– إيران .

وكان الهدف من ذلك هو السيطرة على طرق التجارة المؤدية إلي الهند التي بدأوا يهتمون بنشر الدعوة فيها ، بعد إهمالهم لشمال افريقية وصقلية ، واهتماماتهم بالسيطرة على الحجاز وبلاد العراق، من أجل تقوية نفوذهم السياسي في العالم الإسلامي [1]، وحرص الفاطميون علي أن يكون لهم تعامل خاص بهم وعملوا علي إنشاء مركز تجاري لهم فأصبحت القاهرة مركزاً رئيسياً للمعاملات المالية الصادرة والواردة ، وأهم منافس عربي إسلامي لبغداد .

دخلت بلاد العراق في حالة من الانهيار السياسي، خصوصاً عندما بدأت المنازعات والقتال ما بين جند الأتراك في الدولة العباسية ، وفي سنة 425 هـ / 1033م أرسل الخليفة الفاطمي الظاهر لإعزاز الله دعاة إلي بغداد، أحسنوا استغلال الوضع، ولكي يكون دعامة لدعاة الأولين الذين بعثهم للعراق[2]، ولقد كان نشاط هؤلاء الدعاة يزداد لدرجة أنهم استطاعوا أن يضموا إلي دعوتهم إبراهيم أخ طغربيك، الذي أصبح من أشد المؤيدين للفاطميين في العراق [3].

ساهم البويهيون بشكل كبير في تسهيل مهام هؤلاء الدعاة . ذلك لأنهم كانوا يفضلون الفاطميين علي العباسيين من الناحية المذهبية، حتى أنهم سمحوا لدعاة الفاطميين بنشر عقائد المذهب الإسماعيلي في البلاد الخاضعة لنفوذهم ، حتي يقال أن معز الدولة البويهي حين دخل بغداد أراد أن يقضي علي الخلافة العباسية وإقامة خلافة علوية مكانها. غير أن أحد قواده نصح بعدم فعل ذلك خوفاً علي سلطان بني بويه ، إلا أنهم حرصوا علي مراسلة الفاطميين في مصر ، والتقرب منهم ومشاركتهم في احتفالاتهم بالأعياد الشيعية الدينية، وكانت نتيجة ذلك أن ساد جو خالٍ من الصراع ما بين الدولتين الفاطمية في مصر والعباسية البويهية في العراق بعد كل هذه المشاحنات الدينية والعسكرية والاقتصادية[4] .

---

(1) أيمن فؤاد السيد : الدولة الفاطمية في مصر ، ص 130
(2) محمد سرور : النفوذ الفاطمي في بلاد الشام ، ص 89
(3) حسن ابراهيم حسن : الدولة الفاطمية في مصر ، ص 233
(4) احمد مختار العبادي : التاريخ العباسي والفاطمي ، ص 349

المبحث الثاني

موقف البويهيين من الفاطميين

عندما أيقن الفاطميون أن دعاتهم في بلاد المشرق قد نجحوا في إقناع كثير من المسلمين على تأييد العباسيين، شرعوا في مواصلة جهودهم لبسط سيادتهم على كافة أراضي الدولة العباسية[1]، التي كانت تشهد في ذلك العصر تغلغل العناصر الأجنبية، وتسلطها على الشئون الإدارية والسياسية للدولة العربية الإسلامية، وأهمهم الأتراك، الذين سيطروا على السلطة، وأصبحوا منفذين للسلطة في شئونها، لاسيما بعد أن أفلحوا في التآمر على الخلفاء العباسيين[2] .ولقد أصبحوا أشداء حتى أنهم كانوا في بلاط الخلفاء، هم الذين ترجع إليهم الأمور خصوصاً فيما يتعلق بالدولة، وإذا تمرد عليهم عزلوه أو قتلوه ، حدث هذا الأمر كثيراً في أواخر الدولة العباسية[3]، وتميز هؤلاء في بداية دخولهم الدولة العباسية بالطاعة التامة، فقد كانوا يطيعون الخلفاء العباسيين كطاعة الله ورسوله، حتى توسع نفوذهم وأصبح لهم ضياع وإقطاعات في المناطق الخصبة من العراق .

وبما أن الأحوال السياسية والاقتصادية أصبحت في العراق متدهورة، بسبب تنافس وتنازع الأتراك على مناصب الأمراء وعجزهم عن دفع رواتب الجند ، وحفظ الأمن في البلاد، أخذ الناس يتطلعون إلى من ينقذهم من هذه الأحوال[4] لذا استغل البويهيين هذا الوضع فترة طويلة، والأسرة البويهية تتكون من إخوة ثلاث وهم: علي، والحسن، وأحمد، أبناء أبي شجاع بويه، والتي أتاحت لهم مواهبهم العسكرية التدرج في مراتب العسكرية عند العباسيين وفي خلافتهم.

لقد كان لدعاة الفاطمين أثر كبير عند البويهين في بلاد المشرق فلما تولوا زمام السلطة المركزية في بغداد وضعف تبعاً لذلك مركز الخليفة العباسي، فكروا في القضاء على الخلافة السنية وإقامة خلافة شيعية مكانها إلا أن أنصار معز الدولة البويهين أشاروا عليه بالعدول عن هذا الرأي، وأوضحوا له أن الخليفة العباسي في بغداد ضعيف جداً، ومن الممكن حبسه أو قتله متى خرج عن طاعة البويهيين، أما

---

(1) محمد سرور : سياسة الفاطميين الخارجية ، ص 168.
(2) عبدالجبار ناجي : الدولة العربية في عصر العباسيين ، ص 265.
(3) السيوطي : جلال الدين ، تاريخ الخلفاء ، دار الفكر العربي - القاهرة ، 1964 ، ط3 ، ص 230..
(4) أحمد مختار العبادي : في التاريخ العباسي والفاطمي ، ص 162.

الخلفاء الفاطميون فإنهم من القوة بحيث إذا أرادوا القضاء على البويهيين تم لهم ما أرادوا[1]. وقال لهم أحدهم في ذلك (ليس هذا برأي ، فإنك اليوم مع خليفة عباسي تعتقد أنت وأصحابك صحة خلافته ، فلو أمرهم بقتلك لفعلوا ، ولو أمرت بقتله لم تطع بذلك) لذلك أبقى معز الدولة على الخلافة العباسية مقتنعاً بهذا الرأي، وذلك خوفاً على سلطانهم ، فأراد التبعية لخليفة ضعيف على طاعة إمام قوي،كما أنه خشي إن هو أقدم على إلغاء الخلافة العباسية أن يتعرض إلى هجوم السامانيين، والغزنويين حلفاء العباسيين من جهة، وتعريض العالم الإسلامي إلى حروب أهلية من جهة أخرى.

استبد معز الدولة البويهي بالسلطة ولم يبق للخليفة المطيع من الأمر شيء، وتسلم نوابه العراق بأسره، ولم يبق في أيدي العباسيين غير ما اقتطعه لهم الأمير البويهي، وخصص للخليفة العباسي ألفي درهم كل يوم وذلك لنفقته الخاصة. [2]

ولقد تعرض الخليفة الطائع الذي خلف أباه المطيع إلى الإهانة والإعتداء على حرمة الخلافة ،إذ لم يكتف البويهيون بمصادرة أموال الخلافة والاستيلاء على ذخائرها، بل أرسلوا إلى الخليفة العباسي أن يأتي إليه ويطلب الحضور في خدمته ليجدد البيعة لهم، وهذه تعتبر نتيجة حتمية لدخول البويهيين بغداد واستبدادهم بالسلطة، فقد ضعف مركز الخليفة حيث أصبح ألعوبة في أيديهم، ليس له من الأمر شيء[3]، والذي شجعهم على ذلك هو أن البويهيين كان شأنهم شأن العلويين جميعاً، يعتقدون أن العباسيين مغتصبون للخلافة، لذلك لم يكن هناك باعث ديني يحثهم على طاعتهم، واحترامهم على الرغم من إبقائهم للخلافة العباسية، ومن مظاهر استبدادهم بالسلطة مشاركتهم الخلفاء في شارات الخلافة ،فصارت أسماؤهم تذكر مع اسم الخليفة العباسي في الخطبة منذ عهد عضد الدولة البويهي ،ولم يسبقهم إلى هذا أحد من الأمراء ،فقد كان هذا التقليد من الأمور التي ينفرد بها الخلفاء دون الأمراء ،ولم يقف الأمر عند هذا الحد،بل إن عضد الدولة عمد إلى حذف اسم الخليفة الطائع من الخطبة مدة شهرين حين اشتد الخلاف بينهما .

---

(1) سرور : النفوذ الفاطمي في بلاد الشام والعراق ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ص 79.
(2) العبادي : في التاريخ العباسي والفاطمي ، ص 349.
(3) الجميلي :دراسات في الخلافة العباسية ،ص 195

كما نقش البويهيون أسماءهم وألقابهم على السكة جنباً إلى جنب مع اسم الخليفة العباسي، وكان أول من فعل ذلك منهم معز الدولة البويهي وإخوته وعمدوا في بعض الأحيان إلى حذف اسم الخليفة[1].

بيد أن البويهيين رغم حرصهم على الاحتفاظ بنفوذهم السياسي ،كانوا يؤثرون الفاطميين على العباسيين من الناحية المذهبية ،فقد كانت هناك رسائل ودية بين العزيز بالله الفاطمي وعضد الدولة، الذي اعترف بإمامة الخليفة الفاطمي ، لقد استقبل رسول العزيز في بغداد استقبالاً حافلاً، وهذا يدل على أن العلاقة بين القاهرة وبغداد كانت على جانب كبير من الصفاء والتفاهم والرغبة في التعاون، حيث كانت هجمات البيزنطيين على الثغور الشمالية[2] قد قربت بين الإمارة البويهية والدولة الفاطمية، حيث كان البيزنطيون دائمي الغزو على الأراضي المتاخمة لحدودهم ،لذلك عملوا على وضع الخطط للتعاون فيما بينهم، وهذا ما يوضحه نص الرسالة المبعوثة من قبل الخليفة الفاطمي العزيز إلى عضد الدولة وفيها يقول: (وبعد فإن رسولك وصل إلى حضرة أمير المؤمنين مع الرسول المنفذ إليك،فأدى ما تحمله من اخلاصك في ولاء أمير المؤمنين ومودتك ومعرفتك بحق إمامته ومحبتك لآبائه الطائعين الهادين المهذبين ،فسر أمير المؤمنين بما سمعه عنك و وافق ما كان يتوسمه فيك وأنك لا تعدل عن الحق ولقد علمت ما جرى على ثغور المسلمين من المشركين وخراب الشام وضعف أهله وغلاء الأسعار ،ولولا ذلك لتوجه أمير المؤمنين بنفسه إلى الثغور وسوف يقدم إلى الحيرة،وكتابه يقدم عليك عن قريب،فتأهب إلى الجهاد في سبيل الله) [3].

وكان إقامة الاستقبال الحافل لرسول العزيز الفاطمي عند وصوله إلى بغداد، دليل على مدى العلاقة فيما بينهما، ، وعندما قرأ عضد الدولة رسالة العزيز بعث له مع رسوله أنه أمرد فيه إلى انتمائه لأهل بيت رسول الله، وأظهر استعداده تنفيذ أوامرد التي تكون في صالح الدولتين دون أن تطغى الأولى على الثانية وبالعكس من ذلك[4].

ولقد شارك عضد الدولة العزيز في كرهه للحمدانيين،فمثلما حارب العزيز الحمدانيين في الشام عمل عضد الدولة على القضاء على الحمدانيين الموجودين في الجزيرة،

(1) محمد سرور :تاريخ الحضارة الاسلامية ،ص 56
(2) ابو المحاسن :النجوم الزاهرة ،ج4 ،ص124، 125
(3) عبد المنعم ماجد :ظهور خلافة الفاطميين وسقوطها ، ص 157
(4) السيوطي :تاريخ الخلفاء ،ص 27

لاسيما أنهم كانوا في منازعات داخلية، فاستغل عضد الدولة ذلك فقام بغزوهم وقتل ناصر الدولة الحمداني واستولى على أراضيهم[1].

وبعد أن استولى عضد الدولة على حامية الحمدانيين، تعاون كل من الخليفة العزيز الفاطمي وعضد الدولة البويهي في جهادهما ضد الروم، وحدثت مناوشات عديدة فيما بينهما،وقاموا بمساومة القائد الرومي بيرنس لاسترداد المدن التي فتحها الروم في منطقة الثغور، وانتهى الأمر بعقد معاهدة بين الروم وبينهما في سنة 367هـ/799م[2].

ولا يمكن أن نفهم سياسة الفاطميين إلا إذا افترضنا أن سياستهم هذه تدور حول فتح الحوض الشرقي للبحر الأبيض المتوسط من جهة، وأخذ موقع وسطي يعطيهم مكاناً أقوى لمواجهة خطر العباسيين وأنصارهم، و مزاحمة نفوذهم الخارجية والتي هي أقرب للفاطميين منهم،كذلك الإمكانية المباشرة للانقضاض على اليمن عن طريق البحر الأحمر[3].

غير أنه سرعان ما تغيرت سياسة التودد التي كانت بين الخليفة الفاطمي وعضد الدولة في أواخر عهدهما، فقد جهز عضد الدولة البويهي قواته لغزو مصر واستردادها من الفاطميين، بعد أن أصبحوا يشكلون خطراً على سلطانه في بغداد[4] غير ان محاولاته هذه لم تتم بسبب وفاته وهو في طريقه إلى مصر حيث قتل وهو على المشارف الحدودية لمصر، وهذا التغير يدل على أن علاقات التودد السابقة ما هي إلا مجرد مناصرة للمذهب الشيعي الذي يدينون به لكلا الطرفين، ولقد استغل الفاطميون هذه النقطة عندما تقلد بهاء الدولة بن عضد الخلافة 401هـ/1010م، فقد كان من المتعصبين لأهل الشيعة[5].

وبدأ الانتشار القوي لدعوة الفاطميين في الموصل حيث أقيمت الدعوة للخليفة العزيز سنة 382هـ/993م، وكان الشخص الذي سيل أمر هذه الدعوة هو أمير المدينة محمد بن المسيب.

---

(1) ابن تغري :النجوم الزاهرة ،ج4 ، ص 125

(2) عبد المنعم ماجد :ظهور خلافة الفاطميين وسقوطها ، ص 158

(3) عمر السعيدي : ،مجلة الدراسات التاريخية ،محاولات الفاطميين الاستيلاء على مصر والابعاد الدولية والاستراتيجية، 1982، العدد 7 ،ص 81

(4) محمد سرور :النفوذ الفاطمي في بلاد الشام والعراق،ص 82، 83

(5) السيوطي :تاريخ الخلفاء ،ص 274

ومن بعد الخليفة العزيز جاء الخليفة الحاكم بأمر الله الذي قام باستمالة أمير الموصل والذي خرج عن طاعة الخليفة العباسي القادر بالله في سنة 401هـ/1010م، ومنه انتشرت الدعوة الفاطمية ومذهبها الشيعي في المناطق المجاورة لمدينة الموصل، وهي الأنبار، المدائن و الكوفة والتي استقبل أهاليها هذا المذهب وأصبحوا من المتعصبين له،وعليه أحل اسم الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله في الخطبة محل الخليفة العباسي[1].

كان رد فعل العباسيين شديداً فعند سماع الخليفة العباسي القادر بانتشار الدعوة الفاطمية في بلاده، عمل على محاربة هذه الدعوة، وسرعان ما أبلغ القاضي أبا بكر الباقلاني وبعثه رسولاً إلى الأمير بهاء الدولة البويهي ليخبره بتقدم الخطر الفاطمي، الذي يهدد الدولة العباسية ويطلب منه محاربة نفوذهم بكافة الوسائل السياسية[2].

ومن هنا بدأت مظاهر كره السنيين للمذهب الشيعي*، حيث كان العباسيون يتربصون لدعاة العلويين،قد بدأت في بغداد تقام مشاهد العنف والغدر بين الطرفين[3]، وبعد انتشار النفوذ الفاطمي في بغداد، وباقي المدن في العراق، أخذ العباسيون يحرصون على الاحتفاظ والتمسك بالمذهب السني وتعاليمه، وذلك لمقاومة المذهب العلوي الجديد[4].

وعندما وصل القاضي الباقلاني رسول بني العباس إلى بهاء الدولة البويهي، ونبهه إلى التغلغل الفاطمي في أراضيه، عدل الأمير البويهي عن تأييد الحاكم بأمر الله، وذلك استجابة لرغبة الخليفة العباسي، كذلك تدخل الخليفة العباسي في أمور السياسة في بغداد،فأظهر ما يكنه من بغض وحقد نحو الشيعة، فقد عمل الخليفة القادر بالله على عرقلة شعائر الشيعة، حتى وصل به الأمر إلى منع هذه الشعائر في سنة

(1) حسن ابراهيم حسن :الدولة الفاطمية في مصر ، ص 228
(2) محمد سرور :سياسة الفاطميين الخارجية ،ص ص 174، 175
*المذهب الشيعي :هناك نوعان له التشيع القديم و التشيع الجديد،أي التشيع الفارسي و التشيع العربي وهو أصل الخلاف بين دولتين تنتسبان إلى أصل انتماء واحد واعتراف بوحدانية رسول الله (ص)إلا أنهما أحاطا نفسيهما بالنفوذ الروحي الذي يتميز به التشيع.وبعد أن دخل التشيع إلى المغرب العربي في أواخر القرن الثاني هجري،كان قد تحول تحولا عن مبادئه وهو تحول خطير،فلم يعد مبدأ دعاء لأبناء فاطمة أو ثورة على الأمويين الذين سلبوهم حقهم في الإمامة بل انحرف عن مساره وتعاليه الاول إذ أضيفت له صور مختلفة وجديدة مشتقة عن العقلية الفارسية وخلطت مع عقلية الإسلام كما أحاط التشيع الغموض و الابهام وهو ما ظهر عليه في حركاته في المشرق والمغرب العربي وهي المبادئ التي حملها عبيد الله المهدي الذي أطلق على دولته العبيديين نسبة إلى اسمه وأسس عاصمته ،المهدية على ساحل البحر المتوسط . الحاجري :مرحلة التشيع في المغرب العربي ، ص ص 6، 7، 8، 10.
(3) عبد المنعم ماجد :ظهور الخلافة الفاطمية ،ص 159
(4) رشدي الجميلي :الخلافة العباسية والفاطمية ،ص 198

381هـ/991م[1]، ومما أدى فيه أن الخليفة القادر بالله رأى بعد أن تجلىَّ لـــه نجـــاح الدعوة الفاطمية في بعض بلاد العراق أن يلجأ إلى محاربة الفاطميين[2].

وبعد أن أدرك العباسيون صعوبة مواجهة الفاطميين بالسلاح، لجأوا إلى وســيلة التشهير بسمعتهم في العالم الإسلامي ،فقد عقد الخليفة العباسي اجتماعــاً دعــا إليــه الفقهاء والقضاة وبعض زعماء الشيعة،وأصدروا في سنة 401هـ/1010م محضــراً يتضمن الطعن في نسب وأصل الفاطميين[3]، وكذلك نص هذا المجلس أيضــاً بــأنهم ليسوا من آل البيت، وقُرئت العديد من النسخ في هذا المجلس ولقد وقــع علــى هــذا المحضر الشريف الرضي، وأخوه المرتضى، وفريق من كبــار العلــويين[4].وكــان فحوى الكتاب أن من يسكن مصر وأتباعها ويقصدون هنــا الفــاطميين، أنهــم مــن الأنجاس وأنهم من الدعاة لنسبهم، وأنهم مجرد خوارج لا نسب لهم، ولا يمتون بــأي صلة لعلي بن أبي طالب، وأنهم ممن سب الأنبياء ولعنوا السلفاء، وهذا التشــهير أراد منه العباسيون القضاء التام على الوجود الفاطمي ،خصوصاً بعد أن ضغط العباسيون على البويهيين في العراق بالطعن في نسب الفاطميين أيضاً[5].

و ليس هذا كل ما فعله العباسيون في سبيل مناوأة الفاطميين والقضاء علــيهم[6]، فقد أظهروا العلاقة القوية بين الخليفة العباسي والبويهيين، وأرادوا من هــذا تحقيــق الأهداف السياسية أمام الوجود الفاطمي[7].

وعلى الرغم من هذا التحالف الشكلي بين العباسيين و البويهيين إلا أن خلفاء بني العباس ظلوا يحتفظون بأمورهم وسلطتهم الدينية لكي لا يتغلغل هذا المذهب الشــيعي عندهم ولذلك وقف الخليفة القادر موقفاً متشدداً ضد المعتزلة وعلماء الكلام ففي سنة 408هـ/ 1017م جمع فقهاء المعتزلة الحنيفة وأجبرهم على التبرؤ مــن الاعتــزال ونهاهم عن الكلام والتدريس والمناظرة في الاعتزال والرفض والمقــالات المخالفــة للإسلام وتعاليمه السنية[8]، ما كان له أن يحدث في بداية ظهورهم في كــان ضــعف

(1) ابن تغري :النجوم الزاهرة ،ج4 ،ص 162
(2) عبد المنعم ماجد :ظهور الخلافة الفاطمية ،ص 160
(3) حسن أبراهيم حسن :الدولة الفاطمية في مصر ،ص 129
(4) محمد سرور :سياسة الفاطميين الخارجية ،ص 175
(5) ابن الجوزي :المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ،المطبعة العثمانية ،حيدر أباد ،1358هـ ،ج7 ،ط1 ،ص 255
(6) حسن أبراهيم حسن:الدولة الفاطمية في مصر ،ص 231
(7) عبد الجبار ناجي :الدولة العربية في العصر العباسي ،ص 310
[8] عبد الجبار ناجي : المرجع السابق ،ص 212

البويهيين سبباً لتفوق العباسيين والذي شجع الخلافة العباسية على مهاجمة عدوتها الفاطمية في مصر وخليفتها الحاكم بأمر الله[1] .

وعلى الرغم مما تركه هذا المحضر من أثر في نفوس بعض المسلمين إلا أن العباسيين لم يتخلوا عن هذه الحرب،فقد كتبوا في سنة 444هـ/1052م محضراً آخر يطعنون فيه بالفاطميين، وينكرون أصلهم ونسبهم،كما أجمعوا في سنة 488هـ/1095م كبار الأشراف والفقهاء وكتبوا محضراً أخيراً ، والغرض منه تكريه المسلمين، في حب الفاطميين، والالتفاف حول الدولة العباسية، واعتبارها ملجأ للمسلمين كافة سواء في مصر أو الشام أو بغداد عاصمة الخلافة العباسية[2].

والواقع إذا نظرنا إلى ما أوردته هذه المحاضر من طعن سواء في أيام الحاكم بالله أو المستنصر، تكشف لنا مدى عدم تطابق فحواه،إذ لا يوجد فيه براهين وإنما قدح وذم مليئة بالتعصب الديني و السياسي،بحيث لم يخرجوا الفاطميين فقط من النسب الشريف بل أخرجوهم من الإسلام بالإجماع[3] .

ويمكن أن نرجع أن سبب القدح كان نتيجة حالة الضعف التي ظلت الدولة العباسية بعد أن امتلك الفاطميون من بني العباس بلاد المغرب ومصر والشام والحرمين واليمن، لذلك لجأ العباسيون بتنفير الناس عنهم، وذلك بنشر الطعن في نسبهم ويمكن أن نلخص سبب ظهور الطعن في الآتي :-

1. المرارة من مقاسمة الفاطميين أملاكهم.
2. الحقد الذي تولد من منافسة القاهرة قاعدة الفاطميين لبغداد قاعدة العباسيين.
3. الخوف من امتداد سلطان الفاطميين نحوهم .
4. الفرصة مواتية لاختلاف الفاطميين وتفريقهم إلى أجزاء.
5. إمكان التأثير على بعض العلويين في بغداد وضمهم لجانبهم.
6. كذلك عدم ممانعة البويهيين وإن كانوا شيعة.
7. إمكانية إثارة العناصر السنية التي توجد في البلاد والتي امتلكها الفاطميون .
8. إعلان هذا المحضر من شأنه أن يضعف نفوذ الفاطميين[4].

---

(1) ابن تغري :النجوم الزاهرة ،ج4 ،ص ص229 ،230
(2) حسن ابراهيم حسن :الدولة الفاطمية في مصر ،ص 231
(3) ابن خلدون :المقدمة ،ص ص 16 ،17 ،18
(4) عبد المنعم ماجد :ظهور خلافة الفاطميين ،ص 167 ،168

ونتيجة لهذا فقد انقسم الناس حول بعضهم، فمنه من سخر منه بل ازدادت الدعوة لهم ومنهم من نفر من الفاطميين وإلغاء الخطبة لهم مثل ما فعل حاكم مكة، فقد استغل الدعاة الفاطميون حالة الفوضى و الاضطراب في بلاد العراق في بداية القرن الخامس الهجري، نتيجة تنافس أمراء بني بويه على الإمساك السياسي وتولي زمـــام الأمـــور، حيث كان النزاع على أشده بين الأمير سلطان الدولة والي الحكم في بلاد العـــراق ، وبين أبي الفوارس الذي بدأ في جلب أبناء الديلم إلى العراق، كما كان هناك نزاع بين ابن كليجار وجلال الدولة، الذي انتكست الدولة في عهده نتيجة ســيره وراء أعمالـــه وتصرفاته المتقلبة [1].

كان لازدياد نفوذ الأتراك أثره في سوء الحالة في بلاد العراق، حيــث بـــدأوا فـــي التدخل في شئون الدولة، وقد قاموا بعدة محاولات ترمي إلـــى خلـــع جـــلال الدولـــة البويهي وتولية ابن أخيه كاليجار في الدولة [2].

لا يمكننا أن ننسى أن هذا النفوذ التركي تغلب على العباسيين في بغداد، حيث تقاســم الأتراك المناصب الرفيعة مثل قواد الجيوش، وولاة في المنـــاطق المحيطـــة بالدولـــة ،بالإضافة إلى قضاة وساسة وممسكين بديوان الجنـــد، أو الرواتـــب وغيرهـــا مـــن الدواوين، وهذا أثر سلباً على علاقات العباسيين الخارجية وأعدائهم الذين أصبحوا من المقربين للأتراك[3] .

غير أنه يلاحظ تبدلاً واضحاً في سياسة البويهيين نحو الفاطميين منذ بداية عهد أبـــي كاليجار (1043-1633هــ)، الذي اتخذ من تقربه إلى الفـــاطميين وســـيلة لإرهـــاب العباسيين[4] ،كما أنه حاول أن يمنع تقرب العباسيين من السلاجقة الأتراك الذين كانوا يهددون سلطان آل بوية[5]، وفي نفس الوقت لم تقف الخلافة العباسية مكتوفة الأيـــدي أمام الزحف السني الذي ظهر نتيجة ضعف البويهيين[6]، ولقد كانـــت أحـــوال بـــلاد العراق غير خافية عن الرقابة الفاطمية في مصر، وعندما وصلت الأخبار إلى الخليفة الفاطمي الظاهر لإعزاز دين الله ما تعانيه بغداد من الفوضى، بسبب النزاع والمنافسة

---

(1) ابن أياس : بدائع الزهور ،ج1 ،ص 56
(2) ابن الجوزي :المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ،ج7 ،ص ص256، 283
(3) حسن أبراهيم حسن :تاريخ الإسلام السياسي ،ج3 ،ص 127
(4) حسن أبراهيم حسن :الدولة الفاطمية في مصر ،ص ص 231، 232
(5) عبد المولي :محمد أحمد :مغربيات ومشرقيات ،موسسة شباب الجامعة ،الإسكندرية ،1990 ،ط1 ،ص 102
(6) عبد المنعم ماجد :ظهور الخلافة الفاطمية وسقوطها ،ص 169

بين أمراء بني بويه و الخلافات التي قضت على قوة الجند، لذلك رأى أن ينتهز هــذه الفرصة ليتابع سياسة أسلافه في نشر الدعوة الفاطمية في بغداد، وأرسل في سنة 425 هــ / 1033م إلي بغداد وفارس دعاته، وكان أهمهم الداعية الشيعي المؤيد بن داود الشيدازي[1] ، كما قام الظاهر بإرسال الأموال الكثيرة لاجتذاب العراقيين، ولقد نجــح المؤيد الشيدازي في استمالة أبي كاليجار، الذي قال للمؤيد حين التقى به:(أني أسلمت نفسي وديني إليك وأنني راض بما ما أنت عليه)[2]، ولقد كانت دعوة المؤيد لها تأثير إيجابي فقد أثبت أنه من أكثر دعاة الفاطميين في عهد البويهيين إلماماً بأصول الدعوة، ومن أصدقهم و أخلصهم لآل البيت ومحبة لهم واعتقاداً في مــذهبهم، وقــد استطاع بفضل شخصيته وروعة بيانه، أن ينشر الدعوة الفاطمية في كافة بغداد حتى وصــلت دعوته إلي الديلم،بل إن أبي كاليجار أصبح من أكثر تلاميــذه والمتــأثرين بدعوتــه وعلومه وبذلك استجاب له كثير من الناس والتفوا حول مفاهيمه ودعواه[3].

ولقد دخل في دعوة المؤيد الشيدازي كثير من أعوان أبي كاليجار، الــذين كــان يجتمع بهم يومياً، وذلك للمــذاكرة والمفاتحــة ولتعلــيمهم مبــادئ مــذهب الشــيعة الإسماعيلي،ثم أخذت هذه العلاقة تتغير عندما أخذ المؤيد الشيدازي يلــح علــى أبــي كاليجار ان يكاتب الفاطميين في مصر، وكان يهدف للسيطرة على العراق وتم له ذلك في سنة 436هــ/1044م وعلى الرغم من ذلك فقد زادت قوة العلاقة بين البــويهيين وبين الفاطميين خصوصاً بعد فرار أبي علي بن جلال الدولة أبي طاهر المعتز إلــى مصر واحتمائه هو ومرافقيه بها بعد دخول كاليجار لبغداد،لذا وقر فــي ذهــن أبــي كاليجار أنه ربما يحاول أبو علي بن جلال الدولة التقرب مــن المستنصــر وطلــب معاونته في استرداد ملك أبيه [4].

وبذلك نرى مدى حــن استغلال الفاطميين للظروف التي سادت بــلاد العــراق، والتي كانت متلاحقة،في تغلغلهم السياسي والديني، مستفيدين مــن محابــاة الأمــراء البويهيين الذين استغلوا الوضع السياسي.

(1) حسين أبراهيم حسن ،محمد كامل ،سيرة المؤيد في الدين داعي الدعاة ،دار الفكر العربي ،القاهرة ،1949 ،ط1 ،ص 11

(2) عبد المنعم ماجد ،نفس المرجع ،ص 170

(3) محمد عبد الحولي ،محمد أحمد ؛ القوى السنية في المغرب من قيام الدولة الزيدية ،دار المعرفة الجامعية ،الإسكندرية ،1985، ج1، ط2، ص 105

(4) محمد عبد الحولي ؛ المرجع السابق ،ص 114، 115

والواقع أن الظروف كانت مهيأة في العراق لاستقبال عناصر جديدة في الحكم، بعد أن اشتدت المنازعات و الفتن بين بني بويه ،كما تجددت الاضطرابات في مدينة بغداد بين الشيعة والسنة من جراء اهتمام الفاطميين بالدعوة إلى إمامتهم، وقد أدت هذه المنازعات المذهبية إلى إضعاف حالة البلاد الاقتصادية، وما جرى منها من قتل وسبي ونهب وإحراق. [1].

وعلى الرغم من سيطرة البويهيين السياسية على العراق في بداية عهدهم، إلا أن هذه السيطرة ضعفت كثيراً في الربع الأخير من القرن الرابع الهجري، بعد أن ظلت هذه السيطرة نحو أربعة عقود على دولتهم، ما ترتب عليه من نشوء دويلات القبائل و العشائر في شمال وجنوب العراق .

وبذلك بدأ الشعور السائد بين المسلمين في العراق بعدم الاستقرار، والقلق من جراء تغيير الخلفاء و الأمراء،كما نجم عن هذه الأوضاع فرصة للقواد العسكريين المنشقين في الدول المجاورة للتدخل والتسيد في البلاد، وما سهل لهم الأمر الاختلاط الذي عرفت به العراق بين شعوبها، فقد كان العنصر العربي جزءاً فقط من دائرة كبيرة، تحتوي على الأتراك، والديلم، والفراعنة، والمغاربة، والبربر، الذين جلبوا من مصر والمغرب.

---

[1] عبد المنعم ماجد : المرجع السابق ،ص 170

المبحث الثالث

تأييد الفاطميين للقواد العباسيين المنشقين عن الدولة (البساسيري)

يئس الدعاة الفاطميون من البويهيين وضعفهم ،بعد التغيرات السياسية التي شملت كافة بلاد العراق لذلك وجهوا اهتمامهم إلى استمالة الفرق التركية المنشقة في بغـداد والتي استطاعت أن تسيطر على بعض شئون الدولة السياسية والدينية[1] .

والذي ساعدهم على ذلك وجود أعداد كبيرة منهم في صفوف الجند والعسكر، وعندما أحسوا بضعف الخلافة العباسية ، سيطروا على شئون العامة في دار الخلافـة وزادوا في إهانة العباسيين بتسلطهم وجشعهم، وبعد إحداث الفتنة ما بين الأتـراك والـديلم اشتدت أحوال الأتراك وقويت شوكتهم[2] .

وتعتبر هذه الأحداث شيئاً متوقعاً بعد أن شهد القرن الرابع الهجري اضمحلال الدولـة العباسية وانفصال أطرافها شرقاً وغرباً ، وكان لابد للدولة العباسية من عامل إحيـاء وتجدد يعيد للخلافة هيبتها .[3]

و كان الأتراك السلاجقة ينسبون إلى إحدى القبائل التركية التي انتقلت من موطنهـا الأصلي في سهول تركستان إلى بلاد ما وراء النهرين خلال القرون الثاني والثالـث والرابع الهجرية، وبعد أن أصبحت أكثر قدرة على القتال والمواجهة للعناصر الأخرى المحيطة بها[4] والذين وجدوا ملاذاً لهم على أرض من أخصـب الأراضـي وهـي العراق التي تقع على ضفتي دجلة والفرات ومصباتها التي تغذي الأراضي المحيطـة بهما مما جعلها مقصداً لعدة أجناس مختلفة.

وكان سقوط وضعف بني بويه وحلول السلاجقة الأتراك السنيين له الأثر السيئ فـي الأوساط الفاطمية في القاهرة ، والذين أدركوا صعوبة مهمتهم في العراق أن الخلفـاء اتبعوا لأول مرة سياسة التحيز، حيث قامت الدولة بتشيع وتغذية فتنة القـد التركـي

---

(1) الحموي : ياقوت شهاب الدين ابو عبدالله ،معجم البلدان في معرفة المدن والقرى والخراب والعمار ج 3 ، دار الصادر بيروت ، ص 380 .

(2) عبد الجبار ناجي : الدولة العربية الاسـلامية في العصر العباسـي ، ص 390.

(3) رشد الجميلي : دراسـات في الخلافة العباسـية والفاطمية ، ص 214.

(4) عبد المنعم ماجد : سلاجقة ايران و العراق ، مكتبة الانجلو ، القاهرة ، ب . ت ، ب.ط ، ص 29.

في جيوش الدولة العباسية أبو الحارث البساسيري[5] ، الذي ثار ضد الدولة العباسية نتيجة سياسة التفرقة ما بين الجنود والعسكر فبعد أن هرب من بغداد ومن بطش الخليفة القائم بأمر الله والإقامة في الشمال نجد أن الخليفة المنتصر قد بعث إليه بتأييده، ويتعهد له بإمداده بالمال والرجال وبعد أن اتفق الاثنان بعث الخليفة الفاطمي المنتصر له بداعيته الداهية والجريء هبة الله الشيرازي سفيراً من قبله لإثارة حماسة جند البساسيري وحثهم على مسيرة الثورة ضد العباسيين[1] . إن الأموال والمؤن التي وصلت للبساسيري في العراق من الخليفة المنتصر بالله قدرت بخمسمائة ألف دينار وخمسمائة فرس وعشرة آلاف قوس[2] . وعلى الرغم من الحالة الاقتصادية التي كانت تمر بها مصر في هذا الوقت إلا أن وزير المنتصر اليازوري لم يتردد أن يضحي بهذه الإمدادات والمعونات[3]، وبعد أن اطمأن البساسيري على علاقته مع الفاطميين أخذ ينتظر الفرصة المناسبة للهجوم والانقضاض على مدينة بغداد[4] .والتي كانت تحت سيطرة أبو نصر خسرو نيروز الملقب بالملك الرحيم، والتي حدثت في عهده منازعات شديدة بينه وبين الديلم على السلطة ، كما كانت الجيوش في حالة انقسام وقتال[5]. ولم يتأخر الفاطميون كثيراً في الدعم المباشر للبساسيري ، فقد خرجت حامية عسكرية من القاهرة وذلك لمساندته ، وكان على رأس هذه الحامية الشيرازي الذي جمعها الفاطميون من أجناس مختلفة لمثل هذه الأحداث[6].ورافق وكان لهذه الحملة اثرٌ كبيرٌ على نفس الخليفة الفاطمي فسر سروراً لا نظير له معتبراً ذلك انتصاراً كبيرا لم يحدث لأحد من قبله سواء من أبيه أو أجداده الذين سبقوه.

ولقد ترتب على هذه الأحداث أن عظم أمر البسا سيري*وزادت عصبيته التركية وأصبح يتصرف تصرف الملوك ويتلقب بالألقاب القيادية في المناطق التي استحوذ عليها [7].

---

[5] محمد العبادي : في التاريخ العباسي والفاطمي ، ص 181.
[1] حسن أبراهيم حسن : الدولة الفاطمية ، ص 232.
[2] ابن تغري: النجوم الزاهرة ، ج5 ، ص 11.
[3] محمد سرور : سياسة الفاطميين الخارجي ، ص 191.
[4] محمد العبادي : نفس المرجع ، ص 183.
[5] محمد عبد المولى : مشرقيات ومغربيات ، ص 146.
[6] ابن تغري: النجوم الزاهرة ، ج 5 ، ص ص 12، 13.
* البساسيري: هو ابو الحارث ارسلان بن عبدالله البساسيري التركي مقدم الاتراك ببغداد ، كان احد مماليك بهاء الدولة بن بويه والخليفة العباسي القائم قد فضله على سائر الاتراك فاستبد بالسلطة ببغداد وخرسان واطلق عليه اسم البساسيري نسبة الى بلدته(بسه) ،أنظر عبدالجبار ناجي ، ص 391 .
[7] أبن خلدون :المقدمة ،ص 202

وبذلك بدأت سياسته تنتقل من مرحلة إلى أخرى حيث أصبحت أكثر اتساعاً وانتشاراً وتقدماً، وكان ما أراد حيث امتد نفوذه في كافة بغداد والأنبار وتكريت وكل من الكوفة والبصرة والمناطق المجاورة لهما.

أن نفوذه في بغداد لم يصبح كاملاً إلا في سنة 450هـ/1058م عندما خرج القائد طغرلبك من بغداد لمحاربة أخيه في الشمال فانتهز البساسيري هذه الفرصة فهاجم بغداد واستولى عليها بمساعدة بعض الأهالي الشيعة ومن بينهم أهالي منطقة الكرخ.

وعندما وصلت أخبار توسع أبو الحارث البسا سيري وسيطرته على بغداد سيطرة تامة، لم يكن الخليفة أو الملك البويهي (الملك الرحيم) يملكان شيئاً أمام قوة هذا القائد وجنوده وبذلك لم يعد هناك من شك على استفحال نظر البسا سيري على الجند وبغداد حتى أصبح الملك الرحيم لا يدخل في سياسته ولا يناقش أوضاع البلاد إلا بمشورة هذا القائد الذي أصبح يمتلك ما يدخل إلى بيت المال من الإيراد والخراج[1].

وأول سياسات البسا سيري هي القبض على الوزير ابن القاسم بن المسلمة الذي كان سبباً في هروبه من بغداد حيث قام البساسيري بتعذيبه و تكبيله بسلاسل وألبسه جلود الثيران ثم قام بتعليقه على أخشاب وعمل على تكبيله بالحديد حتى وافته المنية وهو في حالة من الضعف والاضطراب،أما الخليفة العباسي القائم بأمر الله فقد نهبت العامة قصوره وأملاكه وضيعه، غير أن البساسيري أحسن معاملته وسلمه لوالي مدينة في شمال الفرات بعد أن أرغمه على كتابة عهد اعترف فيه بأنه لاحق لبني العباس في الخلافة مع وجود أولاد الفاطميين وبذلك رفع البساسيري الألوية المصرية في بغداد معلناً عن سياسته الجديدة في بلاد العراق [2] .

ومنذ بداية توليه الحكم في بغداد نجح البساسيري في تأمين حدود العراق، وذلك حين قابل جماعات الأكراد والأعراب الذين دأبوا على قطع الطريق ونهب القرى، حيث أوقع بهم هزيمة عند روافد نهر الدجلة[3].

بعد أن قويت شوكة العرب وبعد أن ضعفت قوة البويهيين، كرست الدولة الفاطمية نشاطها بين عرب بلاد الجزيرة والذين كان أغلبهم من بطون بني عامر، مثل قبيلة بن عقل الذين هاجروا البحرين ووصلوا إلى الموصل والمدائن حتى استولوا على

---

(1) أحمد مختار العبادي: في تاريخ العباسي و الفاطمي ، ص182 .

(2) العبادي :المرجع السابق ،ص 182

(3) الحموي :معجم البلدان، ج2 ، ص 750

المناطق المحيطة بهما ،ولقد ظهرت الدعوة الفاطمية عندهم[1] بفضل رسائل المؤيد التي بعثها إليهم يطلب منهم تأييد الفاطميين وأنصارهم،كما أرسل-المؤيد إلى الوزير طغرلبك وذلك لمناصرته ودولته، غير أن مراسلاته لم تؤد إلى تحقيق الغاية التي أرسلت من أجلها ،ذلك أن العميد الكندري صاحب الملك الرحيم عمل على تفريق شمل أمراء العرب ويغريهم بإسناد بعض الولايات إليهم مما نتج عن تلك السياسة عدول كثير من القبائل العربية عن التعاون مع البساسيري[2].

وظل الخليفة الفاطمي المستنصر يمد البساسيري بالأموال الضخمة والجند، الذين أمر بإرسالهم إليه من بلاد الشام[3].

وبذلك أصبحت أحوال الخليفة العباسي القائم بأمر الله ،والظروف المحيطة به سيئة ومعقدة إذ كان يأمل بأن يجد الاستقلال والقوة في ظل السلاجقة بعد أن تردى وضعه في حماية البويهيين إلا أن ذلك الأمل قد خاب أمام شدة وقوة البساسيري وأتباعه في بلاد العراق[4].

وعمل المستنصر على توحيد كلمة الأتراك بزعامة البساسيري ،والعرب بزعامة دبيس بن علي بن مزيد أمير عرب الفرات، وأطلق عليه الألقاب منها الأمير و سلطان ملوك سيف الخلافة بالإضافة إلى منحه ولاية ما يفتحه من البلاد شرقي نهر الفرات[5]

وفي هذه الفترة امتازت الخلافة الفاطمية بالعظمة في الأماكن التي تم تواجد بها فقد تمتعت الدولة بكثير من الطمأنينة والرخاء وازدهرت أكثر مما كانت عليه إبان عهد الدولة العباسية وهذا كفيل بنشر المذهب الإسماعيلي الذي أصبح ملجأ وفي هذه الفترة زادت عظمة الخلافة الفاطمية ، وازدهرت أكثر من قبل ، فساعد ذلك على نشر المذهب الإسماعيلي الذي أصبح يعتنقه أغلب العامة في الدولة .[6]

غير أن الجند الأتراك قاموا بمحاولة لزعزعة الاستقرار الذي أحدثه البسا سيري في العراق، بأن أحدثوا فتنة في بغداد، وذلك في سنة 446هـ/1054م، حيث

---

[1] عبدالمنعم ماجد :ظهور خلافة الفاطميين وسقوطها ، ص ص173، 174
[2] محمد سرور :سياسة الفاطميين الخارجية ،ص ص195، 196
[3] حسن ابراهيم حسن :الدولة الفاطمية في مصر ،ص 432
[4] عبد الجبار ناجي :الدولة العربية الإسلامية في العصر العباسي ،ص 396
[5] حسن ابراهيم حسن: الدولة الفاطمية في مصر ، ص232 .
[6] احمد مختار العبادي :التاريخ العباسي والفاطمي ،ص ص297، 298

قاموا بإحراق دور العبادة الخاصة بأهل الذمة فضلاً عن نهب كثير من الدور ،ومن بينها دار الروم ودار أبي الحسن بن عبيد وزير البساسيري، وقاموا بمحاصرة الدار ،فما كان من البساسيري إلا الانتقال إلى دار الخليفة وأقام بها صيانة للخليفة واعتذر إليه عن تعدي أتباعه، وأعلن أنه غير راض عن أفعالهم ونتج عن هذه الفتنة غلو الأسعار، وندرة الأقوات لدى المواطنين والأهالي.[1]

وأصبح البساسيري بذلك يتصرف كالملوك وتلقب بالمظفر ومن ثم بدأت تهيبه الدول، وأمراء العرب و العجم، ودعي له على كثير من المنابر العراقية وبالأهواز ونواحيها، وبدأ في جبي الأموال من المدن التي فتحها باسم الدولة الفاطمية حيث ترى أن خزائن الدولة قد امتلأت من غزواته وانتصاراته الحربية. [2]

وعلى كل حال فإننا نجد أن جهود الدعوة الفاطمية قد أثمرت بين صفوف الأتراك في العراق وديار معظم الجزيرة، وأدت إلى قيام ثورة فعلية ضد العباسيين[3]،ويمكننا القول إن المساعدة الفعلية للبساسيري و الخليفة الفاطمي المستنصر هو أن الدعوة الفاطمية والدعاة الفاطميين السابقين قد أعطت جهودهم نتيجة ملموسة فقد لقيت تأييداً كبيراً عند الديالمة في فارس، حيث انضم إلى الفاطميين كبار الشيوخ ورجال الدولة، والذين كان لهم أثر في تحولهم من المذهب السني إلى الشيعي الجديد خصوصا عندما بدأت دوائر تعقد من أجل قراءة القرآن وهي المجالس التي كان يفتقدها هؤلاء القوم، مما جعل الفاطميين في مقدمة المسلمين بالنسبة إليهم فأقبلوا على ما جاؤا به[4].

وبتلك السياسة التي اتبعها البسا سيري استطاع أن يمتلك أغلب المناطق في العراق سياسياً، وأن يبسط نفوذه عليها، وهذا هو الأمر الذي جعل المستنصر يفرح ويسر به، وهو ما لم يحدث لأحد لا من قبله من آبائه ولا أجداده، الذين كانوا يطمحون في الوصول إلى أراضي العراق [5].

ولكي يضمن المستنصر بقاء البساسيري في العراق عمل على توحيد الأتراك وعدم إدخال فئات أخرى، وعلى أن تكون الزعامة الوحيدة للبساسيري وأن يكون

---

(1) محمد عبد المولي ؛مغربيات ومشرقيات ، ص 148
(2) محمد عبد المولي ؛مغربيات ومشرقيات ،ص 152
(3) عبد المنعم ماجد ؛ظهور الخلافة الفاطمية ،ص 176
(4) محمد سرور ؛النفوذ الفاطمي في بلاد الشام والعراق ، ص ص92 ،93
(5) احمد مختار العبادي ؛التاريخ العباسي و الفاطمي ،ص 183

حكمه شرعياً، لذلك نرى أن الداعية هبة الله الشيرازي استطاع أنْ يقنع ويضـم إليـه إبراهيم أخ طغرلبك إلى الفاطميين، وهو الذي كـان لـه دور كبيـر فـي اسـتيلاء البساسيري على بغداد وذلك عن طريق إلهاء طغرلبك بمحاربته مـن قبـل أخيـه، واستيلاء البساسيري عليهما، وله دور في استقرار الأمن داخل بغـداد، مـن خـلال إعلانه لتأييد الوجود الفاطمي في بغداد[1]. ومهما كانت الصعوبات فقد تحقـق أخيـرا حلم الفاطميين حيث كانت نتيجة إعلان الخطبة في بغداد للفاطميين، أن علا شأنهم بين الدويلات الأخرى، بعد أن كان أغلبها يتوقع سقوط الفاطميين ودويلتهم في مصر بعـد ما مرت بها حالة من القحط والجوع نتيجة الغلاء في الأسواق وانخفـاض منسـوب المياه في نهر النيل لذلك جاءت انتصارات البساسيري وتأييده للفاطميين في العـراق لكي تسقط هذه التوقعات[2].

هكذا حقق البساسيري للفاطميين انتصارا كبيرا، وأعلن الخطبة للفاطميين في بغداد واستقر الوجود الفاطمي فيها لمدة سنة كاملة وهي سنة 450هـ/1058م[3].

وبرغم ما فعله البساسيري من مجهودات في سـبيل نشـر الـدعوة، والنفـوذ الفاطمي ببغداد،إلا أنه لم يلق من الخليفة الفاطمي المستنصر بالله مـا يشـجعه علـى المواصلة وبسط سلطانه على بلاد العراق .

واشتد الأمر ما بين البساسيري و الفاطميين، حتى أنهم كانوا يعدونـه بإرسـال ستين ألف دينار سنوياً له ولأعوانه في الجيوش،إلا أنهم لم يفوا بالوعد. وذلك نتيجـة بتشكيك الوزير أبو الفرج المغربي بالأعمال التي يقوم بها البساسيري ولم يمدوه بـأي قوات لكي تسانده وتعزز موقفه في المدن العراقية [4].

وما حدث بعد ذلك هو ضعف البساسيري وجنوده الذين انقطعت عـنهم المـؤن وأصبح همه الأول كيفية إيجاد سبل العيش لهم ، مما أدى إلى انهيار تلك الثورة التي قام بها البساسيري في بغداد والتي لم تدم طويلاً ، فبعد أن انتصر طغرلبك على أخيه إبراهيم ، عاد ومن معه إلى بغداد، واستولى على ما كان بحوزة البساسـيري، وقـام بإعادة الخليفة العباسي القائم بأمر الله إلى عرشه، في إحدى المواجهات وقام بقتله ثم

---

(1) حسن ابراهيم حسن :الدولة الفاطمية في مصر ،ص 232
(2) ابن الجوزي :المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ،ج8 ،ص 191
(3) ابن الجوزي :المنتظم في تاريخ الملوك والامم ،ج8 ، ص ص193، 194
(4) ايمن فؤاد السيد :دولة الفاطمية في مصر ،ص ص132، 133

بصلبه على جدران قلعته وبذلك أصبحت الدولة العباسية في حالة من الهدوء السياسي، حيث تخلصت الدولة العباسية من الاضطرابات الداخلية التي سببتها لها الدولة الفاطمية ومن الانشقاق السياسي الذي كاد أن يقضي على الدولة في ذلك الوقت.(1)

لقد استغل الفاطميون الصعاب التي صادفت الخليفة القائم بأمر الله من ثورات الجند الذين كانوا يشكلون القوى الضاربة في الدولة العباسية وما صاحب هذه الثورات من شغب في أغلب المناطق العباسية، لذلك نرى أن الفاطميين قد كسبوا ود القائد البساسيري من بعد أن تأكد وا من استفحال نفوذه في العراق وأدركوا أنه أصبح له أعوان داخل الدولة العباسية وهو الأمر الذي جعل أمراء بغداد والموصل يعلنون الولاء والخطبة للخليفة العباسي القائم بأمر الله .

ولقد كان ذلك مستفزاً للبساسيري، الذي استقبل دعوة الفاطميين له وجعلها هدفاً لنشر قواته في كافة بغداد وأعلن على الملأ خلع طاعته للخليفة العباسي القائم بأمر الله ، وأعلن ولاءه للفاطميين الذين لم يبخسوا قدره، وبدأ في إرسال الدعم المادي له بالإضافة إلى الدعاة الفاطميين الذين كانوا النواة الأولى لتلك الحركة السياسية في بغداد .

ومهما يكن فإن البساسيري ظل يمد في مسيرته رافعاً راية الفاطميين ودعوتهم في كافة المناطق التي يدخلها واستمر على ولائه لهم، وزاد من ثقة الفاطميين به في مصر وأصبح من المقربين لرجال الدولة الفاطمية، الذين بدأوا في دعمه مادياً لتسليح الجيوش المصاحبة له، وأصبح هناك مراسلات متبادلة ما بينهم وبين البساسيري .

ولقد تقاعس الفاطميون في إرسال الإمدادات في الفترة الأخيرة للبساسيري وفي المناطق التي كانت تحت سيطرته في بلاد العراق، نتيجة الغيرة من البساسيري ومن قوته، لدى الخليفة، وهذا ما جعل الفاطميون يوقفون إرسال الإمدادات المادية له مما أضعف كاهل الجيوش التي بات الهدف لها سد الرمق وبسرعة حوصر البساسيري وقتل .

(1) احمد مختار العبادي : التاريخ العباسي والفاطمي ، ص 183.

الفصل الثالث

النفوذ الفاطمي في الشام والحجاز

المبحث الأول: الوجود الفاطمي في بلاد الشام.

المبحث الثاني:الوجود الفاطمي في الحجاز .

المبحث الثالث: سياسة الفاطميين في زمن الظاهر والمستنصر.

المبحث الأول

الوجود الفاطمي في بلاد الشام

تعتبر منطقة الشام منطقة نافذة بمساحتها الكبيرة وحدودها البادية من أيله* إلى الفرات وآخر حدودها مصر[1] حرص الإخشيديون وقبيل الفتح الفاطمي لبلاد الشام على توطيد نفوذهم بولاية الشام التي تقلدوا حكمها لفترة طويلة[2]. لذا حرص الفاطميون منذ استيلائهم على مصر على زعزعة دعائم الدولة العباسية وانتزاع نزعة الإسلام فيها بما في ذلك بلاد الشام ، وكانت الضرورة السياسية والحربية تقتضي من الفاطميين بعد أن تم لهم فتح مصر أن يولوا وجوههم شطر بلاد الشام فعملوا على فتح هذه البلاد بقيادة جوهر الصقلي رغبة في تأمين حدود مصر عند ناحية الشمال ومواجهة خطر القرامطة[3] ومن هنا تتضح السياسة الحربية للدولة الفاطمية نحو المشرق، ولم يكن قصد الفاطميين في سياستهم فرض سيطرة عنصر معين، كما فعل الأمويون حينما كان هدفهم فرض سيطرة العنصر العربي ، أو العباسيون الذين قاموا بتأييد الفرس ، ففي الوقت الذي ظهر فيه الفاطميون كانت حركة الشعوبية أو القوميات قد اختفت والروح الإسلامية قد تمكنت من شعوبها[4] فقد عُرفت الشام قبل الفاطميين بالانقسام حيث تسيد الحمدانيون على كافة مناطقها الشمالية وعلى رأسها أكبر مدنها حلب.

أما جنوب الشام فقد كان تحت السيطرة الإخشيدية التي كان وضعها غير مستقر في المنطقة بسبب هجمات القرامطة المتكررة وبخاصة قرامطة البحرين مما اضطر الإخشيديون إلى دفع مبلغ ثلاثمائة ألف دينار سنوياً للقرامطة مقابل الكف عن مهاجمة بلاد الشام ونتيجة لهذه الأحوال اتجه جوهر الصقلي بعد استيلائه على مصر إلى بلاد الشام باعتبارها امتداداً طبيعياً للبلاد المصرية وولاية من ولاياتها في العهدين الطولوني ، والإخشيدي، إضافة إلى أهميتها الحربية والاقتصادية ، كما أنها تواجه خطراً يهدد الفاطميين ألا وهو الدولة البيزنطية في حدودها الشمالية للخطة وتنفيذ

---

* أيلة : هي مدينة واسعة جليلة تقع على ساحل البحر المالح وكانت مركزاً لراحة التجار المارين وبها كان يجتمع حجاج الشام ومصر والمغرب ، انظر اليعقوبي ، أحمد بن واضح، كتاب البلدان ، دار إحياء التراث ، بيروت 1988، ط1، ص 98.

[1] الاصطخري : أبو إسحاق إبراهيم ، المسالك والممالك ، وزارة الثقافة والإرشاد ، القاهرة ، 1961م ، ص 43 .

[2] سيدة الكاشف : مصر في عهد الإخشيديين ، ص 82 .

[3] محمد سرور : سياسة الفاطميين الخارجية ، ص 120 .

[4] عبد المنعم ماجد : ظهور خلافة الفاطميين وسقوطها في مصر ، ص 119 .

الخطة التي وجهه من أجلها المعز ، من أجل توسيع رقعة بلاده ومد نفوذ الدولة واصل جوهر الصقلي تنفيذ الخطة التي وضعها الخليفة المعز ، الاحتلال الشام،وبسط نفوذ الدولة الفاطمية على حساب الدولة العباسية [1] .

أنتدب جوهر قائده جعفر بن فلاح الكتامي في سنة 358 هـ/ 968م للاستيلاء على الشام، حيث كانت الفرصة مواتية له بسبب أحوالها المتردية، وقلة العسكر فيها ، فما كان من الإخشيديين الموجودين في الشام إلا أن جهزوا جيوشهم، بقيادة محمد بن طغج والتقى الطرفان، ولكن الفاطميين قضوا على جيوش الشاميين، وقاموا بأسر بن طغج وأرساله إلى المعز في أفريقيا، واستولى جعفر علي الرملة ثم قصد طبرية واستولى عليها، وأقام الخطبة للفاطميين يوم الجمعة من محرم سنة 359هـ/969م وبذلك تكون قد قطعت الخطبة للعباسيين.

ويمكن أن نلمس قوة تحقيق الأهداف السياسية الحربية الفاطمية في بلاد الشام باعتبارها ميداناً لجهاد أعداء الإسلام[2]، وعلى الرغم من الاستيلاء الكامل للفاطميين على بلاد الشام ، إلا أن نفوذهم لم يكن مستقراً، إذ كان يتراوح بين المد والجزر ، حسب قوة الدولة الفاطمية وما تتعرض له من ضغوط من الدول المحيطة بها [3].

وقد أثار جعفر الكتامي نفوس أهل الشام، فلم يخلصوا له بل استمروا يدبرون الفتن والمؤامرات للخلاص من حكم الفاطميين، الذين يخالفونهم في المذهب الديني، وجدوا الخلاص في استنجادهم بالقرامطة، والأتراك الذين تفاقم خطرهم في عهد الخليفة الفاطمي المعز لدين الله ، ولعل الصعوبات التي واجهها الحكم الفاطمي في ولاية الشام، وعدم تعاون أغلب سكانها مع الفاطميين بعد سوء التصرف، الذي حصل من القائد جعفر وجنوده وردود الفعل، يرجع إلى اعتماد عساكره من المغاربة، على أسلوب البطش والقتل والتدمير والحرق والنهب للمدن والقرى وإهانة الأهالي في دمشق وغيرها من المدن الشامية، وربما أن هذه المنطقة التي تمتد في شكل قوس في شمال الصحراء العربية، والتي تشمل الشام وما بين النهرين والتي تسمى(الهلال الخصيب)، وما تمثله من واحات وهضاب محصاة، وسهول جافة كثيرة، وما تتمتع به

---

[1] العوفي :محمد سالم العلاقات السياسية في الدولة الفاطمية والدولة العباسية ،منشورات جامعة الامام محمد بن سعود ، القاهرة ،1949 ، ص 58 .

[2] عبد المنعم ماجد: ظهور خلافة الفاطميين وسقوطها ، ص 124 .

[3] العوفي : العلاقات السياسية لدولة الفاطمية والدولة العباسية ، ص 58 .

من شبكة واسعة من الطرق، التي تمر بعدة مناطق مختلفة، ساعد على مـد أطمـاع دويلات صغيرة لمحاربة النفوذ الفاطمي فيها .[1]

واجه الفاطميون الكثير من الصعاب في الشام أتت أغلبها من قبل أهـل الشـام انفسهم، وهم من سلالات عربية، سكنت الشام قبل الفتح العربي الأول، مثل الطـائيين والكلبيين أو بني كلاب الأولى في فلسطين، والثانية في شمالها حتى حلب[2].

رأى جعفر أنه لن يستطيع توطيد سلطان الفاطميين في دمشق إلا بالقضاء علـى زعماء الفتنة من أهلها، فأرسل جنده في طلبهم وتم القبض على اغلبهم ممـا اعطـى للفاطميين نوع من الأمان.

ونشير هنا إلى إن حالة الفاطميين السياسية ،.كانـت تتوسـع بفضـل الجهـاز الإداري، الذي كان يساعد الخليفة على تنفيذ سياسته، حيث نلاحظ أن الفاطميين فـي الشام اعتمدوا في حكم ولاياتهم على أنصارهم الموالين لهم ، فقـد كـانوا يأخـذون المسيء منهم بالشدة إذا أساء الترقية والتشجيع إذا أحسن ، فعليه أن يبذل أقصى جهده في خدمتهم ودولتهم[3]، وبمقتضى ذلك يمكننا أن نقول إن سياسة الفاطميين فـي هـذه الفترة توسعت في مجملها، من حيث العامل الإداري والسياسي والديني ، مـن أجـل تحقيق هدف واحد، ألا وهو الصعود براية الخلافة الفاطمية في المشـرق ، متضـمناً ذلك تكافل الجيوش والولاة والخليفة في الدولة الصاعدة في العالم الإسلامي في الشرق والغرب.

هذا ولقد استفاد الفاطميون في بلاد الشام في ذلك الوقت من أوضـاع غيـرهم، [4] وبعد فتح الرملة ودمشـق وإقامـة الـدعوة للخليفـة المعـز الفـاطمي فـي سـنة 360هـ/971م، اعترف حكام حلب الحمدانيون بالخلافة الفاطمية، ومع نهايـة سـنة 360هـ/971م كان الأذان (بحي على خير العمل) يطلق على كافة المآذن الشامية. رأى جعفر الكتامي بعد أن استقرت له الأمور ببلاد الشام، أن يجهز جيشاً كبيراً يضم إليه جنود وعساكر عمال دمشق وفلسطين وحلب [5]، ممن كانت لهـم جـولات فـي

---

[1] لومبار : موريس،الإسلام في مجده الأول من القرن 2 إلى القرن 5، منشورات دار الآفاق الجديدة ، المغرب 1990 ، ط3 ، ص 37.
[2] عبد المنعم ماجد : ظهور خلافة الفاطميين وسقوطها في مصر ، ص ص 124 ، 125 .
[3] محمد سرور : سياسة الفاطميين الخارجية ، ص 120 .
[4] حسن ابراهيم حسن : تاريخ الإسلام السياسي ، ص 213 .
[5] محمد سرور : سياسة الفاطميين الخارجية ، ص 121 ، 122 ، كذلك ابن خلكان ، وفيات الاعيان ج1، ص 361 .

الحروب والقتال ، لأن الفاطميين أدركوا حجم الأخطار المحيطة بهم، من قبل الدولة البيزنطية، دخلت قوات الفاطميين في مواجهة عنيفة مع البيزنطيين .

استمرت حالة العداء ما بين الدولة الفاطمية في الشام، والدولة البيزنطية على أشده، ولم يحقق أي من الطرفين النصر على الآخر، وظلت تلك العلاقات العدائية بين الدولتين قائمة، حتى أرسل باسيل الثاني إمبراطور الدولة البيزنطية رسلاً تحمل الهدايا للفاطميين طالبين الصلح والهدنة، فكان لهم ما أرادوا شرط أن يطلقوا سراح أسرى المسلمين، وأن يتبادل مع الدولة الفاطمية في مصر التجارة والهدنة لمدة سبع سنوات، واستمرت العلاقات الودية لمدة ليست بقصيرة فيما بينهما[1] وهكذا ازدهرت الأحوال وانتقلت مصر إلى عهد جديد من الرخاء والازدهار وتوطدت أركان الدولة الفاطمية وامتد نفوذها وسلطانها إلى ما وراء الحدود والبحار.

أصبحت الدولة الفاطمية في حالة من التوسع السياسي ، استنجد أهل دمشق بالقرامطة خاصة أن جعفر كان قد قطع عن القرامطة الجزية التي اعتادت دمشق أن تدفعها سنوياً ، حسروا نفوذهم الاقتصادي والتجاري في بلاد الشام ، إثر امتداد النفوذ الفاطمي عليها ورفض هؤلاء دفع الإتاوة والقروض المقررة للقرامطة على المدن الشامية بموجب الاتفاق أيام الإخشيديين[2].

وكانت هذه الحملات الشرسة أغلبها تحت قيادة القائد الحسن القرمطي، الذي وضع نصب عينيه قتل القائد الفاطمي جعفر بن فلاح، الذي أرعب أهالي الشام وفلسطين بسياسته الحربية [3] .

وكان له ذلك عندما تلاقى الطرفان في أطراف دمشق، وأدى إلى مقتل جعفر بن فلاح في 6 ذي القعدة سنة 360هـ/ 31 أغسطس سنة 971م. [4]

واستفاذ القرامطة من قوة تجمع العناصر المختلفة مثل عنصر الباطنيين وإمامهم المستور، ومن الفلاحين النبطيين الذين لم يتشربوا روح الإسلام كل التشرب، ومن الأعراب الفقراء الذين لمعوا في أساليب السلب والنهب، ومن العمال الفقراء الطامعين بالربح[5]. ولقد وجد القرامطة في بلاد الشام مرتعاً خصباً لمبادئهم، وقد

---

(1) حسن ابراهيم حسن : مصر في العصور الوسطى ، ص 284 .
(2) حسن ابراهيم حسن : مصر في العصور الوسطى ، ص 269 .
(3) حسن ابراهيم حسن : نفس المرجع ، ص 369 .
(4) أيمن فؤاد السيد : الدولة الفاطمية . ص 85 .
(5) العش : يوسف ، تاريخ عصر الخلافة العباسية ، دار الفكر المعاصر (دمشق، 1982) ط1، ص 163.

استغلوا أوضاع بلاد الشام المتغيرة لمهاجمة الفاطميين في مركزهم الجديد، وإعادة المجد الذي ضاع منهم نتيجة انحدار الدولة العباسية [1].

وقد استمرت حملات القرامطة بعد ذلك في أشكال مختلفة، تقض مضجع الفاطميين إلا أنها كانت بصورة أضعف مما قبلها[2]، واستمر الخطر القرمطي حتى عندما تسلم الخليفة العزيز بالله الحكم، الذي وجد الشام وفلسطين في مهب الرياح تتقاذفها الأنواء ذات اليمين والشمال والأوضاع العامة مضطربة، والنفوس قلقة، والحكم الفاطمي فيها لا يكاد يتوطد حتى يتقلص[3]، وفي عهد العزيز بالله تفاقم خطر القرامطة الذين استعصى أمرهم على أبيه المعز بالله من قبله[4]، وعلى الرغم من كل هذه الظروف التي كانت تحيط بالدولة الفاطمية الأولى إلا أنها حققت تقدماً اقتصادياً وتجارياً سواء من الناحية الاقتصادية والتجارية.

ولقد عمل الفاطميون بكل الوسائل السياسية والمهادنة على التمسك بالشام، وبذلوا في ذلك جهوداً مضنية للاحتفاظ بها على الرغم من الدسائس المحيطة بهم من قبل أعدائها، وغدت لبلاد الشام طريقاً لجبهتين حربيتين، العباسيون وقواهم في بغداد، والبيزنطيون في القسطنطينية ، وهؤلاء لم يغيروا استراتيجيهم نحو الفاطميين طوال العصر الفاطمي[5]، وبما أن الخليفة الفاطمي العزيز كان هدفه منذ بداية ولايته أن يصل حكمه إلى كافة بلاد الحجاز، والشام والعراق، ناهيك عن شمالي إفريقية لذلك حاول منذ بداية حكمه استخدام كافة الأسلحة، بوضع نفوذه على هذه المناطق، بما في هذه الأسلحة استخدام السيف والمال[6].

وتعتبر هذه السياسة التي اتخذها الخليفة الفاطمي ، مجدية لحد كبير ، وذلك نتيجة لاختلاف الأخطار المحدقة بدولته، باختلاف الولايات التي أحيطت به. فسياسة اللين والشدة دلت على سعة فكره وحنكته السياسية.

وفي الوقت الذي أعاد الخليفة العزيز بترتيب جيوشه، ومزجها بالسودانيين والمغاربية خوفاً من الانقلاب من عنصر واحد، كان القرامطة قد اشتدت قوتهم فقاموا

---

(1) محمود : حسن أحمد ، حضارة مصر الاسلامية ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ط1 ، ص 157.
(2) محمد لعوفي : الدولة الفاطمية والدولة العباسية ، ص 58 .
(3) عارف تامر : الخليفة الفاطمي العزيز بالله ، ص 10 .
(4) حسن ابراهيم حسن : تاريخ الإسلام ج3 ، نفس المرجع ، ص 158 .
(5) زبود : محمد : حالة بلاد الشام الاقتصادية منذ العصر الطولوني في نهاية العصر الفاطمي ، دار النشر ، بيروت 1992 ، ص 30 . كذلك ، أرشيبك / القوى البحرية والتجارية ، ص 326 ، 327 .
(6) يوسف العش : تاريخ عصر الخلافة العباسية ، ص 222 .

بمهاجمة دمشق في سنة 358هـ/968م، وقاموا بالاستيلاء عليها، وحتى أنهم فكروا بالاستيلاء على مصر لولا قوة الفاطميين، وقوة بأس المغاربة المدربين على القتال الصحراوي.

وعندما أحس الفاطميون بالخطر وبعد أن جردت تأسيس عساكرها، لذلك حاولوا ميل كفة حسان بن الجراح الطائي الذي كان مختلفاً مع بن الأعصم، والذي منحه الفاطميون مبلغ مئة ألف دينار لقاء انسحابه من التحالف، ولما دارت الحرب بين الطرفين انسحب الطائي مع قواته وترك أبن الأعصم مع جنده، مما جعله وحيداً أمام الهجمات الفاطمية المنظمة وفر بن الأعصم إلى البحرين، حيث عاد إلى موطنه الأصلي تاركاً الأمير القرمطي أبو المنجا يحاول الصمود مع بعض الجنود القلائل[1].

بدأ الفاطيون في الاستقرار في الشام، بعد أن أرسلوا القائد الفاطمي للقضاء على كافة الفتن القرمطية وبالأخص أبي المنجا القرمطي، الذي تم القبض عليه، هو من معه، ثم أرسل إلى الخليفة الفاطمي، وكان في ذلك تفوق للفاطميين ممزوج بالدهاء والفطنة السياسية[2]، ويفهم من خلال ذلك أن الحروب السياسية، التي جرت ما بين الدولة الفاطمية والقرامطة على الرغم من أنهم من عرق واحد ، يرجع بحيثياتها إلى التدخلات المتكررة للفاطميين في الشئون الداخلية للقرامطة الداخلية ، وتشجيع المنشقين عن الدولة، وهذا ما أثار حفيظة القرامطة، وبعض القبائل المجاورة، والتي رفعت راية الصد في وجه سياسة الفاطميين في بلاد الشام [3].

الإمارات والقوات المناوئة للفاطميين

كثرت الإمارات والقوات العربية وغير العربية التي رفضت الوجود الفاطمي وأهمها:

1 – بنو الجراح في فلسطين (بنو طيء)

كانت الشام مليئة بالقبائل العربية، التي أقامت بها بعد الفتح، والتي كانت تحظى بالفرصة لإعلاء شأنها خصوصاً في العصر العباسي الثاني، لما كان لدولة العباسية من ضعف خصوصاً مدينة حلب والتي تعتبر من المناطق العامرة بالقبائل،[4] وما يحيط بها من قرى زاهرة، وفي أواخر القرن الرابع الهجري، حاول بنو طيء تكوين

[1] الهاشمي : عبد المنعم ، موسوعة تاريخ العرب العصر العباسي والفاطمي ، دار البحار ، بيروت 2006 ، ط1، ص 271.
[2] ابن حوقل : أبو القاسم النصيبي ، صورة الأرض ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ،1938، ج1 ص 162 .
[3] عارف تامر : الخليفة الفاطمي العزيز بالله ، ص 23.
[4] الاصطخري : المسالك والممالك ، المصدر السابق ، 1961 ، ص 46 .

إمارة أو دولة لهم بفلسطين والتي تتبع للنفوذ الفاطمي، ففي عام 288هـ/900 م ثار الفرج بن دغفل بالرملة، وأعلن نفسه أميراً على فلسطين، غير أنه لما علم الفاطميون، بذلك أرسلوا حملة بقيادة حبيس بن الصمصامة الذي خرج إلى الرملة وأخضع ثوارها واستولى عليها وأعادها إلى سيادة الفاطميين،ـ ثم أخذ يطارد ثائرها الفرج الذي طلب الصلح والأمان، فعفا عنه، ثم أخذ ابن الصمصامة بتنظيم الأمر، ويصلح الأحول قبل عودته إلى القاهرة وقد استكان الأمر لفترة قصيرة، ثم عاد بنو دغفل إذ قام حسان بن دغفل بعمل فتنة في فلسطين عندما فر الوزير أبو القاسم بن الغربي إلى حسان بن مفرج أمير طيء بالرملة، وكان الحاكم بأمر الله الفاطمي قد نقم على المغربي في مصر، بعد أن خلع الطاعة للخلافة الفاطمية، فخرج حسان مع جماعة من الثوار، وزحف على الرملة واستولى عليها، وقتل واليها وعاث في البلاد فساداً.

وكما عرفنا أن الخليفة الحاكم بأمر الله ثالث الخلفاء الفاطميين، يستخلص أمر السلطة بنفسه، حيث كان حكمه فردياً مطلقاً، واستخدم القتل وسيلة من وسائل الحكم، للتخلص ممن يشك في ولائه وحرصه على أن لا يكون أحدً أعلى منه في السلطة، وكذلك القتل لكل من يعبث بالأموال العامة، مع حرصه على إصلاح أمور الدولة بعد أن اضطربت الإدارة الفاطمية، نتيجة الحروب والفتوح التي قامت بها الدولة الفاطمية[1]

وقد عرف بنو طيء والمغربي مدى هذه القوى، لذلك استعانوا بشريف مكة الحسين ابن جعفر الحسني، محاولين إطماعه بالرئاسة والخلافة، وحثه على الخروج إلى الرملة، عملاً بخطة حسان الذي سيكون عوناً له على تثبيت سلطاته.

أما الشريف الحسني فقد رحب بالدعوة، وأقام الخطبة لنفسه وتلقب بالراشد بالله، وخرج من مكة قاصداً الرملة حسب الخطة المتفق عليها، وكان بصحبته أبو القاسم المغربي وجماعة من أتباعه من قبائل العرب ، وعندما اقترب من الرملة التقى به حسان بن المفرج بصحبة أولاده وجماعة من العرب مرحبين وبايعوه بالخلافة.

أما بالقاهرة فقد وصل نبأ خروج الشريف الحسني عن طاعتهم. ومبايعتيعته بالخلافة وضلوع بني الجراح في هذه العملية ، فقد نظروا إلى أشراف مكة أنهم اعداء ويعاملونهم الند بالند.

[1] عبدالمنعم الهاشمي: موسوعة تاريخ العرب ، ص294 .

فبدأ الفاطميون يعملون على القضاء على سيطرة بني طيء أولاً، ثم تأديب الشريف الحسني ثانياً، فأرسلوا حملة إلى فلسطين كي تقضي على سيطرة بن الجراح ، إلا أن هذه الحملة الفاطمية لم يكتب لها النصر بل حلت بها الهزيمة ، وحتى لا يستفحل خطرهم أمام الفاطميين، فكر الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله باستمالة حسان وقومه وإغرائهم بالمال ، وكان له الأمر عندما خضع له بنو الجراح وبدلوا رأيهم في الشريف الحسني، وخالفوه في سياسته، ولم يذكر لنا الأنصاري أن هذا الاتفاق تم بمعاهدة صلح وربما قد تم ذلك عن طريق هبات من المال فقط.[1]

وهذا يوضح لنا مدى تمسك السياسة الفاطمية ببلاد الشام على الرغم من مواجهتهم معارضة عنيفة ، فقد استمر الفاطميون متمسكون بحكم الشام والعمل على إبقائه تحت سيطرتهم على أن سياسة الحاكم هذه، والتي اشتهرت ببذل الأموال على العناصر المنفصلة لإخضاعهم، وإن كانت قد أثارت سخط المصريين عامة، ساعدت على إقرار الأمن والمحافظة على الآداب العامة، وقضت على الفوضى في الشام، التي سادت أواخر القرن السابق للعزيز بالله[2]، وبذلك عادت القدس إلى دائرة النفوذ الفاطمي مرة أخرى بعد مجهود مضنٍ من قبل الفاطميين .

وعندما أحس الشريف الحسني بتغير رأي بني الجراح وخذلانهم له ، قام بإبداء اعتذاره فيما حدث منهم للحاكم بأمر الله، وأرسل له مكتوباً بذلك ، فقبل الحاكم عذره وعفا عنه، ثم أعاد إليه إمارة مكة ، وكان هذا درساً قاسياً له، وحتى يمسح الشريف الحسني آثار ما حدث منه عمل على الإخلاص للفاطميين، وإقامة الدعوة للخليفة الحاكم بأمر الله .

2 – الحمدانيون والفاطميون :

عندما فتح الفاطميون الشام، دعا جعفر بن فلاح الحمدانيين إلى إقامة الخطبة للخليفة الفاطمي المعز لدين الله، ولم يكتف بالدعوة تلك بل هددوهم بالاستيلاء على عاصمتهم، واعتبروا هذا بمثابة إنذار يحط من كرامتهم، مما جعلهم يتقربون إلى القرامطة كمنجأ لهم[3] .

(1) محمد زيود : محمد ، التجارة بين مصر والشام في العصر الفاطمي ، مجلة الدراسات العلمية ، جامعة دمشق ص 116 .
(2) حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلامي ، ص 160 .
(3) حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسي ، ص 358 .

والحمدانيون كان عصرهم الذهبي أيام سيف الدولة الحمداني ولكن في عصر خليفة سعد الدولة بن سيف والذي امتد عصره من عام 356هـ/ 381م، ظهر ضعف في الدولة الحمدانية، بسبب أطماع بعض القواد والولاة لديهم ، مما دفع مرعويه وهو أحد أتباع سيف الدولة إلى الخضوع للفاطميين، وإقامة الخطبة لهم[1]، إلا أنه كان يسعى إلى تجديد سلطته في البلاد من جديد ، لذلك بعد أن استقر له الوضع جهز جيشاً من العرب وغالبيتهم من بني كلاب ، ونجح في مسعاه إذ بسط سلطانه على حلب بعد حصار دام أربعة أشهر ، ثم ترك حمص وولى فيها غلامه بكجور التركي عام 366هـ/976م، وكان رجلاً طموحاً ذو حنكة سياسية حربية، وسريعاً ما استكان في حمص وأصبحت ملاذه من سيده سعد الدولة الذي أصبح من أشد أعدائه، بسبب ميله لسياسة الفاطميين في بلاد الشام[2]، (وامتداد النفوذ الفاطمي إلى الشام برهان على أن مصر لم تكن هدفاً مقصوداً لذاته وإنما اعتبارها قاعدة مفضلة لحراسة بلاد المغرب وجزءاً من المسيرة الكبرى للسيطرة على المشرق وكذلك غدت بلاد الشام بعد ضمها رأس جسر يمتد نحو بغداد العباسية ، وخطاً أمامياً للوقوف ضد خطر الروم المتكالبين في منطقة الثغور ضد المسلمين) ومن هنا نرى أن الحمدانيين كانوا أقل خطورة للفاطميين، على عكس القرامطة الذين كانوا أكثر شراسة في حروبهم مع الفاطميين[3].

ويبدو أن الأوضاع المضطربة في المناطق التي تخضع للحمدانيين وسياستهم، والتي أدت إلى الاستعانة بعنصر لطالما كان العدو اللدود للمسلمين وهو الدولة البيزنطية .

3 – البيزنطيون

وبعد تجاوز الفاطميون في الشام خطر الأعراب لم تتمتع دمشق بالهدوء ، فقد أطل الخطر البيزنطي المعروف بمدى قوته، والذي عرف منذ بدايته بكرهه لتوسع المسلمين، بالثغور الشامية حيث أن منعطفاً جديداً في العلاقات، بعد أن كانت الحرب سجالاً بين الطرفين، تأرجحت كفة الروم رغم أنهم لم يحققوا مكاسب مادية مهمة، مستفيدين مما تتعرض له الخلافة الفاطمية من حركات انفصالية في الأقاليم، وقد أدى ذلك إلى تشتت قوة المسلمين العسكرية[4] التي ركزت على إقرار الأمن والنظام في

---

(1) ابن الأثير . الكامل في التاريخ ، ج8 ، دار الكتب الوطنية بيروت ، 1980 . ط2 ، ص ص 197، 198.
(2) محمد سرور : سياسة الفاطميين الخارجية ، ص ص 142، 143.
(3) قبال:مرسي . دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، د.ت ، ط2 ، ص 524.
(4) الشبوجي : سعيد ، رسول ملك بيزنطة ، مجلة العربي العدد 166 ، 1972 ، ص 84، 85.

المنطقة وكانت بداية الشرارة للقتال بين الخليفة الفاطمي والبيزنطيين حيث قام والي فلسطين دغفل بن الجراح الذي أعطى له الأمن من قبل العزيز حيث أرسل له القائد بلكيس التركي والذي بدوره استعان ببعض العزب الناقمين عليه فهرب إلى حمص والتجأ إلى واليها بكجور.

وكان الخليفة الفاطمي قد وضع أمام عينيه محاولات البيزنطيين لاستعادة بلاد الشام بتحريض من أعراض معادية للوجود الفاطمي في المنطقة ألا وهم الحمدانيون الذين تطبّعوا منذ بداية الأمر من مواجهة القوة السياسية للفاطميين[1] ، بعد أن عاد أغلب قادتهم وزعمائهم من تقاليد الجزيرة الفراتية البدوية في الموصل، كما أنه لم يستسيغوا تصرفات جند الخلافة وشغبهم وقلة ضبطهم الذي فرضته الظروف العسكرية السياسية للفاطميين .

والبداية للوجود البيزنطي في الشام عندما قام الأمير الحمداني أبو الفضائل بن سعيد الدولة عام 384هـ/994م للاستنجاد بالإمبراطور البيزنطي باسل الثاني ضد الوجود الفاطمي في الشام والصراع الفاطمي البيزنطي تدرج من مرحلة إلى أخرى والعوامل الأساسية في ذلك الصراع هو العامل التجاري، والتحكم بالطرق المؤدية من وإلى الممرات الساحلية، ولذلك رأينا كيف كانت الحالة في الشام صراعاً دائماً بين القوى الإسلامية لمحاولة السيطرة على الشام، مما أدى هذا الصراع إلى تأثير سلبي على الدولة الفاطمية في مصر والشام [2]، ولذلك نرى أن الخليفة الفاطمي الظاهر قد عمل على تحسين علاقات بلاده مع البيزنطيين، بعد أن ساءت في عهد والده الحاكم وذلك لعوامل عدة منها الاقتصادية، فقد كان الفاطميون في حاجة ماسة إلى مؤن القمح الذي كان يصل إليهم من القسطنطينية . وفي حاجة إلى تأمين حدودهم مع البيزنطيين، لكي يتفرغوا لمواجهة العباسيين، والسلاجقة الذين كانوا يحاولون الاستيلاء على الجانب الشرقي للشام وبادر الظاهر طالباً هدنة مع البيزنطيين في سنة 418 هـ/1027م حيث وقع الطرفان معاهدة في نفس السنة كانت نتيجتها أن أقيمت الخطبة للظاهر بجامع القسطنطينية وقبل أن يعيد الظاهر فتح كنيسة القيامة وتجديدها . ولذا وقع الظاهر معاهدة مع البيزنطيين في سنة 4128هـ/1027م، كانت نتيجتها أن

---

[1] الأنطاكي : الأنطاكي : تاريخ الأنطاكي ، ص ص 182-180.
[2] احمد مختار العبادي : التاريخ العباسي والفاطمي ، ص 328.

أقيمت الخطبة للظاهر في جامع القسطنطينية، مقابل أن يعيد فتح كنيسة القيامة وتجديدها ، وألا يحارب مع أعداء البيزنطيين، وأقيمت معاهدة أخرى بين الطرفين في سنة 427هـ/1036م لمدة عشر سنوات، ثم تجددت في سنة 439هـ/1047م وذلك لاستمرار الاتفاق بين الفاطميين والبيزنطيين [1].

4 – الصليبيون والشام:

كانت الاستعدادات تجري في الغرب الأوربي لتحرك الجيوش النظامية باتجاه الشرق ، وقد جاء الصليبيون إلى المشرق العربي الإسلامي في وقت كان المشرق الإسلامي يموج في انقسامات سياسية ومذهبية ودينية[2] ولقد بدأت فلول الصليبيين تتقدم نحو بلاد الشام بجماعات مختلفة ولأغراض مختلفة إلا أن الهدف واحد وهو الاستيلاء على المشرق كبداية لمهاجمة أنطاكية وسلبها ونهبها [3]، بعد أن سقطت أنطاكيا* في أيدي الصليبيين عام 491هـ/1097م وباءت محاولات المسلمين في الشام لاستردادها بالفشل.

ولما رأى الفاطميون صعوبة مواجهة هؤلاء المتدفقين ، لذلك حاولوا تحريك دفة الحرب لصالحهم، وذلك باستغلال الوضع لما تواجهه الجبهة العباسية، من حروب ضارية مع الصليبيين الذين توغلوا في أراضيها ، ولكي يتحقق لهم المزيد من الكسب والانتصار على العباسيين ، فطرحوا فكرة جريئة وهي عبارة عن مشروع تحالف مع الصليبيين ضد المعسكر العباسي السلجوقي، على أن يكون الشمال الشامي تابعاً للصليبيين وجنوبه من نصيب الفاطميين [4]، فأرسل إليهم الوزير الأفضل بن بدر الجمالي سنة 492هـ/1098م سفارة إلى الصليبيين وذلك لكي يتفاوض معهم حول هذا المشروع وعقد اتفاق معهم لإيقاف الهجمات على الأماكن المقدسة في بيت المقدس[5] وبعد أن قاموا بأعمال تخريبية وبقطع طرق المواصلات التجارية البرية والبحرية بين الشام ومصر [6] .

---

[1] الأنطاكي : التاريخ الأنطاكي ، ص 270، 271، 272 .

[2] عبد المنعم الهاشمي : موسوعة تاريخ العرب ، ص 376 ، 377 .

[3] محمد سرور : النفوذ الفاطمي في بلاد الشام والعراق ، ص 66 .

* انطاكيا: وهي المدينة التي تقع على الحدود الشامية الشمالية وكانت مركز لجيوش الفاطميين في فتحها لبلاد الشام ونقد أسس هذه المدينة انطوغونيا على نهر اورنطي وأسماها علا ونوه أنطوقيا وطولها 69 وعرضها 35 . انظر الحموي: كتاب البلدان ، ج1، ص 316.

[4] الحبشي : حسن : الحروب الصليبية الأولى ، القاهرة، 1947، ط1 ، ص 53.

[5] زيود: محمد : دراسات تاريخية ، مجلة علمية تصدر عن جامعة دمشق ، دمشق ، العددان 57 ،58، 1996، ص 125.

[6] حسن الحبشي : الحروب الصليبية الأولى ، ص 54.

والفاطميون منذ البداية حرصوا على أن يتمحور الوجود الصليبي فقط داخل أنطاكيا وأن تستقل مصر ببيت المقدس وعلى أن يسمح للصليبيين بزيارة الأماكن المقدسة بفلسطين وأن يكون لهم الحرية في أداء شعائرهم الدينية ، كما نص العقد بألا تزيد مدة هذه الزيارة عن شهر واحد ولا يدخلوها بسيوفهم[1] . وبما أن الصليبيين عندما مروا بالقسطنطينية للراحة وهم في طريقهم للمشرق ، قام الإمبراطور البيزنطي الكسيوس كومنين بنصحهم بمحاولة مخالفة الفاطميين في مصر ليكونوا لهم سنداً ضد السلاجقة في بلاد الشام وشمال العراق مما يتح لهم التقدم أكثر. غير أنه من المعروف أن الصليبيين هم جماعات متفرقة ومذاهب مختلفة فلما نصح الإمبراطور البيزنطي الكسيوس كومنين الصليبيين بمخالفة الفاطميين ليكونوا لهم سنداً ضد السلاجقة في الشام ، لم يأخذوا الأمر بمحمل الجد في بداية الأمر ، إلا أن ذلك لم يمنعهم من السير والاستيلاء على بيت المقدس التي كانت خاضعة للفاطميين الذين قاوموا الصليبيين عن طريق حامية إسلامية فيها غير أن قائد الحملة الصليبي جود فروي ما لبث أن وجد منفذاً له فيها وبذلك تيسر له فتح أبواب المدينة ، مما اضطر بعض المسلمين إلى الاعتصام داخل المسجد الأقصى ، وعندما قبض عليهم الصليبيين نكلوا بهم[2].وبذلك تمت سيطرتهم على أهم معقل إسلامي في فترة وجيزة ولم تمض سنة 510هـ/1116م حتى أقام الصليبيون عدة حصون وقلاع أهمها الشوبك والكرك، التي اتخذوها مراكز للهيمنة على الطرق، ومهاجمة القوافل المتجهة من مصر إلى فلسطين، ومنها لبقية مدن الشام ، كما أكمل الصليبيون سطوتهم باحتلال العقبة، وأشرفوا على شبه جزيرة سيناء في مصر. لم يقف الفاطميون مكتوفي الأيسدي أمام الهجوم الصليبي على بلاد الشام، وزحفهم على بيت المقدس، لذلك قام الفاطميون بتجميع جيوشهم، وكانت البداية بحملات متفاوتة الحجم وبعد التقاء الطرفين ، انتصر الصليبيون على الفاطميين في عسقلان، ويعتبر هذا الانتصار بمثابة الطريق الميسر للاستيلاء على إقليم الجليل ، لعدم وجود مقاومة اسلامية، ووضع الصليبيون حامياتهم في المدن الرئيسية مثل بيت لحم ، الخليل والرملة ويافا ونابلس وطبرية[3] ، ويبدو أن

[1] محمد سرور : النفوذ الفاطمي في بلاد الشام والعراق ، ص67.
[2] محمد سرور : النفوذ الفاطمي في بلاد الشام والعراق ، ص 68 .
[3] عبد المنعم الهاشمي : موسوعة تاريخ العرب ، ص380 .

أعمال الصليبيين الحربية، والتي اتسمت بالوحشية ضد المسلمين في بلاد الشام جعلت المقاومة الإسلامية تشتد في جنوب الشام، وأعد الفاطميون جيشاً كبيراً تقدم لمهاجمة بيت المقدس، وفي نفس الوقت كان القائد الصليبي بلدوين مستمراً في قتال المسلمين في الشام، الذين أبدوا مقاومة عنيفة، وكاد الفاطميون أن يحققوا النصر ضد الصليبيين في يافا عام 509هـ/1115م ، مما جعل الفاطميين في مصر يدركون حجم الكارثة التي التفت حول سياستهم في بلاد الشام، والتي حدّت من نشر مفاهيمهم وأعاقت سياستهم هناك، بل تهدد وجودهم حتى مصر كافة، والأراضي التي فتحوها الآن ولكي يثبت الفاطميون للقادمين مدى قوتهم، ولكي يبسطوا نفوذهم على كافة الشام، حاولت بعض قوات الفاطميين، الزحف إلى حلب، وجعلها مقراً لهجومهم ضد الصليبيين الذين أظهروا قوة شديدة نحو الفاطميين[1]. فقد قاد القائد بلدوين قوة صغيرة مؤلفة من مائتين وستة عشر فارساً ، عبر بهم صحراء غزة إلى منطقة العريش. ومنها إلى داخل الحدود المصرية، حيث بدؤوا يعيثون فساداً حتى وصلوا إلى منطقة بورسعيد[2].ولم تمض فترة طويلة حتى ارتد بلدوين إلى مركزه في بيت المقدس عام 511هـ/ حيث ألم به مرض وتوفى عند وصوله إلى الرملة ، وتولى من بعده أحمد قواده الذي لقب ببلدوين الثاني ، وبما أن الفاطميين مدركين للخطر المتجدد لهم من قبل الصليبيين لذلك قام الوزير الأفضل بمحاولة أخرى وهي مد جسور التعاون ما بين القاهرة ودمشق، وذلك بوضع قوات الفاطميين في عسقلان*تحت تصرف المسلمين في جنوب المقدس [3].

وأدرك بلدوين الثاني مدى خطورة هذا التعاون، لذلك حرص على الاستنجاد بالصليبيين في أنطاكيا وطرابلس ، كذلك عمل على تركيز قواته وجيوشه المحاربة في شمال عسقلان، لفترة طويلة قبل أن يعود بعدها إلى بيت المقدس ، مما أتاح الفرصة إلى الوزير الأفضل لمد العلاقات الودية بينه وبين أهالي دمشق لمناهضة الصليبيين[4]

---

[1] الصوري : وليم ، تاريخ الأعمال المنجزة فيما وراء البحار ، دار الهلال للنشر ، بيروت ، ج1، ص 549 ، 550 .

[2] ابن تغري: النجوم الزاهرة ، ج5 ، ص 171.

* عسقلان : مدينة تقع على ساحل البحر غرب فلسطين بالقرب من مدن غزة ولطالما كانت مقصد الدعاة الفاطميين والتجار لما تمتاز به من خصوبة في الأراضي والغابات المشجرة كذلك تميزت بعذوبة المياه ، انظر اليعقوبي : 580ص

[3] الصوري : تاريخ الأعمال ، ج1 ، ص567.

[4] عبدالمنعم الهاشمي : تاريخ العرب ، ص 390.

وهكذا سرعان ما أصبحت الحرب بين الطرفين سجالاً حسب الظروف المحيطة بالمنطقة دون أي انتصارات تذكر من قبل الطرفين .

ويعتبر هذا الوضع مؤثراً على مصالح المسلمين ليس في الدولة الفاطمية فقط بل في كافة أنحاء البلاد الإسلامية وهكذا أصبحت الحرب بين الطرفين سجالاً حسب الظروف المحيطة بالمنطقة، دون أي انتصارات تذكر من قبل الطرفين ، وتأثرت مصالح المسلمين في كافة المناطق الإسلامية، لما يربطها من مصالح تجارية ودينية مشتركة لذلك ارتفعت الأصوات في مصر منادية بالجهاد ضد الصليبيين[1].

ويمكننا أن نلاحظ أن ذلك أوجد صحوة، وتقارباً سياسياً وعسكرياً بين أتباع الفاطميين والعباسيين ضد الهجمات الصليبية، التي أصبحت أكثر عنفاً وأشد شراسة، وقد حقق توسعاً في هذه المنطقة ، وقتل الفاطميون نحو حوالي أربعمائة مقاتل وأسروا نحو ثلاثمائة منهم .

ومهما يكن من أمر ندرك من خلال هذه الأحداث أن هناك تحولاً في العلاقات بين أتباع العباسيين والفاطميين ، وأن كلا الطرفين قد أخذ يعي ويفهم حقيقة الموقف ، وبأنه لا يمكن مواجهة الصليبيين ، وحماية البلاد الإسلامية وهم بهذا الوضع المتناحر.

ولقد تهيأت الظروف بعد ذلك لملك بيت المقدس الجديد بلدوين الثالث سنة 548هـ/1153م لمهاجمة عسقلان، بعد أن حاصرها بضعة أشهر ، والتي كان الفاطميون يمدون عسقلان بالمعونة عن طريق البحر[2] ، بواسطة مراكب بحرية، ومع استمرار الضغط على عسقلان، واستمرار القصف اضطرت الحامية الإسلامية في عسقلان إلى الاستسلام، بشرط خروجهم آمنين من المدينة وكان لهم ذلك

ومن هنا كان لسقوط عسقلان بأيدي الصليبيين الأثر السيئ في نفوس الفاطميين، فقد كان آخر معقل للمسلمين في الشام ، مما لاشك فيه أن الخلافة الفاطمية في أواخر القرن الخامس الهجري لم تكن في وضع يساعدها على العودة إلى بلاد الشام، واستعادة مدنها التي سقطت في أيدي الصليبيين ، فقد أصبحت مصر في حالة من الفوضى مما أثر على عواملها العسكرية والسياسية في مناطقها التي فتحتها في

(1) عبد المنعم الهاشمي : موسوعة تاريخ العرب ، ص 393 .
(2) عبد المنعم الهاشمي : موسوعة تاريخ العرب ، ص 394 .

العصور السابقة ،ومما لاشك فيه أن الدولة الفاطمية في بلاد الشام هي السبب في الوجود الصليبي فيها من خلال المعاملات التي استخدمها قوادهم مع الصليبيين، من حيث السفارات المتبادلة التي أطلعت الصليبيين على حقيقة مصر وبلاد الشام، وما يجري فيها عن كثب، مما أطمع هؤلاء القوم ، ويبدو أن هذا المشروع هو الذي دفع أغلب المؤرخين إلى اتهام الفاطميين بأنهم السبب في قدوم الصليبيين إلى الأراضي الإسلامية[1]

[1] محمد سرور : النفوذ الفاطمي في بلاد الشام والعراق ، ص 60.

المبحث الثاني

الوجود الفاطمي في الحجاز

كان لقيام الخلافة الإسلامية في جزيرة العرب أثر كبير في وحدتها السياسية ولم تنقض فترة إلاّ وعاد التفكك والانقسام، بعد فتنة علي وعثمان (رضي الله عنهم) وانتقال الخلافة من المدينة إلي الكوفة ، ومنها إلي دمشق في عهد الأمويين، ومنها إلي بغداد في عهد العباسيين ، ثم انقسمت إلي ولايات ودويلات مستقلة ، والجزيرة بصفة عامة إقليم جليل بنفسه شريف بسكانه وأهله [1].

وتعتبر بلاد الحجاز أصل العرب ، مركز العصبية ، ومقر الحرمين الشريفين، والخليفة الشرعي في نظر المسلمين أصلاً هو حامي حمى الحرمين في مكة والمدينة، أما بالنسبة للأوضاع السياسية لبلاد الحجاز فلم تكن مستقرة . لما تعرضت له من فتن وثورات أحاطت بها وأهمها محاولة العلويين لبسط نفوذهم في اليمن والحجاز،كما كان للقرامطة دور سياسي في ذلك،عند توليهم البحرين واليمامة وعمان.وهذه الأحداث السياسية كان لها الأثر السيئ في كافة جزيرة العرب،مما جعلها في شبه عزلة من الناحية العلمية والمادية والسياسية لذلك نجد أن استمرار الحركات والاضطرابات المناهضة للخلافة سائدة خلال العصر البويهي،كما نجد أن العامل الديني له دور من خلال الفتن الطائفية المذهبية والتي خفت بصورة ملموسة عن ذي قبل في أواخر هذا العصر من خلال محاولة العديد من الخلفاء اتباع سياسة متوازنة بين الطوائف الدينية التي انتشرت في العراق والشام والحجاز واليمن ,وهذا ما أثبته ابن خلدون حين ذكر أن الخلفاء الفاطميين حرصوا على بسط نفوذهم على هذه المناطق المقدسة حتى يكون حكمهم مكتسب صفة شرعية في كافة المناطق الإسلامية[2] وحرصهم على تطبيق مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لوجوبه بالقرآن[3].

---

[1] ابن حوقل : ابو القاسم النصيبي ، صورة الأرض ، منشورات دار مكتبة الحياة،بيروت،1938 ، ص 190.
[2] ابن خلدون :المقدمة ،ص228.
[3] محمد عبد المولى : مغربيات ومشرقيات ، ص 32 .

أما بالنسبة للفاطميين ،فقد كان همهم هو السيطرة على وسط الجزيرة العربية (الحجاز)* باعتبار أن أمير المؤمنين الحقيقي هو من كان ملكاً للحرمين قبلة المسلمين جميعاً وخاصة أن بلاد الحجاز تعتبر مكاناً مقدساً لدى الفاطميين لوجود قبر فاطمة الزهراء بالمدينة[1] ومنذ بداية عهد الخليفة الفاطمي المعز لدين الله بدأ الفاطميون يهتمون ببسط نفوذهم في بلاد الحجاز، متخذين من النزاع الذي نشب بين الحسن وبني جعفر بن أبي طالب فرصة وذريعة للتدخل في شئون بلاد الحجاز[2] وقد كان يقيم بالمدينة بعض أفراد من بني الحسين بن علي، الذين أخذوا يتحينون الفرص للاستقلال بولاية الحجاز،كما فعل من قبلهم بنو سليمان بمكة،غير أن قوتهم السياسية لم تساعدهم على تنفيذ مخططاتهم .[3]

وفي سنة 358هـ/968م استولى حسن بن جعفر الحسني على مكة، وخطب للفاطميين والخليفة المعز على منابر مكة بعد أن حذف اسم الخليفة العباسي من الخطبة، وإقامتها للمعز في كل من المدينة ومكة، وعمل الخليفة المعز على توطيد أركان هذه السيادة[4]، وبذلك انتشر النفوذ الفاطمي في بلاد الحجاز كافة، تحت راية حسن الحسني وسياسة الفاطميين، الذين أولوا هذه البلاد أهمية تكاد تغلب المدن التي فتحوها، لما لها من مكانة خاصة عندهم[5] .غير أن التشيع الفاطمي لم يلق في الحجاز مثل النجاح الذي لقيه في اليمن، أو في البر الغربي من الخليج الفارسي،وذلك بسبب الخلفاء السنيين بالسيطرة الإسمية عليه. حيث أن المسلمين السنيين كانوا على الرغم من التعاون السياسي مع الدولة الفاطمية،إلا أنهم كانوا يدركون مدى أهمية الكعبة الشريفة إحدى القبلتين لديهم،لذلك لم يسلموا بالسيطرة الجديدة والتي تختلف من الناحية المذهبية عنهم[6]. وقد أخذ الفاطميون هذه الأسباب بعين الاعتبار، مستغلين وضع الحالة السياسية للخلافة العباسية التي كانت في هذا الوقت في غمرة فوضى الأتراك، مستفيدين من قيام دويلات صغيرة انضمت لهم،مؤسسين حكماً سياسياً دينياً

---

* الحجاز :وهي أحد معاقل العقيدة الاسلامية ويعتبر أحد الأماكن المقدسة للدولة الإسلامية.وتعتبر مدينة عامرة فيها كثير من الأهالي الذين يقطنون فيها وكما يعتبر الحجاز أحد مناهل العلوم الدينية المميزة وتميزت هذه المدينة بمبانيها الشاهقة والمعروفة بقصور بني هاشم.انظر اليعقوبي :كتاب البلدان ،ج6 ،ص 75

(1) عبد المنعم ماجد :ظهور خلافة الفاطميين ، ص 215

(2) حسن ابراهيم حسن :الدولة الفاطمية في مصر ،ص 238

(3) الحميدي : محمد عبد المنعم ، معجم الجغرافي الروض المعطار في خبر الأقطار ، مكتبة لبنان (بيروت)، 1975، ط1 ،ص379 .

(4) حسن ابراهيم حسن :الدولة الفاطمية ،ص 238

(5) حسن ابراهيم حسن :تاريخ الاسلام ،ج4 ، ص 237

(6) عبد المنعم ماجد :ظهور خلافة الفاطميين ،ص 215

خلافياً جديداً، وأصبح العالم الإسلامي منطوياً معظمه تحت سلطان الدول الشيعية، مثل بني بويه والقرامطة والحمدانيين والفاطميين والزيديين في جنوبي الجزيرة[1].

وعلى الرغم من التزعزع الديني بين أشراف مكة والفاطميين من حيث المذهب،إلا أن الخطبة استمرت تقام للفاطميين والخليفة المعز لدين الله الفاطمي حتى توفي في سنة 365هـ/975م [2] ،وبعد أن انتقلت الخلافة الفاطمية من بعده إلي ابنه العزيز بالله انقطعت الخطبة للفاطميين في مصر حيث كانت المهمة الرئيسية للعزيز هي إعادة الهيكلية العسكرية،وقد جعله هذا الأمر يتغاضى عن بعض المناطق المفتوحة للفاطميين، وعن المد المالي لها، بالإضافة إلى هجوم القرامطة في مصر والشام، و قد ظلت الخلافة في بداية عهده مزعزعة واستمرت القطيعة لفترة طويلة، حيث دعا أشراف مكة للعباسيين من جديد مرحبين بعودتهم إلى بلاد الحجاز وما جاورها وبذلك قطع أشراف مكة والمدينة وكافة أرجاء البلاد الخطبة نهائياً للعزيز وخطبوا للخليفة العباسي الطائع الذي استغل الوضع السياسي للفاطميين وما تعانيه دولته من جراء انتقال الخلافة، غير أن الخليفة الفاطمي العزيز بالله أخذ بعد أن وطد أركان دولته، في ترسيخ نفوذ الفاطميين في بلاد الحجاز،فأرسل في عام 367هـ/977م القائد المغربي بإدريس ابن زيدي الصنهاجي أميراً على الحج،واستولى هذا القائد على الحرمين وأقام الخطبة من جديد إلى الخليفة الفاطمي العزيز بأمر الله[3] وأتبع ذلك بقوة عسكرية حامية،ويذكر أن العباسيين بعد استعادة الفاطميين لسلطانهم توجهوا إلى اليمن، وملكوا عدة مدن من بينها عدن.غير أن هذا لم يستمر طويلاً بعد أن لحق بهم أتباع الفاطميين في الحجاز[4].

لجأ العباسيون بدورهم إلى استخدام القوة لاستعادة نفوذهم في الحجاز.فقد قام عضد الدولة البويهي في سنة 368هـ/978م بإرسال قوة عسكرية إلى مكة، في محاولة لإجبار أشرافها[5] الذين كانوا أصحاب السيادة في ذلك الوقت من حيث الخزائن والعطايا لأهل هذه المدينة[6] ولقد نجح العباسيون في السيطرة على مكة، وإخضاع

---

[1] يوسف العش ، تاريخ عصر الخلافة العباسية ، ص 228

[2] حسن ابراهيم حسن ، الدولة الفاطمية في مصر ،ص 238

[3] محمد سرور :سياسة الفاطميين الخارجية ،ص 24

[4] المكي :تقي الدين حمد :العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ،مؤسسة الرسالة ج1 ،ص 442

[5] عبدالمنعم الهاشمي: عبد المنعم ،موسوعة تاريخ العرب العصر العباسي،الفاطمي،دار البحار ،بيروت،2006، ط1،ص 284

[6] سليم :محسن ،الطبري وتاريخ مكة ،دار الكتاب الجامعي ،القاهرة ، ج1 ،ط1 ،ص 93

أهلها للسيادة العباسية، وأطلقوا الحيلات للضعفاء في مكة والمدينة وما جاورهما بعد أن تغلغل المذهب الإسماعيلي بين الفقراء منهم ،وطوال عدة شهور استمر هذا الوضع السياسي في المدينة ومكة بعيداً عن متناول الفاطميين،ومن المعروف أن من يسيطر على مكة يحكم في أمورها الاجتماعية ومن يتولى القضاء بمكة والخطابة بها يصبح أحد أشرافها الأمراء ،ومثال ذلك القاضي محمد بن جعفر بن محمد الحسني الذي ظل طوال السيادة العباسية الثانية مسانداً للنفوذ الفاطمي مستفيداً من فقهه وحسن قوله في المراوغة لدى الفقهاء العباسيين[1] وبفضل هذه الدعوات الخاصة والمنادية لهم، تشجع الفاطميون للعودة لهذا البلد لما له من أهمية فقام الخليفة الفاطمي العزيز في سنة 380هـ/990م بحملة عسكرية حاصرت مكة والمدينة اللتين كانتا في حالة من الفقر والاحتياج مما جعل العباسيين يتراجعون. واستولى الفاطميون على مكة ثم المدينة* وبذلك انقطعت الخطبة للعباسيين في الحجاز، وعادت للفاطميين من جديد[2]، تحت سيادة خليفتها العزيز الذي كان منصفاً لرعيته دائماً، مثل أبيه المعز، لذلك نرى أن إعادة الدعوة له لم تكن صعبة، لما له من صيت لدى أهالي الحرمين، الذين رحبوا به من جديد.

ولعل استرداد الفاطميين لسيادتهم على بلاد الحجاز بعد أن انقطعت لفترة، يعود إلى فضل العزيز على بلاد الحجاز الذي كان يغدق عليها بالخيرات خصوصاً أشراف مكة حيث كانت تصلهم الكثير من الأموال والهدايا الوفيرة، من الفاطميين، بالإضافة إلى الأغلال من الشعير والقمح و الدقيق والزيت وسائر الحبوب التي كان يفتقر إليها إقليم الحجاز ،كما كان الفاطميون يرسلون كسوة الكعبة مرافقة مع هدايا للأمراء المكيين[3] ولقد تميزت كسوة الكعبة التي كان يرسلها الفاطميون بأنها من الحرير الأحمر وثبت فيها الأهلة من الذهب،وكتبت فيها آيات الحج بزمرد أخضر ،ورصعت بالدرر كبيض الحمام،والياقوت الأحمر والأصفر والأزرق، كما بخرت الكسوة بالمسك وقبل أن يتم إرسالها تعلق في العاصمة الفاطمية القاهرة لكي يشاهدها أهالي مصر[4].

---

[1] المكي :العقد الثمين ، ج1 ،ص ص_438، 439.

* المدينة :وهي التي أسماها رسول الله عليه الصلاة والسلام ،طيبة في مستوى الأرض، عذبة،برية،جبية ولها جبلين إحداهما أحد،والآخر عيد،وأهلها من المجاهدين مع الرسول والناصرين له وقبائل العرب من كنانة ومزينة . نظر اليعقوبي : كتاب البلدان ،ج6 ،ص 76

[2] حسن ابراهيم حسن :تاريخ الاسلام ،ج4 ،ص 238

[3] عبدالمنعم الهاشمي :موسوعة تاريخ العرب ،ص 284

[4] عبد المنعم ماجد :ظهور خلافة الفاطميين وسقوطها ،ص 218

وكان دور الخليفة العزيز هو الإشراف بنفسه على ذلك، بالإضافة إلى وزيره يعقوب بن كلس الذي لعب دوراً كبيراً في مراسلة الحجازيين، والمحاولة الدائمة لاستمالتهم لدار الخلافة في مصر،بالإضافة إلى مهامه الأخرى في الدولة كالمالية ،وموازنة الإيرادات والمصروفات،وفرض الضرائب أو إسقاطها والإشراف على دواوين الحكومة[1] .

ولقد تدفق العديد من الحجاج المصريين بسبب هذه العلاقات الطيبة والسيادة الفاطمية على بلاد الحجاز،واستمر أمير مكة عيسى بن جعفر يقيم الدعوة للفاطميين على منابر مكة كذلك كان أمير المدينة طاهر بن مسلم موالياً للفاطميين ومرحباً بدعوته في المدينة لهم والذي كان أول أمير من بني الحسين يستقل بالمدينة المنورة، وظل كذلك حتى توفي في سنة 381هـ/991م فخلفه ابنه الحسن بن طاهر الذي سار على نهج أبيه في اعترافه بسيادة الفاطميين على المدينة.

وعلى الرغم مما بذله العباسيون في عهد الخليفة القادر بالله من جهود وما أنفقوه من أموال لكسب بني الحسن وقطع الخطبة للفاطميين،الذين أثبتوا سيادتهم على كافة مدن الحجاز[2]، وعلى الرغم من وفاة أمير مكة في سنة 384هـ/994م، وتولى من بعده أخوه أبو الفتوح الحسن بن جعفر،إلا أن ذلك لم يغير الوضع السياسي، فقد اتبع هو الآخر سياسة أتباعه في موالاة الفاطميين في مصر[3]، وفي ذلك الوقت عندما أدرك الفاطميون بأن بني الحسن في مكة موثوق بسياستهم تجاههم،بدأوا بتوطيد أركان دولتهم خارجياً وداخلياً،فقد عمل الخليفة العزيز بتشكيل الوزارة وجعل الدواوين مرتبة ترتيباً متقناً،كما وضع أصول الأبهة والمظاهر الفخمة للخلافة، فبذلك أثبت العزيز لشعبه مدى قدرته في كيفية استخدام المال والسلاح معاً[3] وبعد ذلك أرسل العزيز إلى مكة أحد ولاته، وهو العبيدي من مصر إلى مكة نائباً عنه والذي كان من المتشددين في مكة حريصاً على نفوذ الفاطميين ومذهبهم[4].

---

[1] الخربوطلي :العزيز بالله الفاطمي ،ص 79

[2] حسن ابراهيم حسن :الدولة الفاطمية ،ص238

[3] محمد سرور :سياسة الفاطميين الخارجية ،ص 25

[3] يوسف العش ، الخلافة العباسية ،ص 221

[4] دحلان:أحمد بن زيني ،خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام ،مكتبة الكليات الأزهرية ،القاهرة ،1977 ،ص ص16 - 17.

* بلبيس :هي مدينة تقع بين الشام ومصر التي تبعد عن الفسطاط عشرة فراسخ ولها طرق عديدة لكي يعبروا منها الشام ولقد فتحت على يد عمرو بن العاص ،انظر :ياقوت الحموي :معجم البلدان ،ج1 ، ص567

وفي سنة 386هـ/996م توفي الخليفة الفاطمي العزيز في مدينة بلبيس* وهو في طريقه إلى الشام أثناء صد غارات البيزنطيين ولقد خلفه ابنه والملقب بالحاكم بأمر الله على خلافة الفاطميين[1]، وكان العزيز مشهوراً بعبوره الطرق الشامية للوصول إلى الشام وذلك بسبب أمنها على نفسه وعلى جنوده وأشهرها طريق من حلب إلى الرقة ومن حلب إلى الناعورة [2]، وبذلك انتهت فترة كثرت فيها النزاعات والفتوحات الفاطمية ممهدة لعصر جديد،فقد حاول الحاكم بأمر الله منذ البداية أن يبسط نفوذه على الأراضي التي حكمها والده العزيز،لذلك نراه يصدر مرسوماً يعين فيه ولاته في أجناد الشام والحجاز وبلاد المغرب وهو نفسه قلد الحسين بن علي بن النعمان القضاء في مصر،وغيرها من الأعمال التي دلت على ذهن متفتح ورغبة في إحقاق الحق وتنزيه القضاء والقاضي.

وقد اختلف طبع الحاكم بأمر الله ، فقد كان رجلاً كثير التردد عاطفي النزعة قاسي[3]، ولاشك أن هذه القسوة تجلت في بعض القوانين التي أصدرها بعد أن وجد ميل المجتمع المصري إلى كثير من الترف والمرح والسهر في الليل والانصراف إلى المغاني والطرب، فمنع التجول ليلاً من الغروب إلى الفجر ونفى المغنيات ومنع خروج النساء، أو التطلع إلى النوافذ، ويرجع هذا التشدد من قبل الحاكم بأمر الله إلى تصوفه ،بالإضافة إلى أن الخلافة الفاطمية خلافة مذهبية يقوم سلطانها السياسي على صفة الإمامة الدينية،لذلك أحاط الحاكم بأمر الله نفسه بهالة من الفضائل و الخصال القويمة[4].

حرص الحاكم بأمر الله منذ توليه الحكم في مصر على إكمال الدعوة في مناطق الإسلام كافة،بإصدار التشريعات الدينية وتوزيعها على الولايات مستخدماً الشدة لحمل الناس على اعتناق المذهب الشيعي، والضغط على السنيين بإبعادهم عن المناقشات الدينية والخوض فيها[5]، لذلك نراه قد أرسل إلى صاحب مكة أبو الفتوح الحسن بن جعفر سجلاً ينتقد فيه الصحابة رضي الله عنهم، وبعض أزواج النبي صلى الله عليه وسلم، وأمره أن يأمر الخطيب أن يقرأه على المنبر،وعندما تفشى ذلك في الموسم

---

(1) احمد مختار العبادي: التاريخ العباسي والفاطمي . ص 283
(2) الادريسي:أبو عبدالله بن محمود ادريس :نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ،عالم الكتب للنشر ،بيروت،1989،ج2 ،ص 649
(3) محمد حماده ، الوثائق السياسية والادارية ،ص ص36 ،37
(4) احمد مختار العبادي ، تاريخ العباسي والفاطمي ،ص ص 286 ،287 ،288
(5) احمد مختار العبادي ، التاريخ العباسي والفاطمي ،ص 287

وحضر الحجاج تداعت العرب من حوالي مكة واجتمعوا في المسجد انكاراً على ما سمعوه،ولما كان الخطيب على المنبر زحف الناس زحفة واحدة بالحجارة والعصي على المنبر الذي كسروه،وكان يوماً عظيماً،ومنذ ذلك الوقت لم يتجرأ أحد على المساس بالرسول أو الصحابة في بلاد الحجاز[1] .

شجعت هذه الحادثة خصوم الدولة الفاطمية في المنطقة على خوض غمار المنافسة من جديد ،فنرى الخليفة العباسي القادر بالله يراسل أبا الفتوح الحسن ويطلب منه الدخول في طاعته، وأغراه بالمال والخلع التي بعثها إليه، كما وعده بأن يعمل على إبقاء الحكم في مكة وراثياً لبنيه من بعده، غير أن أمير مكة أبو الفتوح رغم هذه الإغراءات المالية والسياسية أبى تحقيق رغبة الخليفة العباسي القادر وبعث إليه بأن الخطبة في مكة تقام للخليفة الحاكم بأمر الله ولن تكون لسواه.[2] وربما يرجع رد فعل أمير مكة أبو الفتوح لعدة أسباب أهمها أنه كان في بداية حكمه وأنه كان يخشى قوة ونفوذ الفاطميين في بلاد الحجاز خصوصاً من أعوانهم في المدينة.

كان لهذه السياسة التي اتبعها الحاكم بأمر الله في بلاد الحجاز، رد فعل عنيف من قبل أهالي السنة في شمال أفريقيا الذين لطالما ساندوا الدولة الفاطمية متمثلة في ثورة "أبي ركوة" في برقة بقيادة الوليد بن هشام الذي لقب بأبي ركوة لأنه كان يحمل ركوة ماء دائماً معه لوضوئه[3] وعند سماعه بتصرفات الحاكم حول حادث مكة، وقد كان دائم التجوال في بلاد الحجاز وعلى معرفة بأهلها، فما كان منه إلا أن جمع جيشه الذي كان مستقراً في برقة *والتي كانت تمر بمرحلة اضطراب نتيجة سياسة الحاكم بأمر الله وأدت إلى مشاحنات عنيفة فيما بين القبائل وإسرافه بالتخلص من زعماء القبائل، فانضم أغلب الثائرين إلى أبي ركوة الذي انتسب للأمويين لكي يستقطب خصوم الفاطميين في شمال أفريقيا خصوصاً أهل السنة فالتفت حوله قبائل برقة لواتة ومزاته وزناتة والصنهاجيين الذين اعتبروا الأمر فرصة للاستقلال عن الدولة الفاطمية،وفي سنة 395هـ/1004م ، وما كان من الحاكم بعد أن فشل في مجاراته ومحاباة أبي ركوة،أن جهز حملة عسكرية يبلغ فرسانها 5000 والتقى الطرفان في وادي على مقربة من برقة، ونتيجة العطش وانسحاب العنصر المغربي من الجيش

---

[1] ايمن فؤاد السيد :الدولة الفاطمية في مصر ، ص 114
[2] محمد سرور :سياسة الفاطميين الخارجية ، ص 25
[3] عبد المنعم الهاشمي :موسوعة تاريخ العرب ، ص 296

الفاطمي انهزم الفاطميون وتراجعوا إلى مصر، وهذا ما شجع أبا ركوة لكي يلحق بالجيش المنهزم، واتبع أبو ركوة سياسة قواده حتى وصلوا إلى الإسكندرية واصطدم بالقوات الفاطمية المنتشرة في الريف المصري وكانت هناك مناوشات بين الطرفين دون أي نتيجة حاسمة[1].

وعلى الرغم من قوة جيش أبي ركوة إلا أن الحاكم بأمر الله لم يستسلم لهذا الوضع، فجهز جيشاً من الشام والحجاز وألحقه بقوات إضافية من مصر، وعين الحسن بن صالح قائداً له، وتراجعت القوات المغربية، وأحس أبو ركوة بخطر الجيش الفاطمي، فحاول اللجوء إلى الحيلة، وذلك بالاستعانة بالعنصر العربي الموجود في الجيش الفاطمي، ولكن حنكة القائد الفاطمي الحسن أبو صالح كشف هذه الخطة وأحبطت المؤامرة [2].

دار القتال على أشده، وكانت المعركة الفاصلة في رأس البركة في الفيوم والتي انتهت بهزيمة أبو ركوة ومن كان معه وأصاب رجاله كثيراً من القتل والسبي،ونتيجة لذلك تفرقت الطوائف والقبائل المتجمعة حوله وبعد فرار أبي ركوة نحو النوبة لحق به القائد الفاطمي الفضل وقبض عليه[3] .

وبعد أن قبض الفضل قائد جيش الحاكم بأمر الله على أبو ركوة، أرسل الخليفة يبلغه بالأمر وذكر له (كتب عبد مولانا الإمام الحاكم بأمر الله أمير المؤمنين من المخيم المنصور في الساعة الخامسة من نهار يوم الخامس من شوال وقد أظفر الله عز وجل بعدو الله وعدو الحضرة أبي ركوة المخذول،وهو في قبضة الأسر،والحمد لله رب العالمين)[4].

وكان الفضل يرغب منذ بداية حربه مع أبي ركوة أن يقبض عليه حياً، كي يشفي غليله من لحظات الذل التي مرت به عند رحيله مستنجداً بالخليفة الفاطمي في مصر[5] وحرص الفضل على وضع أبي ركوة في السجن أولاً قبل إرساله إلى دار الخلافة،وذلك خشية من أعوانه الفارين احتفظ به في المغرب،مما جعل أبا ركوة يلتمس العفو من الحاكم بأمر الله وذلك بإرساله رسالة يذكر فيها (يا مولانا الذنوب

---

(1) ابن عذاري :بيان المغرب ،ج1 ،ص ص257، 258
(2) ابن الأثير :الكامل في التاريخ ،ج7 ،ص 552
(3) الانطاكي :يحي بن سعيد تاريخ الانطاكي ،د.ن، بيروت، 1908 ،ص ص266، 267
(4) محمد حمادة :الوثائق السياسية والادارية ،ص 142
(5) عبد المنعم ماجد :ظهور خلافة الفاطميين ، ص 251

عظيمة،وأعظم منها عفوك،والدماء حرام ما لم يحللها سخطك،وقد أحسنت وأسأت،وما ظلمت إلا نفسي،وسوء عملي أو بقني وأقول لك :

فررت فلم يغن الفرار ومن يكن　　　مع الله لم يعجزه في الأرض هارب

ووالله ما كان الفرار لحاجة　　　سوى فزع الموت الذي أنا شارب

وقد قادني جرمي إليك برمتي　　　كما خر ميت في رجا الموت سارب

وأجمع كل الناس أنك قاتلي　　　فيما رب ظن ربه فيك كاذب[1]

غير أن رسالته هذه لم تشفع له فقد أرسله الفضل إلى القاهرة حيث حكم عليه بالقتل واحتفل الحاكم بأمر الله بانتصار الفاطميين،وبنهاية أبى ركوة الذي كاد أن يقضي على نفوذ ومصالح الدولة الفاطمية في المغرب[2] ومما لاشك فيه أن هذه الثورة السنية لها تأثير كبير في تصرفات الحاكم بأمر الله نحو أهل السنة[3].

وهذا رد فعل طبيعي بالنسبة للمسلمين الذين لطالما اعتبروا دينهم الإسلامي فخراً وشيئاً مقدساً لا يجوز المساس به،وهذه الإجراءات العنيفة التي اتخذها الخليفة الحاكم بأمر الله من تشريعات دينية والتي تفوق بها على كل من سبقه من الحكام الفاطميين وأئمتهم،أثرت على علاقته بولاته وأهالي المناطق التي فتحها الفاطميون سابقاً حتى أن علاقته تأثرت بوليه أمير مكة أبو الفتوح الذي لم يستمر على ولائه للفاطميين، فقد خرج على سياسة الفاطميين في سنة 400هـ/1009م بمساعدة حسن بن المغربي الذي كان ناقماً على الحاكم بأمر الله لغدره بأبيه وأعمامه،ففر من مصر إلى الرملة ومنها إلى أمير مكة محرضاً له على طلب الخلافة لنفسه، وأن يتعاون مع والي الرملة حسان بن مفرج بن الجراح،ونتيجة لسياسة الحاكم المتشددة رحب بالفكرة وأقام الخطبة لنفسه وتلقب بالراشد بالله ولم يكتف بذلك بل سار إلى الرملة لملاقاة حسان بن فرج الذي رحب به والتفت حوله قبائل العرب في الشام وأقيمت له الخطبة في أغلب مدنها[4].

لقد استاء الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله عندما وصله خبر خروج أبي الفتوح عليه وتلقب بالخلافة وانضمامه إلى حسان بن مفرج والوزير أبي القاسم بن المغربي

---

[1] محمد حمادة : الوثائق السياسية والادارية ،ص 143

[2] عبد المنعم الهاشمي :نفس المرجع ،ص 299

[3] احمد العبادي :التاريخ العباسي و الفاطمي ، ص ص288، 289

[4] محمد سرور :النفوذ الفاطمي في جزيرة العرب ،ص 17

إلا أنه عول على نفوذ باقي بلاد الحجاز، فراسل أبي الطيب ابن عم أبي الفتوح ووعده بأن يدفع له خمسين ألف دينار مقابل تعاونه، فدخلوا في طاعة الحاكم ، كما عمل على استمالة حسان بن الجراح بالأموال ونجح في ذلك عندما تخلوا عن أبو الفتوح وأعلنوا الولاء للفاطميين وأرجعوا الخطبة للحاكم بأمر الله.(1)

وفي سنة 390هـ/ 999 م حدث، ما لم يتوقعه أبو الفتوح حيث انقلب الحسين بن طاهر على الفاطميين في المدينة، وعمل على الطعن في نسب الفاطميين مما اضطره إلى التوجه إلى المدينة وفرض السيادة الفاطمية فيها، ثم غادرها إلى مكة(2) مما جعل الحاكم يمعن في سياسته نحو أهالي المدينة ، فعمل على حرمانهم من ذخائرها ، إذ فكر في تحويل قوافل الحجاج نحو العاصمة الفاطمية ، فأرسل إلى المدينة الحاكم ياروختنكين العضدي يفتش دار جعفر الصادق، فجمع ما بها من ذخائرها من صحف وقطع من خشب مطوق بحديد ويزران وحربة، وسرير وحملهن جميعاً إلى القاهرة بصحبة جماعة من شيوخ العلويين، وسلمها جميعاً إلى الخليفة الفاطمي الحاكم، الذي احتفظ بهن مذكراً الشيوخ بأنه أحق بها منهم ووضعهن بصحبة الذخائر المقدسة الأخرى مثل ذي الفقار سيف علي بن أبي طالب ، وسيف الحسين بن علي ، وسيف جعفر الصادق (3) وكان دور الشيوخ هنا أن أجمعهم مع أشهر العلماء في الرياضة والمنطق والطب، فيم حوله للاستفادة من خبرتهم ، حتى أنه تشجع في إنشاء دار الحكمة في سنة 395هـ /1004م على غرار دار الحكمة التي أسسها العباسيون في بغداد، والتحق بيا العديد من الفقهاء والقراء من كافة المناطق (4) وعين لذلك أشير الكتاب وهو عبد الله الموصلي الذي كان يجيد الكتابة والقراءة حتى تدرج في السلطة.(5) وهنا نرى مدى حنكة الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله السياسية من خلال تعامله مع الوضع بتروٍ، وسياسة الالتفاف التي أتقنها مع أبي الفتوح الذي تفرقت عنه العرب ، فما كان منه إلا أن غادر الشام عائداً إلى مكة، وأوعز لشيوخ مكة أن الإمامة للفاطميين وخليفتهم الحاكم بأمر الله(6)، وقام بمراسلة الحاكم، وطلب

(1) محمد سرور :سياسة الفاطمية الخارجية ،ص-ص 36-37 .
(2) محمد سرور :النفوذ الفاطمي في جزيرة العرب ،ص 17
(3) ايمن فؤاد السيد : الدولة الفاطمية في مصر ،ص115 .
(4) السيد عبد العزيز سالم : تاريخ مصر الاسلامية ،ص188 .
(5) ابن الصيرفي : ، القانون في ديوان الرسائل والاشارة الى من نال الوزارة ، ص26 .
(6) عبد المنعم ماجد : ظهور خلافة الفاطميين ،ص219 .

منه العفو والصفح فما كان من الحاكم إلا أن عفا عنه وأعاده إلى إمارته مكــة ومنــذ عودته حرص على إقامة الدعوة للفاطميين[1] ومع ذلك فقد سافر أبو الفتوح إلى مصر متذللا ، وهو يركب حماراً لكي يظهر للفاطميين مدى شعوره بالذنب، وأيضــاً حتــى يأمن غدر الفاطميين ، فما كان من الحاكم بأمر الله إلا أن أمر له بالكساء، وأنعم عليه وعاد أدراجه إلى مكة رغم الإحساس العدائي له تجاه الفاطميين ، أما الوزير المغربي فقد راسل الحاكم في مصر بعد هروبه إلى العراق وطلب منه الصفح والعفو، وكان له ذلك من قبل الحاكم بأمر الله.[2]

واستمر أبو الفتوح موالياً للفاطميين حتى توفي في سنة 430هـ/1038م وتولى من بعده آمر مكة ابنه شكر الملقب بتاج المعالي، وتميز شكر بكونه جواداً عظيم القدر.[3]

وقد سار شكر على نهج والده في موالاته للفاطميين، حيث قــام بتجهيــز جيوشــه وتوجه بها إلى المدينة حيث بسط نفوذه عليها[4] مما أدي إلى عودة الفوضى في مكة، وانعكس سلباً على الحجاج من كافة المناطق الإسلامية الذين توقفوا عن الحج ، كمــا تعطلت القوافل التجارية القادمة والمغادرة من الكعبة وإليها[5] ومما زاد الوضع سوءاً مقتل الخليفة الحاكم بأمر الله، والذي يعود سبب مقتله إلى تبنيه سياسة التســاهل مــع المبادئ الإسماعيلية لاعتقاده بأنها أقلية صغيرة وعليه أنه يدعو لسياسته باتجــاههم ، لذلك تساهل معهم مما أدى إلى إغضاب كبار رجال الدولة وإثارتهم ضــده وإشــعال فتيل الانقسام في صفوف مجلسه ، وعلى الرغم من صد الحاكم لهم وإعــدام أشــهر قوادهم وهو الحسن بن جوهر وعبد العزيز بن النعمان إلا أن نهايته جاءت من أقربائه وبتعاون وبرضا شقيقته ست الملك التي كان على خلاف معها.

لم يكن دخول الفاطميين لبلاد الحجاز من واقع الصدفه ، بل كان لــه تخطــيط طويل المدى، نفذت وقائعه بعد أن واتتهم الفرصة المناسبة لذلك ومما ســهل علــيهم الأمر وجود بعض الأهالي في الحجاز ممن كانوا على المذهب الشيعي وهــم الــذين كانوا كثيراً ما يثيرون الاضطرابات ضد الوجود العباسي في محاولة منهم للوصــول إلى مراتب السلطة والنفوذ في البلاد. ولقد ساعدهم على ذلك أن العباسيين لم يكونــوا

---

(1) محمد سرور: النفوذ الفاطمي في جزيرة العرب ، ص 19 .
(2) عبد المنعم ماجد : ظهور خلافة الفاطمين ،ص-ص 219-220 .
(3) دحلان: ، خلاصة الكلام في بيان امراء البلدان ، ص 18 .
(4) محمد سرور : النفوذ الفاطمي في جزيرة العرب ، ص 19 .
(5) عبد المنعم ماجد : ظهور خلافة الفاطمين ،ص 220 .

حرصين على بسط سلطانهم على المدينة المنورة بقدر ما كانوا حريصين على الاحتفاظ بسيادتهم على مكة المكرمة،مما أشعل فتيل الفتن في المدينة من قبل العلويين فيها.

غير أن استغلال الفاطميين وخليفتهم الحاكم بأمر الله للخلاف بين الحسن وبني جعفر بن أبي طالب كان له الأثر البالغ في تقدم الفاطميين نحو الحجاز. وبقية المناطق المجاورة له ،حيث دخل إلى الحجاز كمنقذ سياسي ظاهرياً وديني من جنب آخر.

ولا يمكننا إلا أن نعترف بأن دخول الفاطميين إلى بلاد الحجاز ساهم مساهمة كبيرة في بسط نفوذهم على مناطق أخرى، باعتبارها المنطقة الوسطى للجزيرة العربية في إكتساب نظرة الاحترام من قبل بقية الشعوب الإسلامية للفاطميين، واعتبارهم منقذين للدولة الإسلامية، بعد أن تزعزعت أغلب إمارات العباسيين

غير أن سيادة الفاطميين في الحجاز تأثرت بالأحداث الداخلية التي ألمت بمصر وهو الأمر الذي أثر على سياستهم فيها، من حيث انقطاع الإمدادات والأموال التي كانت تبعث للحجازيين من قبل الفاطميين، مما جعل الولاة فيها يبحثون عن مصادر أخرى، لذلك كان خير الموجودين أعداء الفاطميين العباسيين، الذين استغلوا ما كان يمر به الفاطميون في مصر، وبدأوا في إرسال الأموال من أجل إعادة ماء الوجه الذي أخذ منهم من قبيل الفاطميين، ورد الاعتبار لسيادتهم التي اختفت في بلاد الحجاز، سواء في المدينة المنورة أو مكة المكرمة.

المبحث الثالث

سياسة الفاطميين في زمن الظاهر والمستنصر

بعد وفاة الحاكم بأمر الله مرّ الوضع العام في البلاد في مرحلة جديدة على الدولة الفاطمية ، حيث استولت أخته على الحكم، وهي المعروفة بسيدة الملك في سنة 411هـ/1021م، واعتمدت على رئيس الرؤساء أبي الحسين عمار بن محمد في بداية ولايتها [1].

وعلى الرغم من توليها للحكم، فقد كانت سيدة الملك مجرد وصية لابن أخيها الحاكم الظاهر لإعزاز دين الله، الذي كان يبلغ من العمر السادسة عشر، وعلى ذلك فقد باشرت بالمسئولية في البلاد، وأظهرت بأساً شديداً في تدبير شئون الدولة، التي كانت في حالة من الانتقال والتوجيه السياسي واستمدت سيدة الملك في خلافتها هذه وأبرز أعمالها القائد عمار بن محمد الذي أحست بمحاولته للانقضاض على السلطة ، فسبقته بحنكتها السياسية ، وظلت في الحكم حتى وفاتها سنة 415هـ/1024م [2]، وانتقلت السلطة في الحكم إلى مجموعة من كبار الدولة شكلوا حلفاً مشرفاً على سياسة الظاهر الذي كان صغير السن وأهم هؤلاء الرجال الوزير الجرجرائي والشريف العجمي والقائد معضاد أمير الجيش [3]، خصوصاً إن نظرنا إلى أن مصر مركز الخلافة الإسلامية، وقبة الإسلام، وبخيرات مصر تعمر الحجاز وموسم الحج لذلك حرص الجميع على أن استلام الخلافة الفاطمية يجب أن يكون موضع تأكيد سياسي ، حرصاً على سلامة هذا البلد.

وتعتبر شخصية الخليفة الفاطمي الظاهر مغايرة لسياسة والده ، على الرغم من أنه أكمل الاتجاه الذي خاضه والده، من حيث النفوذ والتغلغل الفاطمي في المناطق المحيطة بالدولة [4].

ومنذ البداية عرف المسلمون أن الظاهر يختلف كل الاختلاف عن أبيه فقد ظهر للعيان بسماحته وعقلانيته ورحمته نحو شعوبه المختلفة الأجناس، ولقد حرص الخليفة

---

[1] ايمن فؤاد السيد : الدولة الفاطمية ، ص 118.
[2] السيد عبدالعزيز سالم ، تاريخ مصر الإسلامية ، ص 190.
[3] احمد مختار العبادي ، تاريخ العباسي والفاطمي ، ص 294 .
[4] السيد عبدالعزيز سالم ، تاريخ مصر الإسلامية ، ص 190.

الفاطمي الظاهر على الإصلاح العام للدولة، بما فيها إصلاح ما فسد من إدارة الدولة في عهد أبيه الحاكم بأمر الله ، وركز على الأحـوال الاقتصـادية داخـل وخـارج مصر[1].

عرف الظاهر أنه لا بد له من الخروج عن سياسة والده، التي تركـزت فـي أغلبها على محاربة غير المنتمين للفاطميين، والتي جلبت للدولة الفاطمية بشكل عـام أعداء لا يعدون وبشكل خاص لعهده منافسين هو في غنى عنهم، وذلك لأن مصر في عهده كانت في مرحلة انتقال ، لذلك نرى الظاهر عمل على كسب ود شـعبه ، فقـد غير من بعض الطباع والعادات المتبعة في البلاد ، مما جعله يعلن عن نقـص أكثـر الإجراءات التي اتخذها والده ، فنرى الظاهر قد ترخص في شرب الخمـر وسـماع الموسيقى ، كما سمح بأكل الأكلات البحرية، وهي الأمور التي منعت منعاً باتـاً فـي عهد الخلفاء الذين سبقوه[2]، والذين جعلوا الحياة الاجتماعية جزءاً من سياستهم وذلـك للسيطرة على كافة فئات المجتمع .

ومما لا شك فيه أن سياسة الظاهر أراد بها أن تلغى كثيراً من القـوانين التـي أصدرها والده، والتي اتخذت دون أن تراعي الجانب الإنساني في البلاد، معتمداً فـي ذلك على الاستغاثات المنادية بالتغيير لذلك اتبع سياسة مغايرة جديدة في معاملة أهـل الذمة (النصارى واليهود) ، فقد حرص على اكتساب ودهم وأوقف الاضطهاد الذي كان يمارس على النصارى لمدة طويلة ، وأعطاهم الكلمة بالعفو والتسامح الديني فيما بينهم وبين المسلمين لذلك نرى أنه سمح لهم بإعادة بناء الكنائس التي تم هـدمها مـن قبل المسلمين [3]

ولكي تكون سياسته هذه شرعية أصدر الخليفة الفاطمي مرسوماً بيانياً نحو النصـارى وأعلن فيه(أنهم أحرار في عقائدهم وشعائرهم وأنه لا إكراه في الدين وأن مـن آثـر منهم الدخول في الإسلام ، اختياراً من قبله وهداية منربه ، فليدخل فيه مقبولاً مبروراً ، ومن آثر البقاء على دينه من غير ارتداد ، كان عليه ذمته وحياطت) [4] .

---

[1] عبد المنعم الهاشمي : موسوعة تاريخ العرب، ص 318 .
[2] ايمن فؤاد السيد: الدولة الفاطمية في مصر ، ص 120.
[3] الانطاكي : تاريخ الانطاكي ، ص 437، كذلك حسن ابراهيم حسن : تاريخ الإسلام ، ج3 ، ص 154.
[4] عبد المنعم الهاشمي : موسوعة تاريخ العرب ، ص 319.

وبذلك أخذ الشعور المتنافر والعدائي ما بين النصارى والمسلمين في الدولة يضـعف ويقل، مما كان له الأثر الإيجابي نحو التطور في الدولة من الناحية الاقتصادية لدرجة أن أصبح للنصارى دور قيادي في مناصب الدولة [1]

و منذ بداية عهد الخليفة الفاطمي الظاهر لإعزاز الدين تغيرت الأوضاع في الدولـة الفاطمية، حيث استطاع بحسن سياسته أن يكسب محبة وثقة النصارى واليهود، الذين أيدوه في توجيهاته السياسية لما لهم من نفوذ خارج الدولة خصوصاً مع البيزنطيين[2]، وعمل الظاهر على تحسين علاقته مع البيزنطيين ، بعد أن تدهورت في عهد والـده ، فحاجة الفاطميين إلى القمح الذي يصلهم من القسـطنطينية ضـروري لأنهـم كـانوا يتعايشون عليه، بالإضافة إلى حاجة الفاطميين إلـى تـأمين حـدودهم مـن جانـب البيزنطيين، لكي يتفرغوا للجانب العباسي، الذي كان في حالة من الاضطراب نتيجـة لتنازع أمرائها . [3]

ولم تمض ثلاث سنوات على وفاة والده الخليفة الحاكم بأمر الله حتى أعلن براءته من دعوة والده الألوهية، ولم يقف مكتوف الأيدي عن الذين خرجوا عن الدين فطـاردهم خارج نفوذ دولته [4].

وقفت مصر بالمرصاد لهؤلاء الدعاة الذين كادوا أن يمزقوا شمل الدين الإسـلامي، وأخمدت فتنتهم في بداية ظهورها في مصر ، وانحصر وجود هذه الـدعوة بفضـل الفاطميين فقط على طائفة الدروز في جبال الشام، والتي لا تزال تحـتفظ حتـى الآن بشيء من مزايا هذه الدعوة[5] .

وبعد ذلك تفرغ الخليفة الفاطمي لدعوة الفاطميين ، فاتبع سياسة والده وأجـداده فـي نشر الدعوة الفاطمية ، حيث قام في سنة 416 هـ/1025م بتوجيه الدعاة لكي يحفظوا الناس كتاب القاضي النعمان بن حيون (دعائم الإسلام)، وكتاب الفقه ليعقـوب بـن كلس، وذلك لكي يشجع الناس على الحفظ فخص الحافظين بمبـالغ ماليـة قيمـة[6].

---

(1) محمد سرور، الدولة الفاطمية في مصر ، ص 89.
(2) حسن إبراهيم حسن ، تاريخ الدولة الفاطمية ، ص 210 .
(3) حسن إبراهيم حسن تاريخ الإسلام السياسي ، ص 161.
(4) أيمن فؤاد السيد: الدولة الفاطمية في مصر ، ص 122 .
(5) عبد المنعم الهاشمي : موسوعة تاريخ العرب ، ص 320.
(6) السيد عبد العزيز سالم : تاريخ مصر الإسلامية ، ص 191 .

وخص الخليفة لهؤلاء الدعاة بمجالس خاصة بهم في قصره، وكان داعي الدعاة يعقد المجالس لكي يقرأ علي الناس مصنفاته ويقنعهم بالدعوة الفاطمية .[1]

ولم يكن الظاهر يوجه دعوته لإعزاز الدين داخليا فقط ، بل خارجيا أيضا فقد ركز الدعاة جهودهم في نشر الدعوة للمناطق البعيدة، معتمدين في ذلك طرق التجارة البحرية والبرية[2] .

وأهم دعاته هم الذين تغلغلوا في المناطق الشرقية للعباسيين، الذين كانوا في وضع سياسي مضطرب في بغداد نتيجة لدسائس الأمراء ، الأمر الذي جعل الفاطميين يستغلون الوضع هذا لصالحهم من خلال انتشارهم السلمي هناك، وادي ذلك إلي الالتفاف للأقوام حولهم وأهمهم البويهيون، ونجح بذلك الدعاة الفاطميون في إقامة الدعوة للخليفة الفاطمي الظاهر في كل من البصرة والكوفة والموصل، وبقية المناطق الصغيرة في أعمال المشرق[3].

ولقد ذكر لنا المسيحي في كتابه أن الظاهر لم يغفل طرف عين عن مركزه في الحجاز، بل كان يراقب أوضاعها من الداخل والخارج ، علي الرغم من انشغالاته الكثيرة في الشام وداخل مصر ، ومدرك المساومة التي كان يقوم بها أمراء مكة والمدينة مع العباسيين في بغداد للقضاء علي دعوة الفاطميين ، غير أن انشغاله بالشام أجل تحركاته السياسية .

وعلي الرغم من استيلاء الفاطميين علي شرق العراق وتغلغلها فيه، إلا أن الخليفة الفاطمي الظاهر واجه أكثر خصومة شديدة وهم بنو جراح في الشام ، وذلك عندما استغل أميرها حسان بن الجراح موت الحاكم بأمر الله، وتغيير الحكم، وحاول أن يستقل بالجنوب المتمثل في فلسطين عاقدا حلفا مع سنان بن عليان أمير قبيلة كلب وذلك في سنة 414هـ / 1023 م ، كما عقد صلحاً مع صالح بن علين أمير قبيلة كلاب. [4] وذلك لكي يواجهوا نفوذ الفاطميين في الشام، والتي معتبر فيْ أرضاً لهم دون سواهم مرتكزين علي خطة التقسيم، بحيث كل قائد تكون له دولة خاصة به،

---

[1] حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسي ، ج3 ، ص 230.
[2] حسن ابراهيم حسن : الدولة الفاطمية ، ص 345
[3] أيمن فؤاد السيد: تاريخ الدولة الفاطمية ، ص 130
[4] عبد المنعم الهاشمي : موسوعة تاريخ العرب ، ص 320

حيث يكون لحسان بن جراح فلسطين وعاصمتها الرملة ، وسنان بن عليان له دمشق، وصالح بن مرداس تكون له دار حلب وشمال الشام.[1]

ولقد أدرك الظاهر أن هذا الحلف ما هو إلا عدوان علي النفوذ الفاطمي، والاستيلاء علي مصالح دولته، لذلك تريث في المواجهة ، خصوصاً بعد أن وصلته رسالة حسان بن الجراح الذي اعتبر أن هذا الحلف ليس موجهاً للفاطميين وأنهم مازالوا يعترفون بولائهم له وأن خراج بلادهم سوف ينفقوه علي رجال دولتهم وجيوشهم ، وعلي مصالح بلاد الشام [2] ، ومن هنا أدرك الظاهر أن بلاد الشام ليست في يده، وأن هؤلاء استولوا بالفعل علي أهم مركز استراتيجي للدولة الفاطمية، واعتبر الظاهر أن رسالة حسان بن الجراح إليه هي إهانة للفاطميين كافة ، خصوصاً أن فحوي هذه الرسالة ، كانت تعبر عن القوي لدى هؤلاء المتحالفين، معتبرين الفاطميين أقل قوة منهم وهو الأمر الذي لا يرضاه أي خليفة فاطمي علي الإطلاق من باب العنفوان الفاطمي الذي توارثوه عبر الأجيال [3] .

وبما أن الظاهر اعتبر أن هذا التحالف تمرداً علي سياسته ، أعد لذلك جيشاً ضخماً يبلغ عدده خمسة آلاف مقاتل، وأسند مهمة القيادة إلي قائد عرف بشدته وقوة عزمه في الحروب وهو أنوشتكين الدمزبري، والذي أمره بالقضاء علي هذه الفتنة، وقتل حسان بن جراح [4]، المسبب لهذه الأزمة الحربية، وما أن وصل الجيش إلي الشام حتي تلاقت جيوش الفاطميين مع جيش صالح بن مرداس، الذي لاقي صعوبة في مقاتلة جيوش أنوششتكين الذي أظهر بسالة في القتال، الأمر الذي جعله يظفر بالانتصار علي صالح بن مرداس والذي فر هو وابنه[5]، ثم توجه أنوشتكين إلي الرملة، حيث اصطدم هناك بحسان بن جراح، الذي قاوم جيوش أنوشتكين وانتصر عليه ، مما اضطره إلي اللجوء إلي عسقلان قبل أن يطارد حسان بن جراح ويستولي علي عسقلان[6].

---

(1) عبدالمنعم الهاشمي ، موسوعة تاريخ العرب ، ص 320

(2) ابن الأثير: الكامل في التاريخ ، ج 7 ، ص 579

(3) ابراهيم رزق الله ، التاريخ السياسي ، ص 39

(4) عبدالمنعم الهاشمي ،المرجع السابق ، ص 322

(5) الانطاكي : تاريخ الانطاكي ،ص411 .

(6) عبدالمنعم الهاشمي ، المرجع السابق ،ص322 .

أزعج هذا الأمر الخليفة الفاطمي الظاهر الذي شعر بالخطر على دولته غير أن الأوضاع تغيرت حين توفي سنان بن عليان، أمد قبيلة بن كلاب الذي حدثت بعد وفاته بلبلة سياسية باختلاف ورثته علي الحكم، ولجوء رافع بن أبي الليل ابن أخيه إلي الفاطميين، واجتمع بالظاهر الذي ولاه أميراً علي قبيلة بني كلب، مما أضعف ذلك الحلف[1]، ومن هنا وجد الظاهر فرصة سانحة لمعاودة الكرة على بلاد الشام، فأرسل في سنة 420 هـ / 1029م، جيشاً بلغ عدده سبعة آلاف مقاتل تحت قيادة أنوشكين، الذي كان هدفه الانتقام من حسان بن جراح الذي طارده في المرة السابقة[2].

وهكذا زحفت الجيوش الفاطمية إلي فلسطين وهي في حالة عسكرية منظمة ، وعندما علم حسان بن جراح بها حاول حد هذه الجيوش غير أنه بعد التقاء الطرفين كانت اليد العليا في القتال لجنود أنوشكين مما اضطر حسان بن الجراح إلي الانسحاب إلي طبرية فلحقت به القوات الفاطمية ، حيث دارت معركة عنيفة انتصر من خلالها الفاطميون علي ابن الجراح الذي هرب[3]، من المعركة والتجأ إلي بعض من أصدقائه البيزنطيين الذين آووه عندهم علي مقربة من الحدود البيزنطية[4]، وبهذه الانتصارات تمكن الخليفة الفاطمي الظاهر من أن يستعيد نفوذه من جديد في بلاد الشام، بين فترة وأخري[5] ولقد اتبع المرداسيون سياسة الدولة الحمدانية من حيث استغلالهما للوضع الجغرافي كدولة حدودية ، حيث كانت تتحالف مع الجانب الأقوى علي حدودها وذلك لكي تضمن بقاءها [6]

غير أن الفاطميين لم يقفوا موقف العاجز أمام تمردهم فقد توجه إليهم القائد الفاطمي أنوشكين والتقى الجيشان في منطقة الأقحوانة، حيث تغلبت الجيوش الفاطمية علي ابن المرداس في هذه المعركة قتل صالح بن مرداس وابنه الأصغر، وامّا ابنه الأكبر نصر بن صالح فقد هرب إلي حلب، وقيل أن رأس صالح قطع وبعث إلي القاهرة[7].

وبهذه الانتصارات تمكن الفاطميون من الاستيلاء علي باقي مدن الشام. والتي كانت عصيّة الفتح عليهم وهي حمص ، صيدا، وحصن عكار، وبذلك عادت اليمن للسلطة

---

(1) عبدالمنعم الهاشمي ، نفس المرجع ، ص 322

(2) الأنطاكي ، تاريخ الانطاكي ، ص 411

(3) عبدالمنعم الهاشمي ، نفس المرجع ، ص 322

(4) عبدالمنعم الهاشمي ، موسوعة تاريخ العرب ، ص 323 ، المقريزي: الخطط المقريزي ، ج 1 ، ص 354

(5) الإنطاكي ، تاريخ الأنطاكي ، نفس المصدر ، ص 397

(6) عبدالمنعم الهاشمي ، نفس المرجع ، ص 324

(7) احمد مختار العبادي ، تاريخ العباسي والفاطمي ، ص 296

الفاطمية ، ومما لاشك فيه أن عهد الظاهر امتاز بالقضاء علي كافة التشريعات الظالمة الاجتماعية والدينية والتي وضعها الخليفة الحاكم، والتي كانت سبباً في تدهور نظام الدولة، حيث ساعدت هذه الإعفاءات من عودة الناس إلي سيرتهم الأولي في الحياة والمعيشة[1].كما امتاز الظاهر بتشدده من الناحية العسكرية فنراه يمزج العساكر والجنود من كافة العناصر من المغاربة والسودانيين والأتراك ومعاملتهم معاملة عادلة فيما بينهم، وهنا الظاهر استخدم سياسة العباسيين من الناحية العسكرية من حيث صرف الرواتب والمكافآت المالية مما يدل علي حنكة افتقد إليها الفاطميون في السنوات الأخيرة .[2] وبعد أن وطد الخليفة الظاهر أركان دولته، والمناطق التي كان له فيها نفوذ توفي الظاهر في سنة 427هـ / 1035م بمرض الاستسقاء بعد أن قضي في الخلافة الفاطمية أكثر من ستة عشر عاماً، وبعد أن أخذ البيعة لابنه أبو تميم معد في سنة 421هـ / 1030م[3] وبعد وفاة الظاهر خلفه ابنه أبو تميم معد المستنصر ، وهو طفل لم يتجاوز السابعة من عمره ولقد كانت والدته الوصية عليه وحكمت باسمه[4]، وذلك لفترة قصيرة قبل أن تنتقل السلطة بعد ذلك إلي أمير الجيوش بدر الجمالي، وذلك نتيجة لأزمات سياسية واقتصادية صعبت الأم أن تحلها، ومنذ ذلك الوقت عرفت تغيرات كثيرة سواء في الجيش أو الوزارة[5]، ولم يعلم المستنصر عندما خلف والده الحكم ما ستؤول إليه الأيام، فقد امتد حكمه ستين عاماً (426هـ/1035م – 487هـ/1094م) شهدت خلالها الدولة الفاطمية أحداثاً تاريخية مهمة.[6]

وفي عهد المستنصر شهدت الدولة الفاطمية أحداثاً وتغيرات وتقلبات لم تعهدها الدولة الفاطمية قبلاً من أحداث اقتصادية واجتماعية، كما يعتبر عهد المستنصر حداً فاصلاً بين عهد الأئمة والخلفاء وعهد الوزراء، الذين زاد نفوذهم في عصره مستغلين الأوضاع الجديدة للدولة.[7]

---

(1) ابراهيم رزق الله : التاريخ السياسي الفاطمي ، ص 39 ، عبدالمنعم الهاشمي : موسوعة تاريخ العرب ، ص 325
(2) احمد مختار العبادي : تاريخ العباسي والفاطمي ، ص 295
(3) السيد عبدالعزيز سالم : تاريخ مصر الإسلامية ، ص 194
(4) ابن إياس : بدائع الزهور ، ص 58
(5) ابراهيم رزق الله : التاريخ السياسي الفاطمي ، ص 40 ،احمد مختار العبادي : تاريخ العباسي والفاطمي ، ص 296 ، عبد المنعم الهاشمي : موسوعة تاريخ العرب ، ص 331
(6) احمد مختار العبادي : تاريخ العباسي والفاطمي ، ص 297
(7) حمادة : الوثائق السياسية والادارية،ص39، ايمن فواد السيد: الدولة الفاطمية في مصر، ص 125

وعلي ذلك فقد كان عهد الخليفة المستنصر ،عهداً متسلسل الأحداث وطويـل الأمـد لذلك يمكننا أن نقسم عهده إلي فترتين وهما:

1- الفترة الأولي : وتمتد من سنة 427هـ/ إلي سنة 450هـ/ 1058 م وفي هـذه الفترة بلغت الدولة الفاطمية أوج مجدها ، حيث حدث هناك استقرار الأحوال، وكثيـر من الرخاء والطمأنينة بين الناس، وازدهرت الأعمال الاقتصادية في الدولة، مما كان لها أثر إيجابي في التعامل بين الناس، وشمل هذا مصر وبلاد الشام، وشمال أفريقيـا والحجاز واليمن، وهي مراكز النفوذ للدولة الفاطمية.[1]

وعن طريق سياسة اللين التي اتبعها الوزير بدر الجمالي استطاعت الدولة العباسية أن تكسب العديد من ولاء الذين يتبعون الأراضي السنية في المشرق[2]، كذلك لا يمكننـا أن ننسي قوة ومهارة وزراء الدولة الذين كان لهم دور في اتساع نفوذها في المشـرق الإسلامي في اليمن وغيرها من بلدان المشرق[3].

كما أقام أبو الحارث البساسيري الخطبة للخليفة المستنصر في بغداد سنة 450هـ 1058م، وهذا يعتبر أكبر نصر أحرزته الخلافة الفاطمية لما لبغداد من أهميـة فـي مصر ، كما كان هناك أثر كبير في نشر الدعوة الفاطمية في بلاد فارس وخراسـان حتى أواسط آسيا ، مما زاد نسبة المسلمين علي المذهب الإسماعيلي في تلك البلـدان التي عجز الخلفاء الفاطميون الدخول إليها[4] .

ونلاحظ هنا أن هدف الدولة الفاطمية في بداية عهد المستنصر. هـي إثبـات الوجود علي ساحة العالم الإسلامي، ومحاولة تغلغل بين صـفوف الأقـوام المعاديـة للدولة، ومسايسة الولاة من أجل كسب ود ونيل رضا الشعوب الأخرى. والتي كانـت من أشد المعادين للفاطميين ، لذلك الهدف السياسي لمساعدي المستنصر، هو إظهـار الجانب الإيجابي للغير وإن كان علي حساب الناس داخلياً مما أدي إلي ظهور أزمات شديدة كان أثرها سلبياً علي كافة شئون الدولة، سواء من الناحية الإدارية أو السياسية أو الاجتماعية، وحتى من الناحية الاقتصادية وهي الأهم، عند كافة الناس حيث انقلبت الأوضاع من رخاء واستقرار.

---

(1) عبد المنعم الهاشمي : موسوعة تاريخ العرب ، ص 332

(2) حمادة: الوثائق السياسية والإدارية ، ص 39 ، السيد : الدولة الفاطمية في مصر ، ص125

(3) ايمن فؤاد السيد : الدولة الفاطمية في مصر ، ص 125

(4) احمد مختار العبادي : تاريخ العباسي والفاطمي ، ص299

ومنذ أن تولي الخليفة العباسي القائم بأمر الله في سنة 381هـ / 991م، طرأت الكثير من التغييرات السياسية للعباسيين اتجاه الفاطميين، حيث بدأ وجود تصادم بين القوتين اللتين تتنافسان علي سيادة المشرق الإسلامي[1]، خصوصًا في بلاد الحجاز حين تولي الأمير محمد بن جعفر الولاية في مكة، بدأ عهده بإقامة الخطبة للخليفة الفاطمي المستنصر ، غير أنه سرعان ما بدأت الأمور تخرج عن سيطرته اتجاه الفاطميين، من مؤيد لهم تارة ورافض لنفوذهم تارة أخري، ولعل السبب في ذلك يرجع إلي شدة حاجته إلي الأموال فما كان منه إلا أن أخذ قناديل الكعبة وستورها، وصفائح بابها، والميزاب، وصادر أموال أهل مكة، وأمر بحذف اسم المستنصر من الخطبة وأعلن الخطبة، للخليفة القائم بأمر الله العباسي، الذي رحب بهذا النصر ضد الفاطميين غير المتوقع.[2] ولكي يكون الحكم شرعياً عند العباسيين، بعث الأمير محمد بن جعفر إلي ألب أرسلان السلجوقي حاكم بغداد رسولاً، يخبره بأن الخطبة في مكة للعباسيين .

2 . المرحلة الثانية : لعهد المستنصر وكان الحجاز فيها أول الولايات الساقطة من النفوذ الفاطمي وعمل العباسيون علي تضييق الخناق علي الفاطميين، وذلك بالاستعانة بالسلاجقة لفرض حصار علي الفاطميين، وذلك بتشجيع حاكم أفريقيا المعز بن باديس الذي كان يدين بالولاة للفاطميين، بأن يخلع الانتساب للفاطميين وأن يستقل بدولته الخاصة به دون الاستعانة بسيطرة الفاطميين.[3]

وأخذ الزيرين دعم العباسيين علي محمل الجد ، فقد أمر المعز بن باديس في سنة 441هـ / 1050 م بأن يكون له عملة خاصة بعيداً عن الفاطميين. وأن تضرب العملة الجديدة خاصة بالزيرين[4]، الذين كانوا يعملون علي توسيع نطاق دولتهم، [5]، وإن حلت سنة 443هـ/1051م حتى قطع ابن باديس الخطبة المقامة سابقا للخليفة الفاطمي، وأقام الخطبة للعباسيين وبذلك قطع أي صلة له بالفاطميين في مصر، وأصبحت أفريقيا تابعة رسميا للعباسيين[6] .

---

(1) احمد مختار العبادي : تاريخ العباسي والفاطمي ، ص 298

(2) ايمن فواد السيد : تاريخ الدولة الفاطمية ، ص126

(3) سرور :محمد جمال الدين، النفوذ الفاطمي في جزيرة العرب ، دار الفكر العربي القاهرة ،1993، ص 20 .

(4) ابن العذاري : البيان المغرب ، ج 1 ، نفس المصدر ، ص 275

(5) الناصري : أبو العباس أحمد : الاستقصاء لأخبار المغرب الأقصي ، دار الكتب ، دار البيضاء ، 1954 ، ج 1 ص 217

(6) ابن تغري : نجوم الزاهرة في حلي حضرة القاهرة ، ص 80

وتخليه الخليفة المستنصر عن تأنيبه، غدا الوزير محمد اليازوري، والذي عندما سمع بأخبار تونس وأمرائها الذين دعوا للعباسيين ، قام بالانتقام منهم وذلك بتسليط القبائل العربية المنتشرة علي حدود مصر عليهم وأهم هذه القبائل بني هلال وبني رياح ، حيث أغراهم البازوري علي المسير إلي طرابلس والقيروان بعد أن أعطاهم المال والأغنام وبعد وصولهم عاثوا في المدن الفساد والتخريب وبذلك يكون قد تخلص منهم من جهة وانتقم من الزيريين من جهة أخري، وهذا ما يعرف عند العرب قديما بتحريض القبائل الجائعة ضد الأقاليم التي تكون مكتفية من الناحية الاقتصادية والسياسية وتنعم في هدوء ، لذلك حاول الفاطميون بعد أن فقدوا مركزاً لهم في المغرب ضرب هذه القبائل في هذا الإقليم.

وعلى الرغم من محاولة الفاطميين الانتقام من المعز بن باديس، إلا أن هذا ظل على دعوة العباسيين، وأصبح المذهب في تونس، وباقي المناطق المغربية سنياً. [1]

والذي جعل الفاطميون يتهاونون مع المغرب الإسلامي، هو ما كان يحدث داخلياً من تدهور الأوضاع الزراعية، والتي أثرت على الأوضاع الاقتصادية، حيث كان أغلب الناس في مصر يعيشون على الزراعة، وذلك بسبب نقص منسوب نهر النيل، مما أثر على الأحوال المعيشية، فارتفعت الأسعار، وتزايد الغلاء، وتفشى نتيجة ذلك الجوع في كافة أنحاء البلاد[2].

بالإضافة إلى تطاحن عناصر الجيش المختلفة، والتي زادت من شدة الأمر في المدن داخل الدولة[3]، ويذكر لنا الهاشمي أن سبب أزمة الجيش هو أم المستنصر والتي على الرغم من بعدها عن شئون الدولة إلا أنها تدخلت عندما شرعت في شراء عبيد للدولة من جنسها، واستكثرت منهم وجعلتهم طائفة لوحدها ، مما جعل ذلك يمهد لحدوث فتنة بينهم وبين الأتراك، الذين نجحوا بمساعدة قبائل المغاربة والكتاميون من الإيقاع بالسودانيين، وبذلك انتهى هذا الصراع بتقوية شوكة الأتراك، الذين أصبح في متناول أيديهم نفوذ على الدولة الفاطمية بعد أن أطاحوا بالدولة العباسية[4]، ولم تنته الفتن في الجيش هنا فقد حدث صراع أشد بين الأتراك والمغاربة، الذين أحسوا بظلم من قبل

---

[1] الناصري : الاخبار المغرب الاقصى ، ج1 ، ص 230 .
[2] عبدالمنعم الهاشمي : موسوعة تاريخ العرب ، ص 333 .
[3] السيد عبدالعزيز سالم : تاريخ مصر الإسلامية ، ص 195.
[4] عبدالمنعم الهاشمي : المصدر السابق ، ص 237 ، 238.

قادة الجيوش الأتراك ولم يستطع الخليفة الفاطمي أن يجد لهذه المشكلات حلاً، والتي كان لها أثر في نفوس الناس، مما جعل هيبة خليفة الفاطميين أمامهم تهتز تدريجياً، ومما ساعد على تفاقم الوضع السائد، هو ما كانت تمر به الحكومة من ضعف شديد، وفقدها لأهم عناصر المساعدة من وزراء ورؤساء إداريين[1].

وفي عام 457هـ/1065م وصلت هذه الأزمة إلى أعلى مستوياتها، حيث امتدت سبعة أعوام متتالية، وفيها خربت عدة مدن كان لها دور في إقبال الناس على مصر، وأهم هذه المدن الفسطاط. ووصلت الأزمة إلى أشدها في القطاع، حيث بني حائط عليها، لكي لا يرى الخليفة مدى الدمار والقحط، وعرفت هذه الفترة بالشدة (المستنصرية) لحدوثها في عهد المستنصر بالله[2]، وعرفت أيضاً (بالشدة العظمى) لأن الدولة الفاطمية منذ تأسيسها في المغرب، وانتقالها إلى مصر وبسط نفوذها في المشرق الإسلامي، لم تشهد هذه الأحوال، مما جعل المقريزي يطلق عليها أعظم الشدائد للفاطميين، وكانت الدولة الفاطمية قد وصلت إلى حالة من الفقر السياسي وبدلاً من أن يأخذ الخليفة المستنصر موقفاً من بعد مدبري الفتن والذين هم أصحاب الأطماع ساهم في إشعال بعضها من خلال تحيز والدته لبني جنسها من أعضاء الدولة والجنود، والذين كانت تمدهم بالمال والسلاح مما أخلى خزينة الدولة واضطر المستنصر أن يبيع مقتنيات قصوره من أثاث وأسلحة قديمة وثيابه وثياب أجداده الحريرية التي ورثها وقد بلغ القحط لدرجة أن ثلث سكان مصر فروا منها حتى أم الخليفة وبناته حاولن الرحيل إلى بغداد من شدة الأزمة[3].

ومما زاد من الأمر تعقيداً هو اضطرار أغلب العلماء والكتاب وأصحاب الأعيان إلى مغادرة البلاد، والرحيل عنها إلى مناطق أكثر أمناً ورخاءً، مثل الشام والعراق اللذين كانا في حالة من قوة النفوذ الذي فقده الفاطميون، وأصبحت القاهرة خالية من علمائها وشيوخها الذين لطالما كانوا مركز قوتها الدينية والسياسية[4]، وكان الفاطميون على اختلاف حكامهم يجالسون العلماء باعتبارهم مربيين ومعلمين لأبنائهم . كما اعتبروهم

---

(1) احمد مختار العبادي : التاريخ العباسي والفاطمي . ص 301..
(2) عبدالمنعم الهاشمي : موسوعة تاريخ العرب، ص 334
(3) احمد مختار العبادي : تاريخ العباسي والفاطمي . ص 301 .
(4) السيد عبدالعزيز سالم : تاريخ مصر الإسلامية . ص 196 .

حماة العلم ومشاعل المعرفة ، كما كان بلاط الفاطميين يموج بالفلاسفة والشعراء والأطباء الذين كان لهم ثقلهم في الدولة الفاطمية.

وبما أن الخلفاء الفاطميين ومن بينهم الخليفة المستنصر قد تعودوا على وجود مجالس ومنتديات علمية من وقت لآخر.ومن هذا كله لم تبْقَ سوى مجالس المساجد التي أصبحت بمثابة دور للعلماء والصلاة معاً[1].

ومما لا شك فيه أن هذا الوضع كان أكبر من أن يتحمله خليفة لدولة عظمى، لاسيما المستنصر الذي عاش معيشة الرفاهية والتفاخر بما لديه ، فما كان منه إلا أن بعث بوزيره أبي الفرج محمد بن جعفر المغربي إلى والى عكا، أمير الجيوش بدر الجمال الذي كانت قوته في تصاعد ، يطلب منه القدوم لإنقاذ البلاد من حالة التدهور، ولتنظيم أمور الدولة وإصلاح ما فسد منها، فما كان من بدر الجمالي إلا أن رحب بذلك وجهز جيشاً كبيراً يحتوي أغلبية من الأرمن وتوجه إلى القاهرة[2] التي رحبت به بعد أن أفرغها المستنصر حسب شروط الجمالي من كافة جند الترك الذين اعتبرهم رأس الفتنة في الدولة[3].

على الرغم من الفترة القصيرة التي تولى فيها الخليفة الظاهر لإعزاز دين الله، فإنه لم يتحمل واجباته نحو الدولة ، فقد كان جل اهتمامه نشر الدعوة الفاطمية من حيث أمره لدعاته، بأن يوجهوا الناس لحفظ تعاليم المذهب الشيعي، التي بدأت في الانتشار السريع في بقية المناطق التي كان العباسيون يسيطرون عليها.

كذلك كان نتيجة هذه السياسة أن انتشر الدعاة على امتداد الأراضي الشرقية التابعة للعباسيين ثم للسلاجقة ، غير أن الظروف التي ألمت بالخليفة الظاهر حالت دون تقدم سياسته التي اتبعها لنشر دعوة الفاطميين.

أما في عهد الخليفة المستنصر بالله فقد وصلت الدولة الفاطمية إلى أقصى اتساع لها حيث شبهت من قبل المؤرخين بالإمبراطورية الرومانية، وأصبح يطلق عليها في ذلك العصر بالإمبراطورية الفاطمية، وانقسم عهد المستنصر إلى عهدين الأول وهو العشرين سنة الأولى، وهو عهد الرخاء السياسي للفاطميين، فقد امتد نفوذهم السياسي

---

[1] عطا الله : الحياة الفكرية في مصر ص 204..

[2] احمد مختار العبادي : تاريخ العباسي والفاطمي ، ص 302 . الهاشمي : موسوعة تاريخ العرب ، ص 339 .

[3] ايمن فواد السيد : الدولة الفاطمية في مصر ، ص 144 .

إلى الشام وشمال أفريقيا وصقلية والشاطئ الأفريقي للبحر الأحمر، كذلك لبلاد الحجاز.

. ومما زاد من قوة نفوذهم، كسب الفاطميين ود الولاة في عدة مناطق مختلفة سواء في الشرق أو الغرب أو شمال أو جنوب الدولة الإسلامية .

أما بقية عهد المستنصر وهي الأربعين سنة التالية، والتي اعتبرت كارثة على الدولة ككل حيث بدأ الانحلال السياسي في الدولة نتيجة تكاثر الوزراء في مركز الدولة في مصر ، كذلك حدوث حالة من الغلاء والفقر نتيجة انخفاض منسوب نهر النيل وهو المصدر الوحيد للزراعة في مصر وهو الأمر الذي زاد من تفكك سياسة الدولة في بقية المناطق بسبب فراغ خزينة الدولة من الأموال والمؤن والتي كان يعتمد عليها أغلب الولاة في تسيير أمورهم في مناطقهم .

كما أنه ذات الأمر الذي جعل العباسيين يستغلونه ضد سياسة الفاطميين في جزيرة العرب بالأخص.

الفصل الرابع
النفوذ الفاطمي في اليمن والخليج

المبحث الأول:الوجود الفاطمي في اليمن.

المبحث الثاني: انتشار النفوذ الفاطمي في عمان والهند.

المبحث الثالث: جهود اليمن في عودة النفوذ الفاطمي للحجاز.

المبحث الأول

الوجود الفاطمي في اليمن

كانت بلاد اليمن من أهم المراكز و الولايات التي فتحها المسلمون،ولطالما كانت الملجأ الذي يلجأ إليه عند اشتداد الأوضاع في باقي الولايات الأخرى، من حروب وجفاف ومجاعات وغيرها من المآسي الطبيعية ،لذلك نرى أن علاقة المسلمين بهذه البلاد منذ عهد الرسول (صلعم)،ولقد حرص على أن تكون هذه البلاد على اتصال بالمدينة من خلال حث الدعاة على نشر الإسلام فيها،وحث الجيوش على أن تكون مرتبطة مع المدينة، لتوثيق الصلة فيما بين المسلمين فيها[1].

الذين تربطهم مع شعوب الجزيرة وبلاد الشام علاقات وثيقة عن طريق الولاة الذين يبعثون إلي، تلك المناطق ليحكموها نيابة عن الخلفاء،فيظل الارتباط متواصلاً مع بلدانهم، وذلك يؤثر في بقية الرعية الموجودين في اليمن، فتولد عندهم نوع من الارتباط مع تلك المناطق، خصوصاً مع تجار القوافل التي كان لهم تبادل تجاري معهم[2] كما ظلت القبائل اليمنية على المدى الطويل تغذي الجيوش الإسلامية الفاتحة، الذين كان لهم دور كبير في انتشار الدعوة الإسلامية وإرساء مبادئها في اليمن،خصوصاً في عهد الخلافة العباسية،فعندما دخلت اليمن في نطاق العباسيين سعوا لنشر الإسلام بين قبائلها على المذهب السني، الذي انتشر في كافة مناطقها وخصوصا حاضرتها صنعاء، التي أصبحت مقصد النبلاء والعلماء [3].

غير أن أشهر من عاش في هذه البلاد الصليحيون ، وهم المنسوبون إلي كامل بن محمد الصليحي حيث قطنوا في صنعاء وأصبحت مركزاً لسلطتهم.

وتعتبر بلاد اليمن مطمع كافة الخلفاء،و الدول على مر التاريخ، لما لها من رقعة واسعة تميزت بها عن كافة المناطق الأخرى، حيث تنقسم اليمن إلى قسمين أولاهما تهامة وما جاورها، ومنطقة الجبال التي لها اتساع أكبر من الأخرى[4] ،كما لا يمكننا أن ننسى مدى تقدم اليمنيين في المجال الحضاري والعمراني والزراعي، وتجلى لنا

---

(1) الكتاني :عبد الحي ،نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الإدارية،ص ص281، 282

(2) احمد مختار العبادي :التاريخ العباسي و الفاطمي ، ص 244

(3) محمد سرور :النفوذ الفاطمي في جزيرة العرب ،ص 61

(4) عمارة اليمني :أبو الحسن نجم الدين ،تاريخ اليمن ،دار الثناء للطباعة والنشر ،القاهرة، 1957، ط1 ،ص 148

في عظمة سد مأرب و عرش بلقيس ،كما تعتبر الزراعة في اليمن من أهم مصادرها وجميع أراضيها زراعية، بل خصبة، وأهم منتجاتها القمح،الشعير،الذرة،العنب[1].

وهذه الجنة الخضراء أصبحت هدفاً للمسلمين، وعلى مر التاريخ حكمتها عـدة دول، من بينها بنو زياد الذين حكموها منذ عام 204هـ/819م، كذلك بنـي يعفـر الـذين حكموها في سنة 247هـ/، وغيرهما من الدويلات الصغيرة التي لم يستمر وجودهـا طويلاً [2].

وظلت كذلك حتى استولت الخلافة العباسية عليها، وضمتها إلى ولايتها واستمر هذا الوضع يتعاقب عليها الولاة،غير أن الفاطميين أدركوا أهمية هذه البلاد. ومنـذ عهـد عبيد الله المهدي مؤسس دولة الفاطميين،حاول هو وأتباعه دس الـدعوة الإسـماعيلية بين القبائل اليمنية،غير أنه فشل في نشر الدعوة بسبب قوة أنصار العباسيين، حيث أن الدولة العباسية كانت في أوج قوتها آنذاك، ومع ذلك ظلت هناك عدة محـاولات مـن قبل أنصار عبيد الله يحتفظون بالمذهب الإسماعيلي، متمثلاً فـي أبـي الحسـن بـن حوش[3]، وأن طبيعة بلاد اليمن ساعدت كثيراً على استقرار العـرب فيهـا، وذلـك لاشتغالهم بالزراعة حيث برعوا في أعمال الزراعة ومشاريع الري حتى سميت هـذه المنطقة ببلاد العرب.

وكان ابن حوش يدعو للإسماعيلين في بلاد اليمن وقد بذل مجهوداً كبيراً فـي نشـره وقد أوصى عند مماته في سنة 302هـ/914م ابنه أبـا الحسـن وأتبـاعه عبـد الله الشاوري أن يستمرا في إقامة الدعوة للمهدي[4]، وبعد أن نفذ أمر والده اسـتمر فـي ذلك، حتى اتصل عباس الشاوري بعبيد الله في المغرب يبلغه بأنه سيقيم الدعوة له في بلاد اليمن، مستثنياً ابني ابن الحوش من الحكم، والذي كان بداية نزاع فيمـا بينهمـا، ولكي ينتقم من الشاوري،عمل ابن الحسن إلى الانقلاب على المـذهب الإسـماعيلي، ودون أن يستمع لنصائح أخيه جعفر قام بقتل الشاوري والاستيلاء على الملك،وحرض على متابعة أنصار الفاطميين والقضاء عليهم[5].

---

(1) شرف الدين،أحمد حسين:اليمن عبر التاريخ دراسات جغرافية ،تاريخية،سياسية،ب.د،القاهرة،1964، ط2 ،ص ص22 ،102.
(2) احمد مختار العبادي : التاريخ العباسي و الفاطمي ، ص 344
(3) محمد سرور :النفوذ الفاطمي في جزيرة العرب ، ص ص61 ،70 ،72
(4) محمد سرور :النفوذ الفاطمي في جزيرة العرب ،ص 68
(5) زكار ،سهيل :أخبار القرامطة باليمن ،دار حسان ،بيروت ،1982 ،ط2 ،ص ص150 ،151 ،152

مما أدى إلى إخفاء الدعوة الفاطمية لفترة طويلة، وأخطر الفاطميين في المغرب ومصر بعد ذلك أن يغزون الدعوة سرا خوفا من الأعمال التي تقام ضدهم[1].

وفي سنة 429هـ/عرف مقاتل متنقل يدعى علي بن محمد الصليحي بالاستيلاء على صنعاء وأغلب مناطق اليمن وأطلق عليها الدولة الصليحية [2] وبذلك استقر الصليحي في اليمن بعد أن رحل من مكة متخوفاً من الأشراف فيها الذين منعوه لمدة طويلة من الحج.[3] لذلك منذ البداية حاول الصليحي أن يتوجه بسياسته نحو المغرب ومصر خصوصاً وأنهم كانوا يعانون مشاكل مع أشراف مكة الذين بدأوا يهددون الخليفة الفاطمي بقطع الدعوة له[4].

وبعد أن أحس الصليحي في اليمن بخطر الاندثار مابين الأطراف المتطاحنة و الحكايات والأساطير في نظر البعض أراد الاتصال بالأطراف المساعدة و الداعمة وراى الصليحي أن يتوجه بسياسته نحو المغرب ومصر ، وأراد الاتصال بالخليفة الفاطمي لمساعدته ودعمه ، ضد أعدائه في الحجاز واليمن ووجد تجاوباً من الخليفة المستنصر بالله ، الذي بدأ يهيئ الظروف والجو السياسي لنشر المذهب والمعتقدات الفاطمية في اليمن قبل دعمه المادي والسياسي للصليحيين [5].

فما كان من الصليحي بعد أن قوي أمره وتوطد نفوذه في بلاد اليمن إلا أن يتصل رسمياً بالخليفة الفاطمي المستنصر بالله، وكتب له في سنة 453هـ/1061م يستأذنه في إظهار دعوته،ولكي يظهر للمستنصر طاعته، أرسل إليه هدية ثمينة تشمل على سبعين سيفاً، مقبض كل واحد منها مصنوع من الأحجار الكريمة وأرسل إليه أثواباً وأحجاراً كريمة، ومسكاً وعنبراً،ولما وصلت الهدايا قبلها المستنصر وأمر له برايات كتب عليها الألقاب، وعهد إليه بالولاية بكونه خليفة الدولة، وبالطبع سمح له بنشر دعوته.[6]

وبذلك اتخذ الصليحي طريقاً شرعياً في سياسته، معلناً بذلك ولاءه للفاطميين في مصر واتخذ بذلك من مدينة صنعاء عاصمة لدولته، وبدأ يدعو للمستنصر على منابر

---

[1] احمد مختار لعبادي :التاريخ العباسي و الفاطمي ، ص 345

[2] الهمداني:حسين بن فيض الله ،الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن ،مكتبة مصر للنشر،القاهرة ،1969، ط1 ،ص 200

[3] المكي :العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ،نفس المصدر ،ص 440

[4] علي الداعي : حكايات وأساطير يمنية ، من مجلة العربي ، العدد247، يونيو 1979، دار العودة ، بيروت ،ص40.

[5] عمارة اليمني :تاريخ اليمن ،ص 106 ،العبادي :التاريخ العباسي و الفاطمي ،ص 345

[6] محمد سرور :النفوذ الفاطمي في جزيرة العرب ،ص 77

بلاده ويشيد به وبكرمه، محاولاً كسب ود العناصر المختلفة، عن طريق إسناد وضعه للفاطميين، الذين كان لهم صيت في الجزيرة[1].

وبذلك التف حول الصليحي العديد من الزعماء ومنهم عمران بن الفضل اليامي، وعباس بن الكرم،كما دان له جميع اليمنيين، مما جعله يركز علـــى بنـــاء عاصـــمته صنعاء، فملأها بالقصور، واسكنها الملوك والسلاطين تحت رعايته وفي ضيافته[2] .

وباعتباره يحكم البلاد نائبا عن الخليفة المستنصر،فقد حرص على الولاء والإخلاص للفاطميين، من خلال تبادل الرسائل المستمرة لإطلاعه على المســـتجدات فـــي بـــلاد اليمن[3]، وعندما نوى الصليحي الحج استأذن المستنصر في ذلك وكان ذلك في ســـنة 456هـــ/1063م حيث أدى فريضة الحج، والتي كانت ممنوعة عليه من قبل أشراف مكة،فما كان من الصليحي باسم الفاطميين إلا أن استغل أمر الحـــج، وانقـــض علـــى الحجاز واستولى عليه، ودعا للفاطميين على منابر جوامعها،وعندما سمع المستنصـــر بهذا الأمر سر قلبه لذلك حيث أن الصليحي أثبت له أنه ولي للفاطميين فما كان مـــن الخليفة الفاطمي إلا أن كافأه فأرسل خطابا يطلعه بأنه خلع عليه لقب (عمدة الخلافة)، وذلك لما قدمه للخلافة الفاطمية في بلاد الحجاز، التي كانت مصدر قلق الفاطميين[4]، واستمر الخليفة المستنصر يذكر في رسائله لليمن مخاطباً الصليحي بـــ (الســـلطان الأجل،الملك الأوحـــد،أمير الأمراء،عمـــدة الخلافـــة،تاج الدولـــة،ذو المجدين،ســـيف الإمام،المظفر في الدين، نظام المؤمنين، شرف المعالي)[5].

وبعد أن استقر الوضع في بلاد اليمن، أراد الصليحي السفر إلـــى مصـــر للالتقـــاء بالخليفة الفاطمي المستنصر[6]، وبعد أن جاء الخبر على الخليفة الفاطمي المستنصـــر من قبل الداعي لمك بن مالك، أرسل إليه خطابـــاً فـــي جمـــادى الآخـــر مـــن ســـنة 459هـــ/1066م يستأذنه بالمجيء إلى مصر[7]، والتي كانت في هذه الســـنة فـــي حالة من الإصلاح من قبل الفاطميين، سواء مـــن الخليفـــة المستنصـــر أو وزرائـــه، والإصلاح شمل الناحية السياسية، من خلال تغيير القوانين في تولي السلطة، أو مـــن

---

[1] الهمداني : الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن ،ص 200
[2] الهمداني : الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن ،ص 106
[3] حسن ابراهيم حسن ، الدولة الفاطمية ،ص 240
[4] احمد مختار العبادي :التاريخ العباسي و الفاطمي ،ص 345 ـالمكي :العقد الثمين في تاريخ البلد الامين ،ص 440
[5] الهمداني :نفس المصدر ،ص 213
[6] محمد سرور :النفوذ الفاطمي في جزيرة العرب ، ص 79
[7] حسن ابراهيم حسن :الدولة الفاطمية ،ص 242

الناحية الاقتصادية من خلال تغيير قوانين الضرائب والجباية، سواء في مصر أو الولايات المتبقية لدولته[1]، وما أن وصل الخطاب إلى الصليحي حتى توجه إلى مصر، هو وحاشيته وعساكره عن طريق ممتد مع ساحل اليمن من الجنوب إلى الشمال، في طول اثني عشر ميلاً فيضيق البحر حتى يصبح في عرض ثلاثة أميال أو نحوها، ويسمى باب المندب ومنها تمر مراكب اليمن إلى ساحل السويس قريباً من مصر[2].

ولقد رأى الصليحي أن يستغل سفرته هذه بالعروج إلى مكة لزيارتها. ولكي يستخلف هناك نائباً عنه فيها، ألا وهو محمد بن أبي هاشم الذي التفت حوله القبائل البدوية مؤيدة لدعوته، وعهد الصليحي والفاطميين من جديد[3]، والتي انقطعت عنهم لفترة بسبب تغير الخلفاء والظروف السياسية والاجتماعية في مصر، مما أثر على بعض الولايات، وكانت الحجاز أهمها لما تتمتع به هذه المنطقة من تميز من الناحية الدينية لدولة الفاطميين.

وبالطبع لم يكن الصليحي مشغول البال على بلاد اليمن، فقد استخلف فيها ابنه المكرم أحمد في صنعاء، ولكي يطمئن على ابنه اصطحب معه أغلب الأمراء، و شيوخ القبائل خوفاً من تآمرهم عليه، وإقصائه من الحكم[4].

وبالقرب من مكة تآمر عليه سعيد الأحول بن نجاح، واغتاله لما كان يشكل عليه من خطر وشدة في الحرب، فلم يستطع مواجهته، فما كان منه إلا أن يدس له بعض معاونيه في جند الصليحي الذين ساعدوه في القضاء عليه[5].

ويذكر لنا الشيخ نجم الدين عمارة اليمني، أن المتهاونين الأساس هم الأمراء اليمنيون وأهمهم وائل بن عيسى الوحاظي، الذين بثوا التفرقة في مسير الأثفي فارس، الذين اصطحبهم الصليحي الذي قطع سعيد رأسه، واستولى على ملك الصليحيين وذخائرهم وأموالهم، كما قام سعيد بحصف بني الصليحيين الذين جمعهم محمد الصليحي معه، والذين كان عددهم مائة وستون في صف واحد، ورماهم بالحراب،

---

[1] السيد عبد العزيز سالم : تاريخ مصر الإسلامية ، ص 195
[2] بن خلدون :المقدمة ،ص 45
[3] المكي :العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ، المصدر السابق ،ص 440
[4] محمد سرور :النفوذ الفاطمي في جزيرة العرب ،ص 80
[5] حسن ابراهيم حسن :الدولة الفاطمية،ص 242 ، العبادي :التاريخ العباسي و الفاطمي ،ص 345

ولم يكتف بذلك، بل قام بسبي أسماء بنت شهاب أم المكرم، والتي هربت فيما بعد، وكان ذلك في يوم السبت الثاني عشر من ذي القعدة سنة 459هـ/1066م[1].

وفي نفس السنة التي توفي فيها والده تولى المكرم أحمد الخلافة بعد والده، في اليمن[2]، وبوفاة الصليحي لم تنقطع العلاقات بين الصليحيين والفاطميين بل توثقت أكثر وأقوى في عهد ابنه المكرم أحمد، حيث سار على مسيرة أبيه في الولاء للفاطميين، وتشجع من خلال رسالة الخليفة الفاطمي المستنصر، الذي بمجرد سماعه بمقتل محمد الصليحي، حتى كاتبه يعزيه، ويشد من أزره، ويثبته على الحكم في اليمن،يعهد إليه الشئون في الدولة والدعوة الفاطمية فيها، وأن يكون حاكماً عادلا حسن السيرة مع الرعية، ولا يتبع أهواء الدنيا من الملذات والكفر، وهو ما سار عليه المكرم أحمد[3].

وأهم الرسائل المبعوثة للمكرم من قبل الخليفة الفاطمي المستنصر، التي يذكرها لنا حسن إبراهيم حسن في كتابه الدولة الفاطمية ويقول فيها (كان والدك الأمير الأجل الأوحد أمير الأمراء عمدة الإمامة تاج الدولة شرف المعالي سيف الإمام المظفر في الدين نظام المؤمنين علي ابن محمد الصليحي ممن خدم الدين فأخدمه الله سبحانه وتعالى الدنيا...هذا لما عرف أمير المؤمنين أنك نجيب وابن نجيب وفرع من شجرة سقي من ماء تهذيب،رأى وبالله توفيقه أن يمد إليه الاصطناع يداً،وهي باسطة ليد أبيك،ويطمح نحوك بجميل الإزدراع عيناً يقر الله بها عينه فيك وأن يجعلك خليفة لدينه ودنياه وخلفاً صالحاً في يومي مماته ومحياه وأن يشرفك من خاص ملابسه ما تباهي بمفاخرة...فعليك بتقوى الله سبحانه وطاعته في سر أمرك وجهره)[4].

والخليفة الفاطمي المستنصر لم يكتف بتبادل الرسائل مع أحمد المكرم، بل بعث إليه التشاريف والأعلام وملابسه الخاصة، ونرى المستنصر يلقبه في رسائله بالأمير،الأجل، شرف الأمراء،وعز الملك وغيرها من الألقاب[5] ،واستمر المستنصر في تشجيع المكرم أحمد، ومحاولة كسب رضاه خوفاً من ميله إلى أطراف أخرى، معادية لدولة الفاطميين، وأهم هذه الأطراف الدولة العباسية،لذلك بدأ المستنصر في

---

(1) عمارة اليمني :تاريخ اليمن ،ص ص126، 127

(2) احمد مختار العبادي :التاريخ العباسي و الفاطمي ،ص 345

(3) محمد سرور : المرجع السابق ،ص ص80، 81

(4) حسن ابراهيم حسن ، الدولة الفاطمية في مصر ، ص 242

(5) عبدالمنعم ماجد :ظهور خلافة الفاطميين وسقوطها ، ص 201

مراسلة المكرم، ومحاولة توثيق الصلة معه، مثلما فعل سابقاً مع أشراف مكة عندما أحس بالخطر من انفصالهم عن الدولة الفاطمية[1].

وهذه السياسة اتبعها نتيجة استغلال العباسيين للأوضاع المتغيرة في الولايات التابعة للفاطميين في محاولة منهم لقطع الخطبة للفاطميين وخلفائهم.

ولقد نجح الخليفة المستنصر في جذب المكرم، والذي حرص على توطيد علاقته بالمستنصر بالله الفاطمي، والذي ظل يرد عليه بالخطابات التي تؤكد ارتباطه بالفاطميين، وسعيه المستمر على نشر الدعوة الإسماعيلية في كافة بلاد اليمن، خصوصاً في المناطق التي ما زالت وثنية، وتؤمن بالفلك والنجوم في محاولة منه لاستغلال أوضاعهم، ونشر الإسلام فيها وعلى المذهب الإسماعيلي الفاطمي، ولقد نجح المكرم في ذلك في عدة نواحي، حيث بدأ في نشر دعاته الصليحيين في المناطق المأهولة بالسكان اليمنيين، وأشهر هؤلاء الدعاة الداعي المظفر الذي خضع له أغلب اليمنيين، والذي كان من أقرب الدعاة لقلب الخليفة المستنصر بالله الفاطمي[2].

فبعد أن تولى المكرم أحمد ولاية البلاد، وتوطيد نفوذه على جند اليمن وتوثيق علاقته مع الدولة الفاطمية وكسب رضا الخليفة[3]، أراد الانتقام من قاتل أبيه. وهو سعيد الأحول ولم يلبث أن جمع حوله المقاتلين وشيوخ القبائل الذين كانوا يبدونه النصح في هذه الحرب، لما يعلموه من دهاء ومكر السعيد الأحول، أخذ الاستعداد الكامل للتوجه إلى زبير مقر الأحول، وسار المكرم أحمد كقائد الجيوش، وأمرهم برفع السيوف بعد الفتح، كما أمر كل مقاتل باللباس الأسود، وهو ما اعتاد عليه الفاطميون في حروبهم، وكان سعيد بن الأحول لا بأس به كمقاتل فقد قاوم بشدة المقاتلين اليمنيين،وبمساعدة مقاتليه تمكن من الفرار من المعركة، غير أنه بمساعدة السيدة بنت أحمد زوجة المكرم، تمكن المكرم من قتل سعيد، عندما بعثت إلى سعيد أحد الجنود لكي يخبره بإصابة المكرم بمرض، فما كان من سعيد إلا القدوم إلى المقاتلين اليمنيين، الذين أطبقوا عليه وقطعوا رأسه الذي علق في مكانه[4]، وكان الخليفة الفاطمي

(1) المكي :العقد الثمين ،المصدر السابق ،ص 441
(2) عبدالمنعم ماجد : المرجع السابق ،ص 198
(3) احمد مختار العبادي :التاريخ العباسي و الفاطمي ،ص 345
(4) عمارة اليمني :تاريخ اليمن ، ص ص 56، 59، 60، 62، 63

المستنصر على متابعة بأحوال اليمن و الصليحيين، فعندما سمع بما حدث للمكرم وانتصاره على سعيد الأحول، كتب إليه يبلغه بسعادته بذلك [1].

ومما لاشك فيه أن حرب المكرم ضد الأحول أظهرت عدة جوانب في الولاية، أهمها بروز شخصية السيدة الحرة زوجة المكرم لما لها من شخصية قوية وبارزة، وتتمتع بحنكة سياسية واضحة،فلم يهملها المستنصر في كتبه للمكرم فكان يخصها بالسلام والتحية لثقته بإخلاصها للدعوة الإسماعيلية، كذلك برز ضعف العسكر في القتال[2].

وهذا الأمر أقلق المستنصر فبعث للصليحيين مقاتلين من الجيش الفاطمي، الذي كان يستخدم كل أساليب الحرب المعروفة في عصره، وكذلك لما يتميز به من مهارة فائقة في استعمال أسلحة الحرب من المجانيق والدبابات التقليدية،والسرعة التي كانت مطلوبة من قبل العساكر، وذلك لسرعة الالتفاف على العدو، لذلك أدرك الصليحيون ما كان ينقصهم عندما وصلت إليهم طلائع الجيوش الفاطمية المساندة للصليحيين[3].

وبعد أن اطمأن المستنصر على أحوال دعوته في بلاد اليمن، قام في سنة 469هـ/1076م بتولية المكرم أحمد ولاية عمان، وبعث له أن يساند ويؤيد الأمير عبد الله بن علي العلوي أمير الإحساء، وبعد ذلك بسنة أي في 29 ذي الحجة سنة 470هـ/1077م بعث المستنصر إلى المكرم أنه ولى بدر الجمالي رسمياً منصب الوزارة، وأن عليه أن يطيع أوامره وإرشاداته فهي خير للدولة الفاطمية[4]، وكان الخليفة الفاطمي قد قلد بدر الجمالي وزارة السيف، لما أثبته من نفوذ وخبرة لحل المشاكل الداخلية لدولة الفاطميين[5].

وفي سنة 484هـ/1091م فقد الخليفة الفاطمي أهم دعاته في بلاد اليمن، وهو المكرم أحمد حيث توفي بعد أن أوصى بخلافته إلى الداعية ابن عمه أبو حميد سبأ بن أحمد المظفر الصليحي[6]، والذي كان جواداً كريماً وشاعراً أديباً فاضلاً عالماً بالمذهب،

---

(1) حسن ابراهيم حسن :الدولة الفاطمية ،ص 244
(2) محمد سرور :النفوذ الفاطمي في جزيرة العرب ،ص 81
(3) جلال :المعز لدين الله الفاطمي ،ص ص 216، 217
(4) حسن ابراهيم حسن :الدولة الفاطمية ،ص 244
(5) محمد سرور :سياسة الفاطميين الخارجية ،ص ص 86، 87
(6) احمد مختار العبادي :التاريخ العباسي و الفاطمي ،ص 346

وكان من المقربين للمكرم لما يتمتع من رشد ديني وحربي، ودائم لالتفاف الناس من حوله[1].

غير أن السيدة الحرة زوجة المكرم لم ترضَ بهذه الوصية بعد موت زوجها، لذلك استعملت حنكتها وراسلت الدولة الفاطمية، فوجهت برسالة إلى الخليفة المستنصر تخبره بوفاة المكرم وترجوه أن يوافق على تعيين ابنها عبد المستنصر مكانه، فأقره المستنصر خلفاً على أبيه، وعهد إليه بشئون الدعوة، وأمر أن تكون جميع المراسلات الصادرة منه إلى بلاد اليمن تكون باسم المستنصر الصليحي، وأراد الخليفة الفاطمي من ذلك الحرص على استقرار الأمور في بلاد اليمن لكي يضمن سيادته عليها، وأمر السيدة الحرة بحل النزاع ما بين ابن حميد سبأ وأبي ربيع سلمان بن الأمير، وطلب إليها لكي تسعى في الصلح، ولكي يؤكد سيطرته أرسل المستنصر في ربيع الأول من سنة 480هـ/1087م إلى الصليحيين بأن يطيعوا السيدة الحرة وابنها عبد المستنصر، وناشدهم لكي يتحدوا في سبيل نشر الدعوة، وأنه سعيد للخدمات التي قاموا بها في سبيل نشر سلطته في اليمن[2]، والتي ساعدت على نشر الدعوة الفاطمية في كافة بلاد اليمن والمناطق المحيطة بها،بالإضافة إلى ذلك التعاون الجلي للفاطميين، من خلال تيسير الطرق التجارية باعتبار اليمن حلقة وصل ما بين المحيط الهندي و البحر الأحمر، وهو معبر التجار القادمين من مصر.

وفي هذا الوقت أصبحت الدولة الفاطمية تعالج أمورها بالسياسة قبل الحرب، التي اعتبرها لفترات طويلة جزءاً من الواجب الديني، بتحويل الناس وقيادتهم نحو الدين الصحيح، غير أنه مع تقدم الدولة واتساعها أصبحت لدى الخليفة المستنصر بدائل أدت الحلول المطلوبة، خصوصاً في عهد السيدة الحرة أروى[3]، التي كانت على جانب كبير من الأخلاق الفاضلة ،قارئة وتحفظ الأشعار وتواريخ العرب، بإضافة إلى التقوى وما تتمتع به من خبرة واسعة، ساعدها على إدارة شئون بلادها في ظروف متقلبة مرت على كافة بلاد اليمن[4].

---

(1) عمارة اليمني :تاريخ اليمن ،ص ص 64، 65.
(2) محمد سرور :سياسة الفاطميين الخارجية ،ص ص88، 89.
(3) جلال بالمعز لدين الله الفاطمي ، المرجع السابق ،ص ص206، 207.
(4) الهمداني :الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن ،ص ص143، 144.

ولقد تدخل الخليفة الفاطمي المستنصر في شئون السيدة الحرة، عندما أرسل الداعي سبأ بن أحمد من أجل إقناعها من أجل الزواج به، خصوصاً بعد وفاة ابنها عبد المستنصر، واحتراما للإمام الفاطمي قبلت بالزواج الذي ساعد على احترام الناس لابن حمير، الذي على الرغم من زواجه بالسيدة الحرة لم يتمكن من السيطرة على شئون الدولة اليمنية واستمرت في سياستها الموالية للفاطميين، ووثقت صداقتها معهم، خصوصاً مع والدة المستنصر في مصر، وعلى الرغم من ضعف الدولة الفاطمية في أواخر عهد المستنصر، إلا أنها لم تتأثر هذه العلاقة، بل وقفت مع الفاطميين وساندتهم وأظهرت بذلك شخصية المرأة العربية البدوية فيها المخلصة، على الرغم من وسائل عدة كان بالإمكان استغلالها[1].

وفي سنة 487هـ/1094م وبعد ستين سنة من ولايته للحكم، توفي الخليفة الفاطمي المستنصر لدين الله يوم الجمعة المبارك، بعد أن نشر الدعوة الإسماعيلية والنفوذ الفاطمي في أغلب الولايات، التي انقطعت الخطبة للفاطميين فيها. فأعادها للنفوذ السياسي للدولة الفاطمية.

ولم يتأثر الدعاة الإسماعيليون في اليمن بما حدث للفاطميين في مصر. وبوفاة الخليفة المستنصر الذي خلف ابنه القاسم أحمد المستعلي وظلت السيدة الحرة تقيم الدعوة للخليفة الجديد المستعلي واستمرت تدين بالوفاء له[2].

على الرغم مما كان يحدث في اليمن من ظهور انقسامات إسماعيلية، ولكي يوطد علاقته في بلاد اليمن، أرسل خطاباً إلى السيدة الحرة، وذلك في 8 صفر سنة 489هـ يطمئن فيها السيدة الحرة عن الأوضاع في مصر، وأن الوزير بدر الجمالي يتولى شئون الدولة الإدارية، وأن البيعة أخذت له من قبل رجال الدولة، ونيت لأخيه الأكبر نزار.كذلك حاولت والدة الخليفة المستعلي جذب الدعاة في اليمن من أجل ابنها، وتأييدهم إليه. فقامت ببعث رسالة إلى السيدة الحرة تحدثها عن حب الخليفة المستنصر، ومحبته لابنه المستعلي، ومفاضلته عن بقية أبنائه لما له من خبرة وفطنة سياسية[3] وهذا يدل على قوة المرأة العربية في عصور الخلفاء، ودورها في توطيد

---

[1] محمد سرور :النفوذ الفاطمي في بلاد جزيرة العرب ،ص 86، 88.
[2] حسن ابراهيم حسن :الدولة الفاطمية ،ص 264
[3] محمد سرور :سياسة الفاطميين الخارجية ،ص ص93، 94.

الأمور إلى مجراها المراد سياقها عليه، سواء كانت والدة المستنصر، أو السيدة الحرة، أو حتى زوجة المستنصر ووالدة الخليفة المستعلي.

وعلى الرغم من أن اليمن لم يتأثر من الناحية السياسية بما حصل في مصر للفاطميين إلا أنه كان هناك تأثر بسيط من الناحية الدينية حيث ظهرت فرقتان الأولى عرفت بالنزارية وهي تؤيد ابن المستنصر نزار والثانية تؤيد الخليفة المستعلي وتؤيد دعاة الإسماعيلية في اليمن[1].

وإن دل هذا على شيء فهو يدل على أن الاتصالات الشخصية بين الأمراء و الخلفاء الفاطميين أتت بثمارها، فقد تركت أثراً في نفوس الناس من محبة للإمامين، وما يؤمنون به، بل كسب الفاطميون أنصاراً لطالما كانوا عوناً لهم في بلاد اليمن[2]

وتجدر الإشارة إلى أن نجاح الخلافة الفاطمية في بلاد اليمن. يعتبر من أهم الانتصارات للدولة،لما لها من أهمية كبيرة، باعتبارها حلقة وصل ما بين الشعوب في آسيا وجزيرة العرب، وبلاد الشام وشمال أفريقيا.

ولقد كان لضعف الدولة الزيدية أثر كبير في نجاح دعوة الفاطميين في بلاد اليمن، حيث استغل الفاطميون أحوال البلاد لتعزيز وجودهم البسيط فيها،كذلك التجهيزات العسكرية التي أعدها الفاطميون في مصر، لكي يزودوا الصليحيين، لها دور في استقرارهم في هذه البلاد.

ولا يمكن أن ننسى الصليحيين، الذين رحبوا بوجود الدعاة الفاطميين في بلادهم، كما حرص الفاطميون بعد أن استقروا في اليمن، على نشر دعوتهم في المناطق الموجودة بالقرب من اليمن، ساعد على توطيد علاقتهم مع سكان المنطقة. وعزز مركزهم في الجزء الجنوبي من جزيرة العرب .

كما أن الصلاحيات التي اتبعها المستنصر في بلاد اليمن، ساهمت في اكتساب الاحترام له وللفاطميين من قبل أمراء اليمن،حيث نراه يسرع في حل النزاعات التي كانت تقوم ما بين القبائل وقواد الجيوش.

[1] محمد سرور :نفوذ الفاطميين في جزيرة العرب ،ص 93
[2] الهمداني :الصليحيون و الحركة الفاطمية في اليمن ،ص ص14، 15

وعلى الرغم من مظاهر الضعف التي أصابت الخلافة الفاطمية في مصر، في أواخر عهد المستنصر،لم تتأثر بلاد اليمن بذلك الضعف حيث أظهر ولاة اليمن مدى إخلاصهم للفاطميين، وزادت الثقة بينهم وبين الخلافة الفاطمية في مصر.

ونرى السيدة الحرة عند وفاة المستنصر بالله، وخلفه ابنه المستعلي أيدت خلافته، بل نراها تدعو له على منابر المساجد في بلاد اليمن، وهذا هو السبب الذي جعل الخليفة الجديد يتشجع في مواصلة الدعوة لدى الصليحيين دون الخشية من الصراعات التي قد تحول دونه ودون سياسته الدينية والسياسية في اليمن.

ولم تنقطع الدعوة في اليمن إلا بعد زوال السيادة الصليحية فيها، حيث أن الزوال الحقيقي للفاطميين ونفوذهم في اليمن جاء من ولاية الأيوبيين في هذه البلاد.

المبحث الثاني

انتشار النفوذ الفاطمي في عمان والهند

تشتهر عمان بموقعها الاستراتيجي الهام، وهي من المناطق التي لا يستقر لها وضع سياسي لفترة طويلة ، باعتبارها منطقة مرتبطة مع المناطق المحيطة بها، ولأن أغلب الأمراء يطمعون بالسيطرة عليها، باعتبارها منفذاً لأغلب طرق القوافل المارة بالجزيرة ،لذلك نرى عمان دائمة التغير من الناحية السياسية، ومنذ أوائل القرن الرابع، اعتبرت حاضرة للقرامطة الذين بسطوا سلطتهم عليها، موقع عمان الإستراتيجي هو الذي جذب إليها الأقوام،فهي تلك المنطقة التي تقع على ساحل الجزيرة، واعتبرت مرسى للسفن المغادرة والقادمة من بلاد فارس والهند،وهي قلعة كبيرة ومدينتها مسقط، أهم ما فيها من مدن لتحضرها واختلاط أعداد كبيرة من الأجناس، سواء من الشام ومصر أو اليمن أو بلاد فارس[1].

وأهمية منطقة عمان توازي المناطق المجاورة لها من البحرين وعدن واليمن والحجاز وغيرها من المناطق المتميزة والتي تمتد حولها.

ومن المرجح أن ذلك ساعد على قدوم هؤلاء الأقوام وبالأخص القرامطة الذين وجدوا بلاد عمان ملجأ لهم بعد انقسام أمرائهم في الخلافة،حيث قدم أبو الطاهر إلى هذه المنطقة مع مقاتليه فاستولوا على الحكم وقتل أميرها محمد الشامي الذي تم تعيينه من قبل الخليفة العباسي المعتضد والذي كان يقيم الخطبة للعباسيين فيها[2]، كما أنها مجال واسع النفوذ لديهم حيث ارتبط العباسيون به بعلاقات مباشرة وغير مباشرة في العديد من المجالات منها الاقتصادية والاجتماعية والثقافية وهو الأمر الذي ساهم في تطور وجودهم في هذه المنطقة[3].

ولقد انتهز القرامطة الوضع المتقلب في عمان وبسطوا نفوذهم عليها وتغلغلوا في كافة مناطقها،كذلك كانت عمان مقصد معز الدولة بن بويه، بعد أن عرف بالفتن والاضطرابات التي شاعت فيها، وعلى الرغم من وجودهم فيها إلا أن نفوذ المعز لم يتوطد في عمان بسبب الخوارج الذين ارتدوا عليه[4].

---

[1] ياقوت الحموي :معجم البلدان ،ج 1 ،ص 159

[2] محمد سرور :سياسة الفاطميين الخارجية ، ص 56

[3] عبدالدائم :نجيب صالح ،العلاقات الخارجية للدولة العباسية خلال العصر العباسي الأول ،رسالة ماجستير ،كلية الآداب والتربية ،جامعة التحدي ،2006 ،ص 113

[4] محمد سرور :السياسة الخارجية للفاطميين ، ص ص57 ،58 ،59

وعلى الرغم من أن أسرة بني مكرم اليمنية استطاعت تدبير شئونها في عمان بعد أن أقاموا الخطبة للعباسيين، وما لبث أن انقلب عليهم كغيرهم بسبب صراع الوراثة على السلطة والانشقاق فيما بينهم، لاستغلال الأطراف الأخرى للأمر، والمستفاد الأكبر لذلك أبو كاليجار أمير بويه في العراق، الذي أخذ البيعة له من أبناء بني مكرم في سنة 431هـ/، واستمرت حالة الصراع في بلاد عمان على الرغم من وجود بني بويه فيها.[1] إلا أن هذا لم يمنع من عودة الخوارج، حيث زادت حالة الانشقاق والفساد فيها، ما بين معارض ومؤيد لهم دون الاهتمام بالوضع الاقتصادي للبلاد في عمان .

وبما أن الدولة الفاطمية كانت في حالة سياسية جديدة، من حيث البحث عن موطئ قدم جديد ، كانت أمامها عمان وما يحيط بها من دويلات، لكي تبسط نفوذها عليها خصوصاً وأن عمان كان يوجد بها المذهب الإسماعيلي، الذي انتشر فيها منذ أواخر القرن الثالث الهجري، عن طريق القرامطة الذين فروا من الشام، بعد أن طاردهم بنو العباس لولائهم للفاطميين .

ولذا يتضح أن الدولة الفاطمية لم تغض النظر منذ البداية عن بلاد عمان، وأدرك الخليفة الفاطمي المستنصر ضعف النفوذ العباسي، هو ما أدى إلى عدم استقرارها لذلك نراه يستغل الوضع. ويبعث إلى المكرم أحمد في سنة 469هـ/1076م، وإلى اليمن بخطاب يحثه فيه إلى إدارة شئون عمان، وأن يزرع الأمان والاستقرار السياسي فيها وأن يعتبرها جزءاً غير مستقل عن بلاد اليمن[2].

وكان من خلال ما ذكره لنا الهمداني في كتابه الصليحيون في بلاد اليمن. عندما طرح لنا رسالة الخليفة الفاطمي يحث المكرم على التصدي لأعداء المذهب الإسماعيلي في كافة المناطق المحيطة باليمن،خصوصاً تهامة وعمان التي يريه حالها وضعها نتيجة تشتت أهاليها ومذاهبهم،كما نبهه بكونها الأقرب لليمن فهي أولى له من غيره،وأمره بأن يذهب إليها مع خيرة رجاله، لكي يضعوا فيها قوانين دولة الفاطميين ومذهبهم ،ونرى المستنصر يختم خطابه بتذكيره بولائه لأجداد الفاطميين وأبناء علي بن أبي طالب[3].

---

[1] ابن الأثير :الكامل في التاريخ ،ج9 ،ص ص162، 163
[2] محمد سرور :سياسة الفاطميين الخارجية ، ص 61
[3] الهمداني :الصليحيون في اليمن ،ص 319

وهو الأمر الذي كان له الأثر في نفسية المكرم، والذي اعتبرها نصحاً أكثر منها أمراً،موجهة إلى منطقة لطالما كانت منفذ أعداء اليمن إليها، ومقر اللصوص للاستيلاء على قوافل التجار المارين عليها، باعتبار عمان تتوسط المناطق سواء اليمن أو الحجاز،لذلك كان لابد من وضع حاجز لذلك المنفذ الساحلي.

وقد قام المكرم بتجميع مقاتليه لفتح وبسط نفوذه على المناطق المجاورة لليمن بعد أن تغلغل الدعاة فيها بما فيها، تهامة وعمان اللتان سرعان ما دخلها جنوده تحت قيادته الحكيمة، التي ساعدت على القضاء على كافة المعارضين لمذهبه، ودعوته الجديدة، وهكذا أصبحت تهامة وعمان حاضرة تابعة للفاطميين في مصر شأنها شأن أغلب مناطق الجزيرة تحت زعامة الصليحيين في بلاد اليمن[1].

ومنذ ذلك الوقت أصبحت بلاد اليمن ترسل إلى عمان دعاة لكي ينشروا الدعوة الفاطمية فيها، وذلك لكي يدعموا باقي الدعاة المتوغلين في مناطقها،مما زاد أنصار الفاطميين فيها،لدرجة أنه أصبح هناك خطابات من المناطق التي لم يصل إليها الدعاة الفاطميون لكي يزودوهم بالدعاة للدعوة الإسماعيلية،ورد الخليفة الفاطمي المستنصر على ذلك بإرسال الداعية إسماعيل بن إبراهيم بن جابر والذي كان رجلاً حكيماً عادلاً يتكلم باسم الدين لا باسم الفاطميين مما زاد إقبال الناس عليه لكي يغرفوا من منهله وبذكائه حبب الأهالي بالدعوة الفاطمية ونشرها في أغلب المناطق النائية وإرساء أركانها في عمان كافة[2].

أن هؤلاء الدعاة هم الأساس الأول للدولة الفاطمية في نشر وبسط نفوذها في هذه المناطق والسبب في ذلك هو قيمة الأعمال التي قدموها، والحاجة الماسة إليها في تلك المناطق والتي لا يستطيع الإيفاء بها عامة الخلق، وإنما تحتاج إلى من عندهم الخواص ممن أقبل على دينه، وشرفه في معاملاتهم مع الناس،فهم لا يخضعون لأهل الجاه،حتى يستدرون به الرزق للرعية، بل لا يسعهم ابتذال أنفسهم لأهل الدنيا، فهم بمعزل عن ذلك،لذلك لا تراهم تعظم ثروتهم في الغالب. وهم الذين أدخلوا المذهب الإسماعيلي في كافة الأمور الدينية من قضاء وفتوى والتدريس والإمامة والخطابة والأذان[3].

---

(1) الهمداني :الصليحيون في اليمن ،ص ص 122، 123.

(2) محمد سرور :سياسة الفاطميين الخارجية ،ص ص62، 63.

(3) ابن خلدون :المقدمة ،ص ص309، 310.

ومن خلال ذلك يتضح لنا أن سياسة الفاطميين كانت مبنية على أساسين، أولاهما: سياسة القتال والحروب، وهو ما رأيناه في أغلب فتوحاتهم في بداية الدولة الفاطمية، وثانيهما سياسة القلم والكتاب، واتضح لنا في فتوح اليمن وعمان، التي بث فيها أنصار الدولة، ثم الدعاة الذين نجحوا في بسط سلطان الدولة الفاطمية فيها، مكملاً لدويلات الجزيرة العربية[1].

ونرى منذ البداية أن منطقة عمان كانت وجهة الفاطميين ودعاتهم، باعتبارها منطقة مكملة للحجاز واليمن والعراق ومدنه وحدود حلب ،لذا بعد أن تم الفاطميون من بث دعاتهم في تلك المناطق كانت عمان محط أنظارهم ، لكي تكون منارة لهم على السواحل الشرقية للجزيرة العربية .

الهند

عندما نتحدث عن نفوذ الدولة الفاطمية السياسي الخارجي لابد لنا أن نتطرق لمقاطعة الهند إن صح التعبير بكونها ولاية فهي أكبر الولايات والوحيدة التي تعتبر خارج نفوذ المسلمين على الرغم من تغلغل الإسلام فيها عن طريق تجار المسلمين المتعاملين مع سكانها والتي فتحت عن طريق القائد محمد بن القاسم الثقافي في سنة 89هـ/707م.

ومنذ ذلك العهد أصبحت الهند إقليما إسلامياً وعلى الرغم من دخول الإسلام إليها لا يمكننا أن نلغي كيان بلاد الهند، والتي لها حضارة قديمة تعاصر في حضارتها حضارات مصر، وبابل وآشور، واليونان، والتي يتفق الأغلب أن هذه الحضارة بدأت قبل الميلاد بنحو أربعة آلاف سنة،كما استمدت هذه البلاد اسمها من كلمة "سندهو" وهو الاسم الهندي لنهر الأندوس، بمعناه الأرض التي تقع فيما وراء نهر الأندوس[2].

ومهما يكن من معنى فإن بلاد الهند هي تلك الأرض الشاسعة، تحدها الصين وبلاد القوقاز، وخليج البحر، الذي يحد أغلب بلاد الهند لدرجة أنه يطلق عليها أغلب المؤرخين القارة الهندية لما يحيط بها من بحر.

أما مدنها الكبرى والتي كان لها دور في جذب التجار المسلمين القادمين من جزر البحرين وعمان والتي انتشرت فيها دعوة المسلمين هي سندان، قامبل ،كنباية سوبارة، والتي كانت مقصد أغلب ملوك الهند.

---

[1] محمد سرور :سياسة الفاطميين الخارجية ،ص 64

[2] اليعقوبي :تاريخ اليعقوبي ،ج1 ،ص84

ويمكننا أن نقول إن الفتح الأول لهذه الأرض كان على عهد عثمان بن عفان تحت قيادة عبد الله بن عامر كري[1].

ومن الناحية الجغرافية لبلاد الهند فقد اشتهرت هذه المنطقة بكثرة المياه فيها، فقد أحاطت بها كميات وفيرة من المياه، مثل المحيط الهندي والذي يحيط بها من جهة الشرق والغرب و الجنوب، وهو الذي جعلها من أهم الأراضي التي تتشبع بالمياه طوال فترات السنة.

كما تميزت بلاد الهند عن غيرها من المناطق المجاورة، وبعض الجبال على السواحل الغربية لها والتي أصبحت مركزاً لمسلمي البلاد، أما من ناحية سواحلها فعرفن بصعوبتها، والذي أدى إلى عدم وجود أي مراسي بحرية فيها، اللهم بعض الصخور والتي كانت تساعد المراكب لاستقرارها على شواطئها، وبذلك لم تكن فيها أي قوة بحرية على الرغم من كبر سواحلها، والذي جعلها في عزلة جغرافية لصعوبة الوصول إليها ،كذلك انقسام مناطقها الداخلية ساعد في هذه العزلة، حيث توجد سلاسل جبال ونديا windia والتي شكلت حاجزاً بين شمال الهند وجنوبها،كما توجد صحراء راجبوتا والتي اعتبرت وسيلة دفاع ضد أي هجوم للهنود قادم من الشمال[2].

ولقد كانت هذه العزلة التي أحاطت ببلاد الهند ساعدت في تطور العلاقات مع المسلمين، وذلك سواء كانت هذه العلاقات من الناحية الاجتماعية، من حيث المحافظة والالتزام، أومن الناحية الاقتصادية من خلال تبادل التجار فيما بينها، أو من الناحية السياسية حيث أسس الهنود أغلب مدنهم من بروص وهيمور .

وبما أن الهند في ذلك الوقت لم تخضع لكيان سياسي واحد، بل انقسمت إلى العديد من الكيانات السياسية والتي تباينت في الحجم والقوة، فمن ناحية الشمال الذي خضع إلى مملكة كشمير، التي امتدت إلى مملكة الهند كوش في كابل شمالاً. ومملكة قنوج جنوباً، التي امتدت نفوذها إلى شمال الهند، من سواحلها الشرقية حتى سواحل تجرات ، وهذا لم يصعب مهمة المسلمين في بلاد الهند.

وترجع شهرة مملكة قنوج إلى تزعمها المقاومة القتالية ضد المسلمين. الذين وصلوا بلاد الهند منذ بداية العهد الأموي ، حيث حاولوا الوصول إلى الجهة الغربية للبلاد ،

---

(1) الاصطخري : المسالك والممالك ، ص 102

(2) سميث وآخرون :الأسس الجغرافية والاجتماعية للهند ،مجلة ثقافة الهند،المجلد السابع ،مارس-يونيو (د.م)،1956،ص 122 ،تعريف مدن الهند وتحريرها ،مجلة العصور ، المجلد الثاني ،الرياض ،1987 ،ص 139

غير أن الهنود من مملكة قنوج، ومملكة الراشتوكوت كانوا السد المنيع، حال دون ذلك الهدف وكان ملوك الراشتوكوت يطلق عليهم ملوك الجزر، لامتلاكهم تلك الأراضي[1].

وفي المنطقة الشرقية في البنغال تعتبر مملكة البالاس polas والتي أسست على يد جوبالا في سنة 132 هـ/750 م حيث كان هناك تصادم مع مملكة الراشتراكوت المتزعمة على مناطق الهند[2]

ونلاحظ أن الممالك الهندية كان لها السلطة الأولى في تلك المناطق، حيث تكونت كيانات سياسية داخلية القوى العظمى للمملكة التي تمتلك الأراضي الأكبر والأموال الأكثر وإذا ترجمنا الأحداث نجد أن مملكة الراشتراكوت وقنوج هما المملكتان الأقوى في المناطق الساحلية خصوصا من الناحية الغربية والجنوبية[3].

وهو الأمر الذي جعل هذه المملكة، أي البراشيراكوت مستهدفة من قبل أغلب الممالك الصغيرة مثل ملكة جيرا التي سيطرت على ساحل مليبار، ومملكة بانديا التي بسطت سيطرتها على ساحل الهند الجنوبي، ومملكة جوبا التي بسطت نفوذها على السواحل الجنوبية والشرقية، وعلى الرغم من هذه المناوشات إلا أن السلطة في النهاية سادت لمملكة الراشتراكوت بفضل تنصبها السياسي والحربي [4].

وكان المسلمون في ذلك الوقت في طور الانتقال السياسي، والبحث من أجل نشر الدين الإسلامي في المناطق المجاورة، وبما أن المسلمين زاروا سابقاً القارة الهندية، كانوا على دراية بخصوبتها ووفرة مياهها، ومن خلال العلاقة مع أهل السند كان الدخول الأول للعباسيين، الذين واجهوا في البداية صعوبة شديدة في الدخول إلى الهند غير أن القائد منصور بن جمهور شق طريقه في هذه المنطقة، والذي سعى كثيراً من أجل أن يكون للمسلمين موطئ قدم للعباسيين في الهند، خصوصاً بعد أن كثر عدد القبائل العربية هناك وكثرت منازعاتهم من أجل الأراضي والتجارة، الأمر الذي جعل بن جمهور يركز على توحيد كلمة المسلمين ونشر دعوة الإسلام[5].

---

[1] عبد الرحمن : محمد نصر : العلاقات السياسية والحضارية بين الدولة العباسية والهند، مكتبة الآداب ، القاهرة 2001) ص .55،67

[2] التاجر: سلمان ، أخبار الصين والهند ، نشره سوفاجيه (باريس ،1948) ص 12.

[3] المسعودي : أبو الحسن علي : روح الذهب ومعادن الجوهر ، ب . د ، القاهرة ، 1967، ط12 ، ص 70.

[4] القاسمي : خالد محمد ، العلاقات بين الشرق والغرب ، ب.د، بيروت، ص 54.

[5] مؤلف مجهول : عيون والحدائق في اخبار الحقائق، مكتبة المثنى ، ج3، بغداد ،1969 ، ص 182 ..

لذلك نجد أن العباسيين لقوا صعوبة كبرى، فكانت مهام أبي مسلم الخراساني استعادة أملاك الأمويين، لذلك نرى أنه كانت هناك حملات كبيرة لبلاد ما وراء النهرين، التي انسلخت عن الدولة الأموية، وبالفعل استطاع أن يستولي على أغلب المناطق، التي نزل بها الخراساني بعد فصل السند عن الهند، وعلى الرغم من الاحتياط الذي اتبعه العباسيون، لقي الأسطول العباسي هزيمة مفاجئة بعد النجاحات التي لقيها حيث هاجمتهم بعض الممالك الهندية، مما اضطر أغلب الجيوش إلى الانسحاب والعودة إلى البصرة..

ومن ذلك نلاحظ أن العباسيين لم يكن دخولهم القوي منظماً حسب ما اعتقدوا بالإضافة إلى النزاع القبلي بين العرب المستقرين في الهند حيث كان له التأثير الكبير من خلال عدم اهتمامهم بالمسلمين القادمين بل كانوا منشغلين في كسب حروبهم الخاصة ، وما كان بعد ذلك لم يكن ذي شأن في محاولتهم لدخول الهند عنوة، خصوصاً أن العباسيين كانوا في حالة من الانهيار السياسي وخشية من قوى أخرى متمثلة في الدولة الفاطمية الصاعدة على مسرح الأحداث الإسلامي.

ولقد استخدمت الدولة الفاطمية بلاد اليمن لكي تتصل ببلاد الهند ، فقد كانت جميع المؤن والمراسلات تمر على اليمن والانطلاق إلى الهند ، كذلك لم ينثن الخليفة الفاطمي المستنصر الدعاة فحين بلغه أن الدعاة توفوا في الهند، وأنّ هناك بعض الأنصار للمذهب الإسماعيلي في تلك البلاد يطالبون بدعاة للدعوة، أرسل في سنة 476هـ/1083م إلى المكرم والي اليمن بخطاب يعين فيه الداعية النشيط مرزوبان بن إسحاق داعياً في الهند، وعليه مساعدته للوصول إلى هناك دون مشقة وبأمان[1].

وكان مقصد الخليفة هو حماية الدعاة من الأخطار التي قد يتعرضون لها أثناء عبورهم للولايات، أو في أثناء تأدية واجبهم الديني، سواء كانت هذه الأخطار تتمثل في قطاع الطريق واللصوص، أو أعداء الدولة الفاطمية وبالأخص أنصارها المتواجدين في الولايات الفاطمية ، لذلك حرص أن يعبر دعاة بلاد الهند مرواً باليمن، ثم عمان ومنها يعبروا في سفن بحر فارس حتى يصلوا إلى البحر الهندي في الجنوب، وهي بداية الأراضي الهندية[2].

[1] محمد سرور : سياسة الفاطميين الخارجية ، ص 63.
[2] ابن خلدون : المقدمة ، ص ص 46-47.

ومنذ البداية كان الفاطميون ودعاتهم مدركين خطورة الأمر، في تدخلهم في بلاد لها ثقافة ولغة وديانات خاصة بها، على الرغم من وجود بعض التيارات الإسلامية فيها، ومدركين لقوة هذه الديانات التي اتخذت أشكالاً وطباعاً مختلفة حيث أن بلاد الهند والسند كانت فيها أقوى ديانات وثنية ، لذلك سرعان ما تحرك الدعاة الإسلاميون فيها محرضين على نبذ وترك عبادة الأوثان ومعرفة بمبادئ الدين الإسلامي وأهدافه وسرعان ما استجاب الأهالي، بمساعدة الأنصار للدولة الفاطمية بكسر وحرق الأوثان، والنداء في الناس بالتراجع عن عبادتها، والإقبال على الدين الإسلامي

وعلى الرغم من نجاح الفاطميين ودعاتهم في الهند ، لا يمكننا أن نقلل حجم نجاح الدعاة العباسيون في البلاد، والذين كان لهم دور في نجاح مساعي دعاة الدولة الفاطمية ، فكان هناك دعاة عباسيين استقروا في بلاد الهند جمعوا حولهم جماعة من المسلمين وأهم هؤلاء الدعاة هم أبي القاسم البصري والداعية معتز بن أحمد وعلى الرغم من اختلاف خلفائهم إلا أنهم ساهموا كثيراً في نشر الدين الإسلامي في الهند ومناطقها المحيطة بها ، جاعلين عبدة الوثن والكفر يتقهقرون في مناطق ومدن معينة متخذين من مدينة مكران في الشرق مقراً لهم ، وهي المدينة التي فتحها العرب منذ أيام معاوية بن سفيان، الذي وضع فيها أنصار الدعاة له على منابر مساجدها التي بناها للمسلمين فيها [1] كذلك لا يمكننا أن ننسى مدينة بلهوا، وهي منطقة كبيرة، والتي كانت مقصد الدعوة الإسماعيلية، حيث كانت فيها مساجد تجتمع فيها الجماعات الإسلامية ، فاستغل الدعاة ذلك لكي ينشروا دعوتهم، وخطبهم للفاطمية، ومركز خلافتهم في مصر، وباعتبارهم الخلفاء الوحيدون في العالم الإسلامي ، ونرى أن الفاطميين لم ينفصلوا عن دعاتهم من خلال دعمهم مادياً ومعنوياً، والإشراف عليهم، والحرص على سلامتهم في هذا البلد الكبير ، ولقد نجحوا في ذلك من خلال النتيجة التي توصل إليها دعاة الفاطميين ، حيث بدءوا يتدخلون في فتواهم على الناس، حتى الأسعار في البضائع في الهند أصبحت تقاس بالأسعار الموجودة في مصر، وكافة الولايات الفاطمية، كذلك النقود الهندية أصبحت تحسب بالنقود الفاطمية. والمسماة بالنقود القاهرية نسبة للعاصمة القاهرة[2].

---

(1) ابن حوقل : صور الأرض ، ص ص 279 ، 280

(2) الاصطخري : المسالك والممالك ، ص ص 102 ، 103.

وبعد وفاة أكبر دعاة الدولة الفاطمية في الهند وهو الداعي مرزبان بن إسحاق ، شعر الفاطميون في مصر بالقلق والخوف على مصير دعوتهم في أكبر البلدان الإسلامية، والتي نجح فيها دعاتهم ، لذلك قام الخليفة المستنصر لدين الله بإرسال خطاب إلى السيدة الحرة، بعد أن آل إليها الحكم في سنة 481 هـ ببلاد اليمن، يبلغها بموافقته على تعين الداعية أحمد بن مرزبان لكي يتولى منصب والده في الدعوة في الهند، ولأنه يبدي ارتياحه لاختيار الداعي حمزة بن بسط حميد الدين لكي يكون معاوناً لأحمد في نشر الدعوة الفاطمية في الهند، وأن يكون تحت إمرته، وذلك لصالح الدعوة والمسلمين كافة، وذكر المستنصر في خطابه بمجهودات السيدة الحرة، وما تقوم به في سبيل إنجاح الدعوة الفاطمية في كل من اليمن وعمان والهند، فحثها على الاستمرار والتقدم في نصرة هذا الدين الإسلامي، ومعتبراً لها علامة بارزة للدولة الفاطمية ونجاحاتها[1].

ونرى أن هذه المساعدات التي تلقاها الفاطميون من بلاد اليمن ساهمت بشكل كبير في نشر الدعوة الفاطمية في الهند ، كذلك لا يمكننا أن ننسى الظروف التي كانت تحيط ببلاد الهند حيث تواترت عليهم المجاعات والأمراض، فاستفحل عليهم الموت حتى ذهب أغلب علمائهم وضعف ملكهم وهو الأمر الذي ساهم في تقدم الدعاة، الفاطميين في الهند مستغلين حالة الاضطراب والتشتت الديني لديهم[2]، خصوصاً مدينة مكران، والتي اشتهرت بأراضيها الواسعة، والتي تتميز أيضاً بالقحط والجوع والفراغ الديني، لذلك وجد فيها أنصار الفاطميين منفذاً لدعوتهم ونشرها في هذا المكان الذي عرفوا أنه مركز أغلب المسلمين، والتجمع لكافة التجار وناقلي البضائع[3].

بالإضافة إلى مناخ بلاد الهند والذي يعتبر من العوامل المساعدة للمسلمين في مناطقها، فقد تميز بمناخ معتدل كثير الأمطار، مما ساهم في تكوين عدة أنهار عظيمة ينبع بعضها من الشمال، حيث جبال الهملايا وتصب في بحر العرب، مثل نهر الأندوس أو السند، وغيرها من الأنهار والتي عبرها الدعاة للوصول إلى المناطق البعيدة دون مشقة كبيرة، وهذه الأنهار صمام الحياة لبلاد الهند، لما تعتاش عليها

---

(1) محمد سرور : السياسة الفاطمية الخارجية ، ص 63 .
(2) اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ، ج1 ، ص 89.
(3) الأصطخري :المسالك والممالك ،ص 105

العديد من المدن والقرى بالاستفادة منها في الشرب والزراعة، التي تعتاش منها أغلب القوميات في الهند، سواء إسلامية أو هندوسية أو بوذية، فالكل مهما اختلف دينه يعتمد على منابع هذه الأنهار، التي أفادت أغلب الدعاة و التجار في التنقل داخل بلاد الهند . ومما لا شك فيه أن الخليفة الفاطمي المستنصر لدين الله، أراد توسيع نفوذ الدولة السياسي، من خلال توغل أنصاره ومؤيديه لهذين القطرين.

وعلى الرغم من الصعوبات التي كان يواجهها الفاطميون في مناطق أخرى مثل الحجاز، والاضطرابات السياسية الداخلية في مصر، إلا أن ذلك لم يقلل من مجهوداتهم ويفل من عزميهم، لمد نفوذهم في عمان والهند، والتي اعتبروها مركز الحماية لولاية الفاطميين في بلاد اليمن.

ولقد استغلت الدولة الفاطمية خصوصاً الخليفة المستنصر ووزيره الجمالي الأوضاع التي كانت تمر بها عمان، من تغيرات سياسية في الحكم، وظهور وزوال أسر حاكمة كثيرة، والتي لم تعمل شيئاً لعمان سوى أنها أنهكتها داخلياً وخارجياً، ومنذ أن استولى الفاطميون على بلاد اليمن ونشروا دعوتهم فيها،كانوا يراقبون الأوضاع السائدة في عمان،وكانوا أول المبتهجين لثورة الأهالي فيها على النفوذ العباسي وهنا نرى حنكة الخليفة الفاطمي المستنصر الذي لم يتدخل في هذا البلد غلا بعد أن شعر هؤلاء فعلاً بحاجة إلى تغير جذري للبلاد سواء أكان دينياً أو سياسياً، ولم يغامر المستنصر بجنوده في مصر ،بل أرتئي أن يكون لولاته في المنطقة الدور الأول في مد نفوذه السياسي فيها، ألا هم الصليحيين الذين لطالما ساندوه في سياسته ودعوته، ويرجع عدم مساس جنده في مصر أو الشام ذلك، لما كانت الدولة في مصر تعاني من تطاحن عناصرها من أجل القيادة في العسكر وخشية من الفتنة الداخلية لم يستعين بهم المستنصر،بالإضافة إلى بلاد اليمن أقرب المناطق لعمان، وأكثرها من كان له صلة بالخليفة الفاطمي المستنصر لدين الله.

أما بالنسبة لبلاد الهند فقد اختلف دخول المسلمين والإسلام إليها،ففي القرون الأولى دخلها المسلمون فاتحين لها، ومعرضين الأهالي فيها للقتال، أما الدخول الثاني للمسلمين فهو الدخول الفاطمي السلمي عن طريق هؤلاء الدعاة، الذين بذلوا مجهوداً كبيراً في نشر الدعوة الفاطمية فيها،سواء من حيث تحمل مصاعب السفر، أو التنقل داخل هذه القارة الصغيرة، ومما تعرضوا له من صد من قبل جماعات مختلفة في

الديانات الموجودة فيها والذين عاشوا قروناً كثيرة، وهم يتعبدون على هذه الـــديانات، وكان من الصعب عليهم قدوم دين آخر يزاحم أديـــانهم ومعتقـــداتهم الدينيـــة،غير أن الدعاة الفاطميين لقوا مساعدة من قبل التجار المسلمين المقيمين على شواطئ الهنـــد، والذين أعطوا صورة حسنة للرجال المسلمين فـــي الهنـــد، واقتـــدى بهـــم الفقـــراء والمحتاجون الذين كانوا أول من دخل الدين الإسلامي، الذي وجـــدوه ملجئـــاً لهـــم، واستغل الدعاة الاسماعيليون ذلك لكي يبثوا دعوتهم فيها ونجح هـــؤلاء الـــدعاة فـــي ذلك،حيث ازدادت نسبة المسلمين في بلاد الهند على المذهب الفاطمي عما كانت عليه سابقاً، وازدياد أفواج الحجاج القادمين منها إلى الأراضي المقدسة في الحجاز، والذي بدأ يتكاثر عددهم بشكل كبير في بداية القرن الخامس، ومهما يكن النجاح الذي حققـــه الفاطميون في الهند، ومن تقدم دعوتهم فيها، لا يمكننا أن ننسى أن من وضع الأساس الأول للإسلام في هذا المكان هم العباسيون، أنداد الفاطميين الذين تسلموا المشعل منهم في نشر دعوة جديدة تغلغلت تدريجياً عبر السنين.

المبحث الثالث

جهود اليمن في عودة النفوذ الفاطمي للحجاز

لقد حرصت الدولة الفاطمية منذ بداية قيامها على ارتباط الولايات التي بسطت نفوذها عليها مع بعضها البعض،بالإضافة إلى ارتباطها المباشر مع مركز الدولة في مصر، وذلك خشية من التمرد السياسي للولاة والقواد،ولخوف الخلفاء الفاطميين من الساسة العباسيين، ومطامعهم في الولايات الفاطمية، واستعادتها من جديد،لذلك اتخذ الفاطميون أساليب متعددة لتوطيد هذه الولايات منها الجانب الاقتصادي، والديني، أو من الناحية الدبلوماسية السياسية[1].

ومن سير هذه السياسة نلاحظ أن الدولة الفاطمية نجحت نوعاً ما في ذلك خصوصاً في بداية الفتوحات، من خلال جعل السلطة في كيان شخص واحد ألا وهو الخليفة، الذي أحيط بهالة من الرهبة لدى الولاة والجنود والقواد[2].

باعتبار أن الخليفة الفاطمي، هو يعلم بواطن الأشياء، وهو الذي يفهم القرآن الكريم والسنة والشريعة،كما كان الولاة وأهالي الولايات يعتبرون الخليفة مستودع العالم الشرعي للبلاد كافة[3].

ونقلت الدولة الفاطمية هذا المبدأ في جميع الولايات التي فتحتها باسمها واسم الخليفة الفاطمي،فلذلك نرى توحد الولايات الفاطمية من حيث الشعائر الإسلامية، والنواحي الاجتماعية التي تعارفوا عليها منذ قدوم الفاطميين إلى مصر،كذلك كانت هذه الولايات تتأثر بالأحوال السياسية مع بعضها البعض،كما تتأثر بأحوال مصر الداخلية سواء من حيث الازدهار الاقتصادي والسياسي، أو من حيث تردي الأوضاع في مصر.

وكغيرها من الولايات الفاطمية تأثرت الحجاز بأحوال مصر الداخلية، وما كان يحيط بها من اضطرابات سياسية، في عهد الخليفة المستنصر،وبسبب حالة الغلاء التي اجتاحت البلاد، انقطعت الأموال التي كانت ترد محمد بن جعفر في الحجاز،مما أثر

---

[1] البراوي ،راشد ،حالة مصر الاقتصادية في العصر الفاطمي،ب.د ،القاهرة ،1948، ط1 ،ص 153

[2] أمين ،أحمد ،ضحى الاسلام ،منشورات دار الكتاب العربي ،بيروت ،ط4 ،ص 220

[3] مشرفة ،عطية مصطفى ،نظام الحكم بمصر في عصر الفاطميين ،دار الفكر العربي ،القاهرة ،ط2 ،ص ص58 ،61 ،62

ذلك سلباً على الأوضاع فيها سواء من الناحية الاجتماعية أو السياسية،فاشتد الغلاء فيها لدرجة أن قناديل الكعبة الفاطمية وستورها وصفائح بابها والميزاب أخذت من قبل الوالي بن جعفر[1].

وبذلك انقطعت صلة مصر الاقتصادية بعد أن كانت المصدر الأول لها لإرسال الغلال لمدة طويلة، ونتج عن ذلك من الناحية الاقتصادية التشدد من الناحية المعيشية على كافة الحجاز[2].

وفي سنة 457هـ/1064م وبعد أن أصبحت العلاقات بين الحجاز ومصر متوترة حج أحد نقباء أشراف مكة ببغداد، وهو أبو الغنائم فاستغل الوضع، وأمر أمير مكة محمد بن جعفر بالدعاء في الخطبة للعباسيين، وهو ما حدث بالفعل مما أثار حفيظة الفاطميين، الذين قطعوا رسمياً جميع الأموال التي تورد للحجاز. ومدنها فما كان من بن جعفر أن استمر في قطع الدعوة الفاطمية، والدعوة لبني العباس،غير أنه ترك الأذان بحي على خير العمل، ، فأخذ الناس على مقولتها وخشية من الانشقاق الديني استمروا في ذكرها على منابر المدينة ومكة ،وأصبح بذلك كافة الناس يدعون لآل العباس في العراق، الذين كانوا راضين عن الأوضاع التي آلت إليهم دون مشقة[3].

وبذلك اجتمعت الآراء حول قطع الخطبة للفاطميين، الذين لم يكن لهم لا حول ولا قوة على إعادة تلك الدعوة في الحجاز، سواء المراقبة ومحاولة استغلال أي وضع فيها، بعد أن أدرك الفاطميون أن أميرها محمد بن جعفر كان داهية، بل لقب بالخبيث من قبل قواد الفاطميين الذين اتهموه باستيلائه على كافة أموال محمد الصليحي في مكة، ونسبها لنفسه ورعيته في الحجاز[4] .

(والتي ضمت قصة مكة ومن مدنها يثرب،ينبع وقرح وخيبر والمروة وجدة والطائف بالإضافة إلى البحار والسقياة والعونيد والجحفة و العشيرية)،وهي أعظم مدنها التي توحدت مع بعضها بعد تغلغل النفوذ الفاطمي لبلاد الحجاز.

---

(1) محمد سرور :سياسة الفاطميين الخارجية ،ص 29
(2) احمد مختار العبادي :التاريخ العباسي و الفاطمي ،ص ص 341، 342
(3) دحلان :خلاصة الكلام ، ص 19
(4) عبد المنعم ماجد :ظهور سيلسة الفاطميين وسقوطها ،ص226

لذلك حاولوا منذ إعلان الخطبة لهم في مكة أن يدعموا أميرها معنوياً ومادياً، فقد أرسل الأمير السلجوقي في العراق ألب أرسلان في سنة 462هـ/1069م إلى الحجاز نحو ثلاثين ألف دينار ،والتي استقبلها محمد بن جعفر بحفاوة، والتي كان في أمس الحاجة إليها، لما كان يعاني من صعوبات مادية في كيفية تجهيز جيوش الحجاز، وصرف رواتب الجند، وغيرها من الأمور في بلاد الحجاز، والتي افتقر إليها نتيجة قطع الخطبة للفاطميين في مصر[1] التي كانت تعاني تقلب وصراع الوزراء على السلطة مما أثر على سياستها الخارجية ومع أغلب ولاياتها، ومما زاد الأمر تعقيداً عودة الغلاء والقحط إلى الأهالي البسطاء، واستمر الوضع كذلك حتى سنة 464هـ/1071م[2].

وكان الخلفاء العباسيون والفاطميون مدركين لجشع والي الحجاز محمد بن جعفر وحبه للمال والجاه، والذي كان يهدف من وراء ميله وانحيازه لأحد الطرفين هو توطيد لملكه وسلطانه في الحجاز، ويقف هذا الميل على من يمده بالأموال والمؤن لبلاده ولقد تجاوب محمد بن جعفر مع رسالة المستنصر لدين الله ،فتراه يقطع الخطبة للعباسيين في مكة خصوصاً بعد وفاة القائم بأمر الله، وانقطاع الأموال والمؤن عنه، وفي سنة 467هـ/1074م تقام الدعوة الفاطمية من جديد[3].

وبما أن المستنصر يعرف مفهوم محمد بن جعفر، لذلك قام بمخاطبة والي اليمن المكرم أحمد وأمره بأن يحمل عشرة آلاف دينار، وذلك كدفعة أولى إلى بلاد الحجاز وأميرها محمد بن جعفر، وكان ذلك في سنة 468هـ/1075م، وحرص على التأكيد والوعد بأن يرسلوا له، المقرر له خلال إمدادات قادمة، دون تحديد المدة التي سيقام الدفع فيها من قبل الصليحيين في اليمن[4].

ولقد كان دور اليمنيين كبيراً في رجوع الخطبة، واسترداد النفوذ الفاطمي في بلاد الحجاز، خصوصاً أن الدور الفعلي يكمن في شخصية المكرم والي اليمن، الذي أظهر براعة فائقة في التحكم في أمور الدولة الفاطمية في منطقة اليمن والحجاز حيث أن المكرم اعتمد على قوة أنصاره وتنظيمهم، وبمساعدة المخلصين له في المناطق

---

[1] دحلان :خلاصة الكلام ،ص 19
[2] حسن ابراهيم حسن :الدولة الفاطمية ،ص 171
[3] محمد سرور :سياسة الفاطميين الخارجية ،ص 30
[4] عبدالمنعم ماجد :ظهور خلافة الفاطمين وسقوطها ،ص 227

المجاورة والتي كسب احترام وتقدير شيوخها، الذين أمروه بما يستطيعون، ومن خلال سياسته وإخلاصه للفاطميين، أظهر المكرم مدى قوة شخصيته، وأخلاقه وشجاعته التي ساعدت أولياءه الفاطميين لكي يستعيدوا أهم مركز إسلامي في الدولة الفاطمية والإسلامية كافة، ألا وهي الحجاز بما فيها المدينة مكة[1].

ولقد زادت محبة المكرم في نفس المستنصر لدين الله لمساعدته للدولة الفاطمية في استعادة الحجاز، وتزويده بالأموال والمؤن، والتي كانت مصر في ذلك الوقت في حالة من الاضطراب، ونقص في المخزون العام للدولة،لذلك كان المستنصر ممتناً لهذا الوالي الذي عبر عن سياسته كما فعل قبلاً والده،وقد قام المستنصر بزيادة الألقاب عليه،لذلك عندما وصلت إلى المكرم قام بقراءتها أمام الناس، فجاءه الشعراء والشيوخ مهنئين له على نصره[2].

ومنذ أن أرسله المستنصر وضع المكرم والي اليمن نفسه حامي منطقة الحجاز.ولذلك قام بتنظيم أحوال اليمن أولاً لكي يتفرغ لبلاد الحجاز، فقام بضرب الدينار الملكي وهو الدينار اليمني، وكتب عليه الملك ابن المكرم وسلطان أمير المؤمنين[3].

وبما أن سواحل اليمن تمتد أواخرها في منطقة الحجاز، ولمعرفته بأحوال وتضاريس الحجاز، عرف المكرم مدى أهمية المدينة المنورة، وبعدها عن مكة المكرمة وهذا يعرضها لهجمات لأنصار بني العباس،لذلك توجه في سنة 469هـ/1076م للمدينة واستولى عليها، وخطب فيها للمستنصر، وبذلك عادت السيطرة الفاطمية على الحرمين،وأصبح بذلك للفاطميين نفوذ جديد لبلاد الحجاز، بفضل الصليحيين في اليمن، وما بذلوه في سبيل عودة النفوذ السياسي للخليفة المستنصر، الذي عادت إليه السلطة من جديد، والذي أصدر في سنة 469هـ/1076م مرسوماً عاماً لكافة الولايات الفاطمية يبلغها عن توحيد الأعمال الحجازية واليمنية وادماجها إدماجاً كاملاً[4].

---

(1) الهمداني :الصليحيون ، ص ص113، 116
(2) الهمداني :الصليحيون ،ص 132
(3) عمارة اليمني :تاريخ اليمن ،ص 61
(4) عبد المنعم ماجد :ظهور خلافة الفاطميين ،ص 228

واستمر الحجاز يدعو في خطبته للخليفة الفاطمي المستنصر لدين الله ، إلا أن هذه الدعوة لم تستمر طويلاً،حيث أرسل الخليفة العباسي المقتدى بأمر الله العباسي الأموال إلى والي الحجاز محمد بن جعفر، وذلك لكي يدعو له على منابر الجوامع في مكة، ويقطع الخطبة للفاطميين، وهو الأمر الذي فعله بن جعفر، الذي قام بقطع الدعوة للمستنصر،وأصبح بدلاً منه الخليفة العباسي المقتدى، وكان ذلك في سنة 470هـ/1077م[1].

وبذلك يكون محمد بن جعفر قد عاد إلى سياسة التلون والمماطلة والمساومة، من حيث إقامة الدعوة لمن يدفع أكثر من الأموال،ونراه بعد ذلك يأمر بخلع الصفائح التي كانت باسم الخليفة المستنصر على باب الكعبة، وكتب عليها اسم المقتدى بالله العباسي، وبعد هذا أصبحت الحجاز في حالة من التغيير السياسي، حسب مصالح محمد بن جعفر، حيث أعاد من جديد الخطبة للمستنصر،حين بعث له بالأموال من مصر، ومثل ما كانت الإعادة للخطبة سريعة، كان القطع سريعاً، وأعيدت الخطبة من جديد للعباسيين، وخليفتهم المقتدى الذي توفي، وخلفه ابنه المستظهر، وأصبحت الخطبة تقام له في مكة والمدينة[2].

وبهذه السياسة المنفعية التي كان يستخدمها أمراء الحجاز خصوصاً محمد بن جعفر الذي أدخل على بلاد الحجاز الكثير من الأموال والهدايا ، غير أنها كان لها تأثير سلبي على الأهالي فيها، وعلى الحجاج القادمين إليها من كافة الولايات الإسلامية،وذلك لأن عند الدعاء لخلفاء مصر الفاطميين كان يصطحبه عتداء على حجاج العراق،وأيضاً عند الدعاء لخلفاء العباسيين يصطحبه مجاعات لأهالي مكة والمدينة، بسبب امتناع الفاطميين عن إرسال الغلال، على الرغم من كثرة الأموال التي يبعثها العباسيون للحجاز[3].

وبذلك تعود الخطبة للعباسيين في الحجاز بعد انقطاع دام نحو مائة عام وتنقطع بذلك الخطبة للفاطميين نهائياً[4].

---

(1) محمد سرور :سياسة الفاطميين الخارجية .ص 30
(2) عبدالمنعم ماجد :ظهور سياسة الفاطميين .ص 228
(3) احمد مختار العبادي :التاريخ العباسي والفاطمي .ص 343
(4) المكي :العقد الثمين .ص 440

ونلاحظ أن تغيير سياسة بن جعفر جاءت لمعرفته بضعف الصليحيين في اليمن، لاسيما لوفاة المكرم أحمد،ومع ذلك فإن شيوخ اليمن لم يقفوا مكتوفي الأيدي فقرروا مهاجمة الحجاز لمعصيتها الدعوة الفاطمية في مصر،فجمع أميرها عبد المستنصر الذي تولى الخلافة بعد أبيه المكرم، وعلى الرغم من صغر سنه فقد شارك في هذه الحرب أعداد كبيرة من المقاتلين، الذين توجهوا إلى الحجاز وهاجموا بن جعفر،غير أن الصليحيين لم يستطيعوا أن يستولوا على الحجاز بعد أن تصدى لهم محمد بن جعفر[1].

وانتهت بذلك أواخر محاولات الفاطميين لاسترداد بلاد الحجاز، التي خرجت من أيدي الفاطميين . واستمر محمد بن جعفر ينادي للعباسيين في مكة، إلى أن توفى سنة 484هـ/1091م، وبعد أن تولى ابنه القاسم بن جعفر، استمر بدعوة العباسيين في الحجاز[2].

ويمكننا أن نقول إن خروج الحجاز جاء نتيجة سياسة الفاطميين في بلاد مصر، وما كان يحدث فيها من اضطرابات، وصراعات الوزراء و الجيوش،لذلك أثرت هذه الأحداث على سياستهم الخارجية،وكانت بداية بالحجاز الذي اجتهد المعز أول الخلفاء الفاطميين في كيفية دخول هذه الأراضي المقدسة، والتي عرف جيداً أن الأساس الأول لدولته، هي السيطرة والاستيلاء على الحجاز،غير أن أحفاده لم يستطيعوا أن يستمروا في هذا النهج السياسي خصوصاً وأن هناك دولة مثل الدولة العباسية كانت تراقب من الداخل والخارج الفاطميين لكي تنقض على النفوذ الفاطمي الذي استحوذ على دويلاتها السابقة.

---

(1) عبد المنعم ماجد :ظهور خلافة الفاطميين ،ص 228

(2) دحلان :خلاصة الكلام ،ص 19

الخـــاتمة

وبعد هذا الجهد المتواضع الذي بذل في إعداد هذا البحث ، والوصـــول إلـــى وضع لبناته الأخيرة ، فإنه ينبغي أن نسلط الأضواء على أهم النتـــائج التـــي أمكـــن التوصل إليها وجاءت ضمن اعتبارات هامة وهي على الشكل التالي :

- إن الموقع الجغرافي لبلاد مصر ساهم بشكل كبير في تكوين وتأسيس الدولـــة الفاطمية واعتبار مصر جسراً يربط المشـــرق بـــالمغرب ، لـــذلك نـــرى أن الفاطميين أدركوا هذه الحقيقة منذ بداية مشروعهم الحربي ، حيث إن خصوبة التربة ووفرة المياه والقرب من البحر المتوسط وازدهار الصناعة كـــل هـــذه العوامل ساعدت على إنعاش الدولة في أول ظهورها .
- أن إعداد الجيش لمهمة الفتح في مصر، له دور في إرســـاء قواعـــد الدولـــة الفاطمية وتسهيل مهمتهم دون صعوبة ، من حيث إعداد هذا الجـــيش بعنايـــة فائقة من ناحية العدة والعتاد والاختيار المحكم لقائد هذه الجيوش وهـــو القائـــد جوهر الصقلي الذي له خبرة في هذا المجال فقد شارك في حروب المســـلمين ضد الأسبان ، أيضاً تنظيم فئات الجيوش المكون من عناصر مغربية وبربرية وأفريقية ، بالإضافة إلي العدة من الناحية النفسية عن طريق الرعاية السياسية المنظمة التي مهد لها الفاطميون للقيام بهذا الحدث .
- بالإضافة إلي أن الفاطميين قد تلقوا ضربة موجعة في مواجيتهم حيث استعجل عليهم فتح الشام وفلسطين اللتين كانا سيكونان مركز الانطلاق جيوشـــهم إلـــي بغداد والحجاز فقد استغرقت محاولاتهم لإخضاع البويهيين وللخلافة العباســـية وقت طويلاً ، عندما أخضعوهما لم يكن الشاميون من المخلصـــين للفـــاطميين وكان البيزنطيون شوكة في جنب الدولة الفاطمية تزعجهم في سطيهم لشـــمال الشام .

- ومهما أحرز الفاطميون من نجاح مهم في العراق والشام ، لم يكن ليأتي لهم بسهولة لولا تزعزع السلطة في الدولة العباسية المتهالكة والتي كانت في أواخر عهدها ، والاستغلال للوضع الذي طبقته الدولة الفاطمية في العراق أسهم بشكل كبير في بسط نفوذهم ورايتهم فيه ، من تأييد للقواد المنشقين وإمدادهم بالمال والعتاد وتطميع في السلطة والقيادة وأيضاً مهام الدعاة الفاطميين في الولايات العباسية سواء في الشام والعراق كان لهم نصيب كبير في دعم الجيوش الفاطمية .كذلك الإستراتيجية التي اتبعها الفاطميون حيث مدوا نفوذهم على جنوب وشرق الجزيرة العربية (اليمن وعمان) وعملوا على نشر دعوتهم في كافة الطرق التي تخلى عنها العباسيون .
- ومن الأمور التي ساعدت على استمرار دولتهم في المشرق الاتصال المباشر مع الولايات التي بسطوا نفوذهم عليها ، وسياسة الفاطميين الاقتصادية من حيث تحكمهم في موارد الولايات ونظمهم الضريبية ، أدى إلي تحكم تام في تلك الشعوب وولاتها بالإضافة إلي مبدأ الهدايا التي كانت تخصص للولاة والأشراف فيها .كما لا يمكننا أن نغفل عن السياسة التي اتبعها الخلفاء الفاطميون فقد كان كل خليفة قد وضع الكثير من الأسس التي سارت عليها الدولة في سياستها الداخلية والخارجية خصوصاً في النواحي السياسية والاقتصادية فنرى المعز لدين الله الفاطمي أمر بتنظيم الخزانة المالية من أجل الصرف الخاص للجيوش ، كذلك تنظيم الدواوين ونقلها إلي بيته ليشرف عليها بنفسه ، وجعل على كل ديوان منها رئيساً مسائلاً ، واتبع في سياسته الشدة العسكرية وسار على نهجه من بعده بقية الخلفاء على الرغم من تفاوت أدوار كل منهم حسب الظروف المحيطة بسياستهم .
- وأكثر انجازات الفاطميين هو عندما حكموا مصر ، حيث لفتوا إليهم الأنظار من قبل المسلمين كافة باعتبار مصر قلب العالم الإسلامي وإبراز دور مصر السياسي في الحكم بعد بغداد والشام كمركز للخلافة الإسلامية .

تم بعون الله

راجية من الله السداد والتوفيق

المصادر والمراجع

أولاً: المصادر المخطوطة

- ابن حيّون: القاضي النعمان ت(363هـ /973 م ، المجالس والمسايرات ، مخطوط جامعة القاهرة ، رقم (26060)، ص 26 .

ثانياً: المصادر العربية المطبوعة :

- ابن الأثير : عز لدين أبو الحسن علي بن محمود ، ت(630هـ /1233 م) ، الكامل في التاريخ ، تحقيق محمد يوسف ،دار الكتب الوطنية ، بيروت لبنان ، ط2 ، 1980 ، ج 6.
- ابن تغري بري : جمال الدين ابو المحاسن ،ت(874هـ/1469م) ، النجوم الزاهرة في ملوك مصر القاهرة ، ت.د ،ج1933،3 م .
- الإدريسي : الشريف أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن إدريس لحمودي الحسيني المعروف بالشريف الإدريسي ،ت(560هـ/1165 م)، نزهة المشتاق في اختراق الأفاق ، عالم الكتب ، بيروت لبنان ، د. ط ،1989 ،ج2.
- الاصطخري : أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي ، ت(350هـ /981 م) ، المسالك والممالك ، تحقيق محمد جابر ، مراجعة محمد شفيق تراثنا ، الجمهورية العربية المتحدة ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي ،ط.ط، 1961 م .
- الإنطاكي : يحي بن سعيد بن إنطاكي ، ت(458هـ/1066م) ، تاريخ الإنطاكي ، نشره لويس شيخوا ،دار المعرفة ، بيروت لبنان ، د.ط ،1980 م.
- أياس : أبو البركات محمد بن احمد بن إياس الحنفي ، ت(930هـ/1524 م) ، بدائع الزهور في وقائع الدهور ، حققه محمد مصطفى ، دار المعارف ، القاهرة مصر ،ط1، د.ت .
- ابن بطوطة :شمس الدين محمد بن إبراهيم بن عبد الله بن محمد ت(779هـ / 1377 م) ، رحلة ابن بطوطة ، المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، ط1 ، 1988 م .

- **ابن الجوزي** : أبو الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد القرشي البغدادي ت(597هـ/1201 م) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، د.ت ، 1955،ط1،ج6.
- **الحصني** : محمد تقي الدين بن حصن ، (تاريخ الوفاء غير معروف) ، منتجات التاريخ لدمشق ، دار المعرفة ، بيروت ،ط2، 1980م .
- **الحموي** : ياقوت شهاب الدين أبو عبد الله محمد بن أبي طالب الأنصاري ، ت(626هـ/1229 م)، معجم البلدان ، دار الصادر ، بيروت لبنان ، د.ط ، د.ت ، ج3 .
- **الحنبلي** : محمد الدين بن حنبل ، الأونس الجليل بتاريخ القدس والخليل ، المكتب التجاري لطباعة والنشر ، بيروت ، د.ط ، د.ت .
- **ابن حوقل** : محمد بن أبي القاسم محمد بن حوقل النصيبي ت(367هـ/988م) ، صورة الأرض ، منشورات مكتبة الحياة بيروت ، د.ط،1979 م .
- **ابن خلدون** : عبدالرحمن بن محمد ت(808هـ/1406م) ، المقدمة ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ،ط1، 2000 م .
- **ابن خلكان** : شمس الدين أبو العباس احمد بن محمد ت(681هـ/1282 م) ، وفيات الاعيان وأبناء ابناء الزمان ، دار الصادر ، بيروت ، ط2 ،1948م، ج1 .
- **دحلان** : احمد بن زيني، خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام ، مكتبة الكليات الأزهرية ، القاهرة ،ط2، 1977 م .
- **ابن أبي دينار** : محمد بن أبي القاسم الزعيني القيرواني ت(1110هـ/1698م) المونس في إخبار افريقية وتونس ،د.ن ،تونس ،ط3 ،1967 م .
- ابن رجب **الحنبلي** : أبي الفرج عبدالرحمن بن حمد ، شذرات الذهب في إخبار من ذهب ، دار المعارف ، القاهرة ،د.ط ،د.ت ،ج2 .
- **السبتي** : القاسم بن يوسف التجيبي ت(730هـ/1329م) ، مستفاد الرحالة والاغتراب حققه عبد الحفيظ منصور ،الدار لعربية للكتاب ، ليبيا – تونس ، د.ط ، د.ت .

- **السيوطي** : جلال الدين أبو الفضل عبدالرحمن بن أبي بكر محمد ت(911هـ/1505م) ، تاريخ الخلفاء حققه محمد أبو الفضل ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ط5 ، 1964 .
- **ابن الصيرفي** : أبو القاسم بن سليمان ت(542هـ/1148م) ، القانون في ديوان الرسائل والإشارة إلى من نال الوزارة ، دار المصرية اللبنانية ،ب.ط ،1990م.
- **ابن عذارى** : أبو العباس احمد ، البيان المغرب في إخبار الأندلس والمغرب تحقيق ليفي بروفنسال ،و.ج.س – كولان ، دار الثقافة ، بيروت ب.ط ، ج1 .
- **عمارة اليمني** : نجم الدين أبو محمد عمارة بن أبي الحسن علي الحكمي ت(569هـ/1174 م)، تاريخ اليمن ، نشره حسن سليمان محمود ، القاهرة ، ط1 ،1957م .
- **أبو الفداء** : عماد إسماعيل بن عمر ت(726هـ/1374م) ، المختصر في إخبار البشر ،دار المعرفة ، بيروت ،د.ط ،ج1،1948م.
- **الفاسي**: تقي الدين محمد بن احمد المكي(832هـ/1429م)، العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ، مؤسسة الرسالة للنشر ، ط 2،ج1.
- **المقريزي**: تقي الدين أبي العباس احمد بن علي ت(845هـ/1441م)، اتعاظ الحنفاء بإخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء ، د.ن ،د.ط ، القاهرة ،ج2 ، 1971 م.
- المواعظ والاعتبار لذكر الخطط والآثار، مؤسسة حلب وشركاء للنشر والتوزيع ،القاهرة ،ج1 ،1967م.
- مؤلف مجهول ،العيون والحدائق في إخبار الحقائق ، تحقيق عمر السعيدي ، مكتبة المثنى بغداد ،1969.
- **الناصري** : الشيخ أبو العباس احمد بن خالد الناصري السلاوي ، الاستقصا لإخبار دول المغرب الأقصى تحقيق وتعليق جعفر الناصري ومحمد الناصري ،دار الكتاب ، الدار البيضاء، د.ط ، ج1 ،1964 م.
- **اليعقوبي**: احمد بن أبي يعقوب بن واضح بن جعفر ت(282هـ/897م)، كتاب البلدان ،دار إحياء التراث العربي ، بيروت ،ط1، ج1 ،1988م .

ثالثاً:المراجع العربية المطبوعة :

- **ارشيبالد** : لويس ، القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط . ترجمة احمد محمد عيسى ، مراجعة شفيق غربال ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، د.ط ،1960 م .
- **الاحاقي** : محمد عبدالمعطي ، أخبار الأول فيمن تصرف في مصر من أرباب الدول ،دار المكتب الوطنية ، القاهرة ،ط1 ،1993 م.
- **أيمن** : احمد ، ضحى الإسلام ، منشورات دار الكتاب العربي ، بيروت ،ط4 ، د.ت.
- **البراوي** : راشد ،حالة مصر الاقتصادية في العصر الفاطمي ، د.ن، القاهرة ،ط1 ،1948م.
- **البرغوتي** : عبد اللطيف ، تاريخ ليبيا الإسلامي ، منشورات الجامعة اللبنانية ، بيروت ،ط1 ،1971م .
- **بروكلمان:** كارل، تاريخ الشعوب الإسلامية ،حققه نبيه فارس، دار العلم للملايين ، بيروت ،ط4، 1965م .
- **تامر** : عارف ، المعز لدين الله الفاطمي ، دار الكتب الوطنية ، بيروت ،ط2 ،1982م .
- **الجميلي:** رشيد عبد الله ،دراسات في تاريخ الخلافة العباسية ، مكتبة المعارف، الرباط ،ط1 ،1984م.
- **جمال الدين** : عبد الله محمد ، في تاريخ مصر الإسلامية ،دار الثقافة للنشر والتوزيع ، القاهرة ،ط1 ،1991م .
- **حسن:** إبراهيم حسن ، تاريخ الإسلامي السياسي والديني ، مكتبة النهضة العربية ، بيروت ،ط1، 1972م .
- الدولة الفاطمية في مصر وفي المغرب ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ط3 ،1964 م.
- **حسن** : زكي محمد ، الفن الإسلامي في مصر ،دار الآثار العربية ، القاهرة ،د.ط،1935م .

- حسن: علي إبراهيم ، مصر في العصور الوسطى ،مكتبة النهضة العربية ، القاهرة ،ط5، 1964م.
- حسن: محمد عواد ، تاريخ الإسكندرية وحضارتها ،د.ن ، الإسكندرية ،ط1، 1963م.
- حسن : محمد كامل ، الهمة في إتباع الأئمة، دار الفكر العربي ، القاهرة ،د.ط ،1949م .
- حمادة: محمد ماهر ، الوثائق السياسية والإدارية للعهود الفاطمية ، مؤسسة الرسالة للنشر ، بيروت ،ط1، 1980م .
- الحميري : محمد عبد المنعم ، معجم الجغرافي الروض المعطار في خبر الاقتصار ،مكتبة لبنان ،بيروت ،ط1، 1975 م.
- الخربوطلي : علي حسني ، العزيز بالله الفاطمي ، وزارة الثقافة للنشر ، القاهرة ،ط1، 1986 م.
- رزق الله : إبراهيم ، التاريخ السياسي والفاطمي ، منشورات جامعة سبها ، سبها ،ط1، 1996م .
- الزاوي: الطاهر احمد ، ولاة طرابلس ، مؤسسة الفرجاني للنشر ، بيروت ،ط1، 1970م .
- زكار : سهيل ، أخبار القرامطة باليمن ، دار حسان ، بيروت ، ط2، 1970 م.
- زيدان : خرجي، تاريخ التمدن الإسلامي، دار الهلال ، القاهرة ، ج4 ،1960م.
- سالم : السيد عبد العزيز ، تاريخ مصر الإسلامية حتى نهاية العصر الفاطمي ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، ط1، 2003 م .
- سرور : محمد جمال الدين ، النفوذ الفاطمي في بلاد الشام والعراق ،دار الفكر العربي ، القاهرة ، د.ط ، د.ت.
- النفوذ الفاطمي في الجزيرة العرب ، دار الفكر لعربي ، القاهرة ،د.ط ،1993م.
- الدولة الفاطمية في مصر ،دار الفكر العربي ، القاهرة ، د.ط ،1970 م.
- مصر في عصور الدولة الفاطمية ،دار الفكر العربي ، القاهرة ،ط1 ، د.ت.

- **سليمان** : التاجر ، أخبار الصين والهند ، نشر وترجمة سوفاجية ،باريس ، ط1 ،1948م .
- **سليم** : محسن ، الطبري وتاريخ مكة ،دار الكتاب الجامعي ، القاهرة ،ط1، د.ت، ج1.
- **السيد** : أيمن فؤاد ، الدولة الفاطمية في مصر ،الدار المصرية اللبنانية للنشر ، القاهرة ، ط1، د.ن ،ج1.
- **شافعي** : فريد ، العمارة العربية في مصر الإسلامية ، جامعة القاهرة ، ج1 ،1970م .
- **الشربيني** : إبراهيم ، التاريخ الإسلامي خلال 14 قرناً ، مؤسسة الجامعة للنشر ، القاهرة ، ط 2 1971 م .
- **شرف الدين** : أحمد حسين ، اليمين عبر التاريخ دراسات القاهرة ، دن ط2 .1964
- **شلبي** : أحمد ، تاريخ الإسلام والحضارة الإسلامية ، القاهرة د.ن ط 1 1967م
- **الصوري** : وليم ، تاريخ الأعمال المنجزة فيما وراء البحار ، بيروت ، دار الهلال للنشر، ج 1 ، د.ن .
- **الطقوس** : محمد سهيل ، تاريخ الفاطميين في شمال أفريقيا ومصر ، بيروت دار النفائس ،ط 2 ، 2005 م .
- **العبادي** : أحمد مختار ، التاريخ العباسي والفاطمي ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ط1 ، 1972 م
- عبد الجبار ناجي وآخرون ، الدولة العربية الإسلامية في العصر العباسي ، مركز الإسكندرية للكتاب والنشر ، الإسكندرية ،ط1. 2003 .
- **عبد الله** : أبو محمد ، مرآة الجنان وعبرة اليقظان ، دار الكتب الوطنية ، بيروت ،ط 2 ، 1970 م .
- **عبد الحميد** : سعد زغلول ، تاريخ المغرب العربي ، منشر المعارف ، الإسكندرية ، ط1، ج 3 ، 1997 م .

- **عبد الرحمن** : محمد نصر ، العلاقات السياسية والحضارة بين الدولة العباسية والهند ، ومكتبه الآداب ، القاهرة ،2001 م .
- **عبد المولى** : محمد أحمد ، مغربيات ومشرقيات ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، ط1، 1990 م .
- **العدوى** : احمد إبراهيم ، الأساطيل العربية في البحر ، دار المعارف القاهرة ، د. ط ،1957 م .
- **العش** : يوسف ، تاريخ الخلافة العباسية ، دار الفكر دمشق ، ط 1 ،1982 م .
- **العوفي** : محمد سالم ، العلاقات السياسية للدولة الفرنسية ، والدولة العباسية ، منشورات جامعة الأمام محمد بن الرياض ، ط1 ، منشورات جامعة الإمام محمد بن سعود الرياض، ط1 ،1982 م .
عطا الله : خضر أحمد ، الحياة الفكرية في مصر ، دار الفكر بيروت ، ط1، 1997 م .
- **علي** : وفاء محمد ، الخلافة العباسية في عهد سلطة المكتب الجامعي الحديث ، الإسكندرية ، ط 1، 1991 م .
- **فيت** : غاستون ، القاهرة مدينة الفن والتجارة ، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر ، بيروت ونيويورك ، ط1 .
- **القاسمي** : خالد محمد ، العلاقات بين الاشرقة والغرب د.ن بيروت، ط2 د.ن .
- **قبال** : مرسي ، دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، ط2، د.ن .
- **الكاشف** : سيدة ، مصر في عصر الطولونين والاخشيدين دار النهضة العربية، القاهرة ، ط 1 ، 1970 م .
- **لومبارد** : موريس الإسلام في مجدة الأول من الثاني إلى القرن الخامس ، منشورات دار الأفاق الجديدة ، ط3 .
- **ماجد** : عبد المنعم ، ظهور خلافة الفاطميين وسقوطها في مصر دار الإسكندرية ، ط2، 1968 م .
- **المحامي** : محمد فريك ، تاريخ الدولة العليا العثمانية ، مطبعة التقدم للنشر القاهرة ، ط3 ، 1912 .

ــ مشرفة : عطية مصطفى ، نظم الحكم في عصر الفاطميين ، د.ن ،بيــروت ، ط1، 1948 م .

– منيمة : حسن ، تاريخ الدولة البويهية ، دن فارس ، ط1 ،1987م .

– الهاشمي : عبد المنعم ، موسوعة تاريخ العرب العصر العباسية والفــاطمي ، دار البحار ، بيروت ، ط1 ،1969 م .

– يونس : إبراهيم الموجز الواضح في تاريخ العــرب دار الكتــاب العربــي ، القاهرة ، ط1 1969 م .

رابعاً : الرسائل العلمية

– عبد الدايم : نجيب صالح ، العلاقات الخارجية للدولة العباسية خلال العصــر العباسي الأول ، رسالة ماجستير كلية الآداب ، جامعة التحدي ، سرت 2006 م .

ــ عطية : ونيس عمر ، الجزية والخراج في المغرب العربي من الفــتح حتــى انتقال الخلافة الفاطمية إلى مصر ، ورسالة ماجســتير ، كليــة الآداب ، جامعــة الفاتح ، طرابلس .

ــ يوسف : محمد حسين ، الإدارة الفاطمية في بلاد المغرب رسلة ماجستير فــي التاريخ الإسلامي ، جامعة القاهرة، 1987 م .

خامساً : المجلات العلمية:

– الديوجي: سعيد ، رسول ملك بيزنطة،مجلة العربي ، العدد166 ،1972م .

– زيود: محمد ، التجارة بين مصر والشام في العصر الفاطمي ،مجلة علميــة ، تصدر عن جامعة دمشق ، دمشق ، العددان 57-58 ،1996م .

– السعيدي: عمر ، محاولات الفاطميين للاستيلاء على مصر والإبعــاد الدوليــة والإستراتيجية ،مجلة الدراسات التاريخية ، العدد 7،1982م .

– سميث: ادم ، الأســس الجغرافية والاجتماعية للهند ، مجلة ثقافة الهند ، المجلــد السابع، شهر مارس ،1956م.

– الغيطاني : جمال ، مجلة العربي ، العدد 242 ، 1979 .